

الأزهر

في ألف عام

دكتور محمد عبد المنعم خفاجى   دكتور على على صبح

الطبعة الثالثة

مزيدة ومحققة ومنقحة

الجزء الأول

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

(٩) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

خفاجي ، محمد عبد المنعم
الأزهر في ألف عام / محمد عبد المنعم خفاجي ، علي علي صبح
.- ط3.- القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع ، 2011
ص ؛ سم
تدمك : 978-977-315-265-3
1 - الأزهر (جامع)
أ - صبح ، علي علي (مؤلف مشارك)
ب - العنوان
215.962

المكتبة الأزهرية للتراث
للنشر و التوزيع

العنوان .
9 درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ـ القاهرة
هاتف : 25120847
فاكس : 25128459
ص .ب : 34 الأزهر
الرمز البريدي : 11675

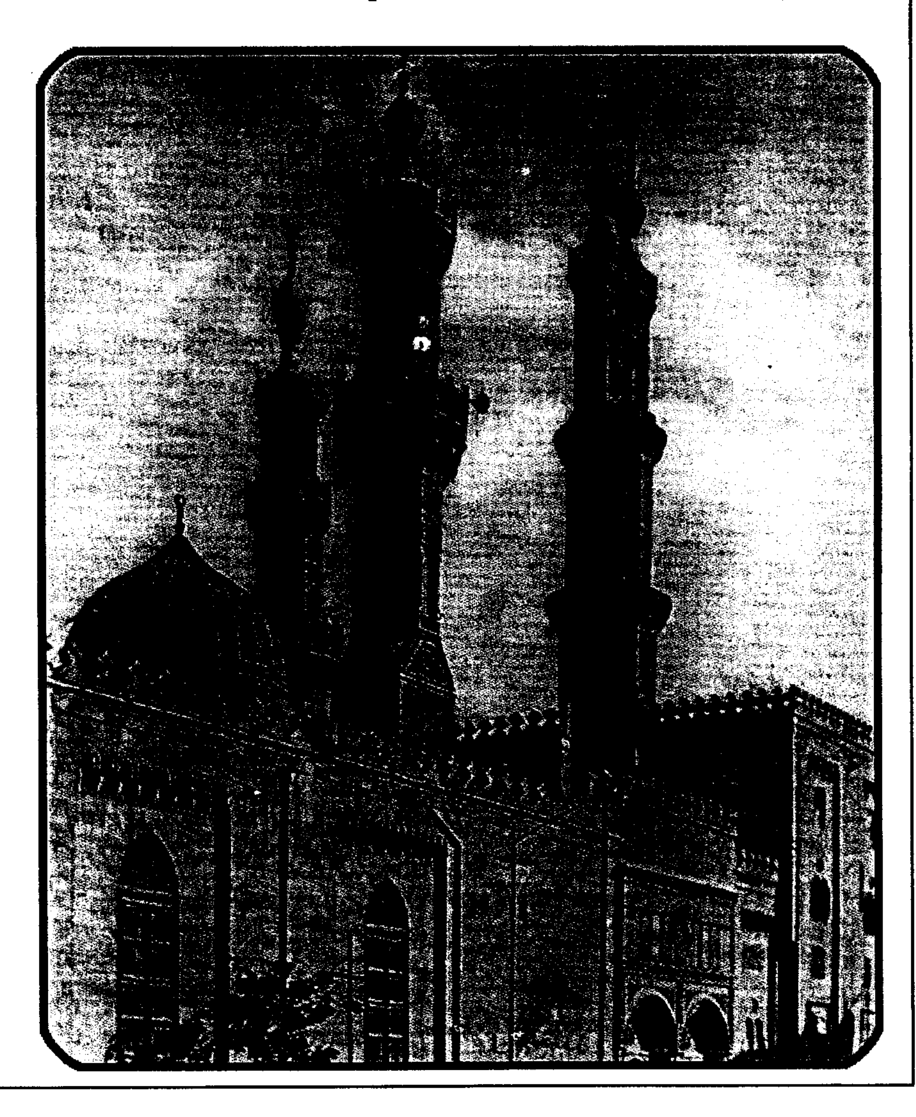
الطبعة الأولى
1432–2012

رقم الإيداع :20714/ 2010
الترقيم الدولي : 978-977-315-265-3

البريد الالكتروني elazharia lel torath @hotmail .com.

AL AZHAR MAGAZINE

Rabi - El-akar 1413,higrah- October 1992.- Vol.65 part IV



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً.

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، الذى جعل من مصر جنداً فى رباط إلى يوم القيامة اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه رضى الله عنهم أجمعين.. وبعد.

فقد استخرت الله تعالى أن أشارك فى الطبعة الثالثة لهذا الكتاب بعد أن انتقل إلى جوار ربه شيخى العلامة الكبير الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى جعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وخاصة بعد أن نشرنا الحلقة الثانية للأزهر الشريف بعد وفاته بعنوان: **«الحركة العلمية فى الأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين»** فى عام ٢٠٠٧م.

وقد شرفت بالمشاركة معه فى الأجزاء الثلاثة لهذا الكتاب، وبعد نشره بسنة رأيت أن أعيد النظر فى هذه السلسلة عن الأزهر فطالعت كتاب شيخى عن **«الأزهر فى ألف عام»** للطبعة الثانية عام [١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م] فقمت بمراجعته ومراجعة كتابنا عن الحركة العلمية السابق، للتنسيق بين موضوعات الكتابين، حتى لا تتكرر بعض الموضوعات غالبًا، أو على وجه التقريب.

فالحركة العلمية اختصّت بموضوعات القرنين التاسع عشر والعشرين، أما موضوعات **«الأزهر فى ألف عام»** كانت فى الغالب قبل القرن التاسع عشر، إلا فى مواضع قليلة تقريبًا، لا يمكن تحويلها إلى الكتاب الآخر المشترك تقديراً للأمانة العلمية، التى ينبغى أن تراعى فى الطبعة الثالثة، و التى نحن بصددها الآن. اللهم إلا بعض التفصيلات والإضافات، التى لم ترد فى الطبعات السابقة، وقد أشرنا إلى بعضها فى كتابنا الثانى أحيانًا، وأضفت بعضها فى كتاب **«الأزهر فى ألف عام»** حينًا آخر، مع الإشارة إلى هذه الإضافة فى الهامش.

وأهم هذه الموضوعات التى أضفتها فى الطبعة الثالثة، لكتاب **«الأزهر فى ألف عام»** وهى غير قليلة، منها: استكمال تراجم أعلام الأزهر، وخاصة الأوائل من شيوخ الأزهر وأئمتهم، وإن سبقت الإشارة إليهم فى إيجاز قد يصل إلى عدة أسطر، فقد أضفت إلى هذا الكتاب فى الفصل الثانى من الباب الثالث فى الجزء الأول تراجم للأئمة شيوخ الأزهر الأوائل عن الإمام الأكبر الشيخ محمد الخراشى، أول شيخ للأزهر، حتى الإمام الأكبر محمد مصطفى المراغى، بلغت ثمانى وعشرين ترجمة لشيوخ الأزهر، أضفتها قبل ترجمة الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى، من هذا الفصل، حتى تتكامل سلسلة تراجم شيوخ الأزهر فى هذا الكتاب.

ولكى التزم بتوقيت ومساحة كتاب **«الأزهر فى ألف عام»** أكتفيت بمن يدخل فى إطارها، من خلال الألف عام، التى تبدأ من عام [٣٦٥هـ - ٩٧٦م]، حين بدأت الحلقات العلمية للتدريس فى الأزهر، مع العلم بأن بداية تأسيس الجامع الأزهر فى (جمادى عام ٣٥٩هـ - يونيو عام ٩٧٠م] وتمَّ البناء فى [رمضان ٣٦١هـ/ يونيه ٩٧٢م].

لهذا اكتفيت بما اكتفى به شيخى رحمه الله تعالى حين وقف عند الإمام الدكتور محمد الفحام، وترك الباقى لأنهم خارج الألف عام، وقد تناولناهم فى **«الحركة العلمية فى الأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين»**، فقد عرضنا بقية الأئمة والحركة العلمية للجميع فى هذا الكتاب، حتى نلتزم الدقة العلمية، ولا تتكرر الموضوعات فى الكتابين، إلا إذا اقتضى الأمر حسب طبيعة موضوع الكتاب لاستكمال أعلام الأزهر الشريف مع الإشارة فى الهامش هنا إلى الموضوعات التى تكررت بالزيادة أو النقصان.

ومن الإضافات الجديدة فى كتاب **«الأزهر فى ألف عام»** فى الطبعة الثالثة وضع صور الأعلام خلال تراجمهم، وصور بعض المعالم للأزهر الشريف وجامعته، وصور المؤتمرات الدولية والعالمية، التى تجسد الحركة الفكرية والعلمية والإسلامية بصفة عامة، ثم المكانة العالمية لهذه الجامعة العريقة، التى تعد أقدم جامعات العالم على الإطلاق، فقد سبقت كل الجامعات، وكان لها الأثر الكبير فى نشأة جامعات

العالم كلهـا، سواء اعتـرفوا بذلك أم أنكروه، فقد اعـترف المنصفـون فى الشرق والغرب بقدم هذه الجامعة، وظهر تأثيرها فى شتى المدارس والجامعات، ومما ينبغى ذكره هنا أن بعض الأعلام وخاصة الأقدمين منهم، لم تكن لهم صور لعدم شيوع التصوير الـفوتوغرافى والشمسى فى هـذه السنوات، لكن مخيلة الأستـاذ الدكتور عبد الله سلامـة نصر، استنبطت من خلال ما ذكـر عنهم فى التراجم والتاريخ من صفـات وأوصاف، اسـتطاع بمخيلتـه أن يرسم صوراً لهـؤلاء الأعلام، قريـبة من أوصافـهم، مما يتناسب مع عصـر كل واحد منهم، كـما حدث فى صـورة الإمام الشيخ الخراشى أول شيخ للأزهر، ومـا بعده مثل الإمام الشيخ الشرقاوى بعـمامته الكبيرة التى اشتـهر بها، وهكذا حتى الإمام المراغى ومن بعده فـقد كانت صورهم حقيقية لا متخيلة، والتى تخيلهـا الأستاذ الدكتور عبد الله سلامة نصر، وينبغى أن نشكره على تخـيله، ونقدره لابتكاره، وذلك فى مـقالاته عن الأئمـة المنشورة فى صوت الأزهر، وقد استعنا بها فى هذه الطبعة الثالثة. ونبهنا إلى ذلك فى مواضعه من الكتاب، فإليه كل الشكر والتقدير على جهوده الكبيرة.

هذا وبالله تعالى التوفيق

دكتور على على صبح

فى رمضان ١٤٣٠هـ/ سبتمبر ٢٠٠٩م

✿✿✿

بسم الله الرحمن الرحيم

آراء المفكرين فى الأزهر

كتب عباس محمود العقاد عن الأزهر:

* «يكفى تاريخ كل فترة من حياة هذا المعهد الخالد، للتعريف بوظيفته التى استقر عليها، وبيان مكانته التى تبوأها من الأمة فى أيام خضوعها لسلطان الدخلاء الواغلين عليها، فقد تقرر بحكم العرف والتقليد؛ وحكم العقيدة والسمعة، أنه صوت الأمة الذى يسمعه الحاكم الدخيل من المحكومين. وأنه ملاذ القوة الروحية فى نفوس أبناء الأمة؛ وفى نفوس الحاكمين الذين يدينون بعقيدتها..»

وكتبت دائرة معارف كوليرز «Colliers»:

* ... ويفد إلى الأزهر الألوف من دول العالم الإسلامى، ويعتبر أقدم جامعة فى العالم، تدرس علوم القرآن والشريعة مع العلوم التطبيقية والأكاديمية.

وقال د. ثروت عكاشة وزير الثقافة فى مصر فى الندوة الدولية للعيد الألفى للقاهرة المنعقدة فى مارس ١٩٦٩.

ولقد هُيىء لهذه المدينة منذ إنشائها أن تقوم فيها أقدم جامعة فى العالم، وهى جامعة الأزهر، التى كانت منذ إنشائها منهلا للثقافة الدينية، مكنت القاهرة بذلك أن تحمى لواء الثقافة الدينية بين شعوب العالم الإسلامى. كما كانت تلك الجامعة الأزهرية مشعلا للفكر. فأيقظت الرأى، وأنارت الطريق أمام المفكرين. وكذلك كانت المبعث للنهضة العربية فى القرن الماضى. وأصبحت كعبة للقاصدين فى الشرق والغرب.

ثم قال: إن مما زاد من شأنها وقوعها فى منطقة بين بحرين وبين قارتين، ولقد مكن لها هذا الموقع أن تصبح حاضرة من حواضر العالم منذ زمن قديم؛ وأن تتجمع فيها ثقافات فرعونية وأغريقية ولاتينية وبيزنطية وإسلامية ومسيحية. فاكتست بهذا مكانة ومنزلة على مر السنين.

يقول الدكتور بيير دوج P. Dodge فى كتابه عن «الأزهر»:

* «إن الأزهر ظاهرة ظهرت مع الزمن شيئًا فشيئا، عشرة قرون قام فيها حارسًا أمينًا على الدين الإسلامى وعلى اللغة العربية»:

وكتب الشيخ على الطنطاوى من علماء سوريا:

* «أولئكم علماء الأزهر، وهل فى الدنيا معهد علم له قدم الأزهر، وعظمة الأزهر، وأثر الأزهر فى الفكر البشرى وفى الحضارة الإنسانية؟

أى معهد يجر وراءه أمجاد ألف سنة؟ فالأزهر درة الدهر تكسرت على جدرانه أمواج القرون وهو قائم. . »

وكتب الدكتور أحمد زكى:

* «إنى أدعو كل مفكر أن يفكر فى الأزهر، وكل كاتب أن يكتب فى الأزهر مدرسة الإسلام الكبرى، ليتحقق للأزهر ما يبتغيه وما ينبغى له على ضوء من الفكر هاد إن شاء الله».

وكتبت دائرة معارف القرن العشرين: إن الجامع الأزهر هو أقدم جامعة علمية فى العالم، ويعتبر مركزًا لنشر علوم القرآن عبر التاريخ.

✿✿✿

تصدير

الأزهر هو النشيد الإسلامى الخالد، الذى ترده الأجيال، وتتناقله الألسن من جيل إلى جيل، على مر العصور.

والجامع الأزهر هو الدعامة الأولى، التى استطاع الفاطميون من ألف سنة أن يحققوا بها أهدافهم الدينية والسياسية، وأن يهيمنوا بها على الشعوب الإسلامية، ولا يزال المحراب الرابع الذى يقدسه ويجله المسلمون كافة، فى مشارق الأرض ومغاربها.

والجامعة الأزهرية هى أقدم وأعرق الجامعات العلمية فى العالم كله حتى اليوم.

وإن هذا التاريخ الخالد، والتراث العظيم، والمشاركة الجبارة، للأزهر الشريف، فى الحياة المصرية والإسلامية عامة.. لهى الدافع الأكبر لنا على إخراج هذا التاريخ الحافل للأزهر، فى ذكرى بنائه الألفية.

وإنه لمن دواعى الفخر للأزهر الشريف أن ينظر إليه المسلمون كافة خلال العشرة القرون الماضية، نظرة مملوءة بالإكبار والإجلال، وأن يعتبروه كعبتهم الثانية التى استبدت بشرف المحافظة على التراث الإسلامى المجيد.

وفى هذه الدراسة تاريخ لحياة هذه الجامعة العريقة، من شتى جوانبها الروحية والعقلية والعلمية والتاريخية.. والله ولى التوفيق، وواهب السداد، وما توفيقى إلا بالله.

المؤلف



المقدمة

الأزهر فى مقدمة الجامعات العلميـة التى سارت مع التاريخ أجيالاً طوالاً، فهو أطولها عـمرًا، وأجلها أثرًا فى تاريخ الفكر العـربى والإسلامى، وإن ألف سنة أو تزيد، قضاها الأزهر الجـامعى، وشاهد أحداثها الضـخمة، واشترك فـيها فى هذه الأحداث مؤثرًا وموجـهًا وبانيًا، لتاريخ ممعن فى الطول، لا يمكن استيـعاب حياة جامعة علمية لم تدون أخبارها فـيه، إلا بمشقة وعسر وجهد وإرهاق شديد.. ولم تعمر فى الشرق جـامعات علمية غيـر الأزهر فى القاهرة، والزيتونة فى تونس.. ولكن الأزهر ينفرد بضـخامة ما أحدث من آثار فى تاريخ العـرب والمسلمين، من شتى النواحى الروحيـة والثقافية والـفكرية والسياسية والقـومية والاجتمـاعية، بل والاقتصادية كذلك.

والأزهر -طول عـصور التـاريخ- حـارس التراث العـربى، ومـجدد الثـقافـة الإسلامية، والمشعل الذى يضىء ولا يخبو، والملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل مكان، والضـوء الذى ينيـر لهم الطريق، ويبـصـرهم سواء الـسبـيل... والأزهر اليوم يتدثر برداء هذا المجد الخالد، وذلك التاريخ القديم المجيد، وإن كان قد أصـبح وئيد الأثر والتأثيـر فى حياة الناس، فى الماديـة المظلمة التى يعش فيـها عـصرنا الحـاضر، وسـار وراء المتنافسـين فى ميـدان التـجديد والابتكار واليـقظة الفكرية، وقيدته أغلال ثقيلة من الركود وفقـدان الحيوية، وأساءت إلى سمعته بين الناس التيارات السياسية التى كانت تدخل فى العصور السابقة إلى أروقته ومحاريبه ومعـاهده. هدامة، قاطعـة ما بين الأزهر والناس من أسـباب، واستـغلال بعض الناس له، حفاظًا على منصب، أو تملقًا لذى سلطان.

ولكن الأزهر -مع ما انتابه فـى بعض الأحايين من الحيرة والتردد- يسـير اليوم منطلقًا إلى غـاياته وأهدافه ومثله، يتطلع فى نظرة الواثق إلى المسـتقبل، ويحـتقر هؤلاء المترددين والحـائرين والمعوقين، وتنظر مـئذنته الشـماء فى سخرية وإشـفاق واحتقار، إلى الذين يحاولون أن يبنوا وأن يهدموا، فلا يستطيعون هدمًا ولا بناء.

والأزهر اليوم يأبى النوم والحياة حوله صاخبة مضطربة متحركة، وهو يكره اللهو وقد خلقه الله وخلق الحياة للعمل والجد والحيوية والنشاط.

وإذا كانت أول خطوة لفهم الإنسان لنفسه ولرسالته فى الحياة هى أن يعرف تاريخه، ويعى ماضيه، ويدرس ما يتصل به من مقومات وخصائص وتراث، فإن هذا الكتاب لمما يساعد على هذه الدراسة وتلك المعرفة وهذا الوعى، التى هى العنصر الأول فى البعث واليقظة والإحياء[1]. وإنى لأقدمه إلى القارئ، معتزاً بأنى أقدم له ثمرة مجهود شاق، وبتوفيق الله الذى لا ينسانى، وما توفيقى إلا بالله.

المؤلف

❁❁❁

(١) راجع كتابات لى عن الأزهر: «أ د. محمد عبد المنعم خفاجى».
- ص١٤٧ قصص من التاريخ- للمؤلف: قصة الأزهر الجامعى بعد عشرين عامًا. «أ د. محمد عبد المنعم خفاجى».
- ص٥٠ نداء الحياة- للمؤلف: الأزهر الخالد.
- ص٥٨ نداء الحياة - للمؤلف: الأزهر العظيم.
- ص٦٥ نداء الحياة - للمؤلف: رسالة الأزهر فى القرن العشرين.
- ص٥٥ فصول من الثقافة المعاصرة- رسالة الأزهر فى النصف الثانى من القرن العشرين.

الباب الأول

الأزهر خلال التاريخ

الفصل الأول

مصر الإسلامية قبل إنشاء الأزهر

- ١ -

فتحت مصر فى عهد عمر بن الخطاب عام ١٨هـ على يد عمرو بن العاص، وبنى بها مسجده الجامع المعروف اليوم باسم **«جامع عمرو بن العاص»** عام ٢١هـ[١]، واختط الجيزة فى هذه السنة أيضًا، كما اختط مدينة الفسطاط حول مسجده الجامع، واتخذها عاصمة مصر، وحفر خليج أمير المؤمنين الموصل للنيل بالبحر الأحمر[٢].

ووفد كثير من القبائل العربية على مصر زرافات ووحدانا، وأقاموا بها، وذاعت اللغة العربية بين أهليها، بسبب اتصال العرب بأهل مصر واختلاطهم بهم.

وقد استقر بمصر كثير من الصحابة[٣] ومشاهير التابعين[٤] وأتباع التابعين[٥]، ونشأت بها طبقة من المجتهدين كالليث بن سعد المتوفى[٦] عام ١٧٥هـ، وهاجر إليها الإمام الشافعى[٧] المتوفى عام ٢٠٤هـ، وخلفه البويطى المصرى المتوفى عام ٢٣١هـ[٨].

وقد نمت الحركة العلمية فى الفسطاط، وكثرت الحلقات فى مسجد عمرو الذى كان مركزًا علميًا لنشر الدين الإسلامى وتعاليمه السمحة.

---

(١) ١٣٣ جـ٢ حسن المحاضرة

(٢) راجع الجزء الأول من حسن المحاضرة للسيوطى.

(٣) راجع ٧٢ جـ١ حسن المحاضرة وما بعدها.

(٤) راجع ١٠٥ جـ١ حسن المحاضرة وما بعدها.

(٥) راجع ١١٢ جـ١ حسن المحاضرة وما بعدها.

(٦) راجع ١٢٠ جـ١ حسن المحاضرة وما بعدها.

(٧) راجع جـ ١٢١ جـ١ حسن المحاضرة وما بعدها، ١٣٨ جـ١ ابن خلكان.

(٨) راجع ١٢٣ جـ١ حسن المحاضرة وما بعدها.

وكبرت هذه الحركة العلمية واتسعت، ونمت وازدهرت، وأم هذا المسجد الجامع كثير من العلماء الأعلام، والأئمة المجتهدين، ممن أفادوا العالم الإسلامى، وأدوا له خدمة صادقة فى ميادين الدين والشريعة، واللغة والعلوم.. وأشهر هؤلاء: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن لهيعة، ثم الليث بن سعد.. وقد كان للإمام محمد بن إدريس الشافعى بمسجد عمرو زاوية يدرس فيها مذهبه، ويدون آراءه، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الفضلاء الذين دونوا مذهبه، ونشروا علمه: كالربيع بن سليمان، والمازنى، والبويطى، وغيرهم.. وكان أبو تمام يسقى الماء فى جامع عمرو، وفيه كانت دراسته الأولى.

وقد انتشر المذهب الشافعى فى مصر على يدى الشافعى وتلاميذه، ومن قبل كانت السيادة للمذهب المالكى، الذى كان أول من أدخله إلى مصر عثمان بن الحكم الجذامى[١] المتوفى عام ١٦٣هـ. كما كان أول محاولة لنشر المذهب الحنفى فيها على يد القاضى إسماعيل بن سميع الكندى[٢]، الذى ولاه العباسيون قضاء مصر عام ١٦٤هـ، فعمل على نشر مذهب أبى حنيفة فيها، وكرهه المصريون من أجل ذلك كرها شديداً.

ويذكر السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة كثيراً ممن كانوا بمصر من حفاظ الحديث ونقاده[٣]، ومن المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ[٤]، كما يذكر من كان بها من الفقهاء الشافعية[٥] والمالكية[٦] والحنفية[٧].. أما الحنابلة فكانوا قليلين فيها، ولم يسمع السيوطى كما يقول بخبرهم إلا فى القرن السابع وما بعده[٨]. كما يذكر من كان بها من أئمة القراءات[٩]، ومن الصلحاء والزهاد والصوفية[١٠]

(١) ١٩٠ جـ ١ حسن المحاضرة.
(٢) ١٩٦ جـ ١ المرجع.
(٣) ١٤٥ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(٤) ١٥٥ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(٥) ١٦٧ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(٦) ١٩٠ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(٧) ١٩٧ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(٨) ٢٠٥ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(٩) ٢٠٧ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(١٠) ٢١٨ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.

وأئمة النحو واللغة[١]، وأرباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكماء والأطباء والمنجمين[٢]، وقد ظل التدريس فى الجامع العتيق عامر الحلقات مدة طويلة.

خضعت مصر -أول ما خضعت للحكم الإسلامى- للخلفاء الراشدين، ثم لدولة بنى أمية، ثم لدولة بنى العباس، وكان يختار لها ولاة يثق بهم الخلفاء.

- ٢ -

واستقل بمصر أحمد بن طولون، وكان قد ولى الحكم فيها سنة ٢٥٣هـ، ثم أضيفت إليه نيابة الشام والعواصم والثغور وإفريقية، فأقام بها مدة طويلة، وبنى جامعه المشهور، وكان ميلاده فى بغداد عام ٢١٤ وكان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح السمانى عامل بخارى إلى المأمون، واستمر ابن طولون أميرًا على مصر حتى مات بها عام ٢٧٠هـ[٣]، وولى بعده ابنه أبو الجيش خمارويه، وظل أميرًا على مصر حتى قتل عام ٢٨٢هـ، وولى بعده ابنه «جسش» فأقام تسعة أشهر قتل بعدها، وخلفه أخوه هارون بن خمارويه الذى ظل أميرًا على مصر حتى قتل عام ٢٩٢هـ، وولى عمه أبو المغانم شيبان، فورد من قبل المكتفى بعد اثنى عشر يومًا من ولايته محمد بن سليمان الواثقى الذى سلم إليه شيبان الأمر، واستصفى أموال آل طولون، وانقضت الدولة الطولونية، وامحت أيامها من تاريخ مصر السياسى.

كان من البديهى أن تكون عاصمة الملك فى أيام الدولة الطولونية هى مدينة أحمد بن طولون، وأصبح مسجده المشهور محط الرحال، ومجلس العلماء، ومستقرًا للحلقات العلمية الكثيرة التى تدرس فيها علوم الدين واللغة والأدب.. وظهر فى مصر وفى حلقات مسجد أحمد بن طولون كثير من العلماء والأئمة والأدباء والشعراء.

ومع ذلك فقد ظل «مسجد عمرو» يؤدى رسالته بجانب المسجد الطولونى الكبير، بل ظل إلى أمد قريب يعج بالحلقات والعلماء، حتى يروى أنه كان فيه قبل عام ٧٤٩هـ بضع وأربعون حلقة، لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه[٤].

(١) ٢٢٨ وما بعدها جـ ١ حسن المحاضرة.
(٢) ٢٣٢ جـ ١ حسن المحاضرة وما بعدها.
(٣) راجع ٩ و١٠ جـ ٢ حسن المحاضرة.
(٤) ١٣٦ جـ ٢ حسن المحاضرة طبعة القاهرة ١٣٢٧.

أسس جامع ابن طولون[١] عام ٢٦٣هـ، فى مدينة أحمد بن طولون التى سماها «القطائع»، وفرغ من بنائه عام ٢٦٦هـ. وصلى فيه القاضى بكار إمامًا وخطب فيه أبو يعقوب البلخى، وأملى فيه الحديث الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعى[٢]، وظلت الحلقات العلمية فيه إلى أمد بعيد، فكانت فيه دروس للتفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة، والقراءات والطب والميقات[٣]. وكان أعمر ما يكون فى دولة بنى طولون.

- ٣ -

وفى عام ٣٢١هـ ولى على مصر من قبل خلفاء بنى العباس محمد ابن طفج الإخشيدى الذى أقام الدولة الإخشيدية فى مصر والشام، ومات فى ذى الحجة عام ٣٣٤هـ، وخلفه ابنه أبو القاسم أنوجور وكان صغيرًا، فأقيم أستاذه كافور الإخشيدى وصيا عليه، وحكم المملكة باسمه، ومات أنوجور عام ٣٤٩هـ، فقام أخوه على مقامه حتى مات عام ٣٥٥هـ، فاستقرت المملكة باسم كافور ودعى له على المنابر فى مصر والشام، ومات عام ٣٥٧هـ، فولى المصريون بعده أبا الفوارس أحمد بن على بن الإخشيد، فأقام شهورًا حتى فتح الفاطميون مصر، وانتزعها جوهر الصقلى منه عام ٣٥٨هـ.

وفى عهد الدولة الإخشيدية ظل المسجد العتيق ومسجد أحمد بن طولون يؤديان رسالتهما العلمية.

كانت الحلقات العلمية فى هذين المسجدين حافلة بالعلماء والمتعلمين، وكانت تعقد حلقات خاصة فى منازل أكابر العلماء والفقهاء، حيث كانوا يجتمعون بتلامذتهم، يقولون ويدرسون بعض شروح الفقه الإسلامى، وبعض كتب العبادات والتصوف واللغة والأدب، ومن ذلك حلقة ببيت عبد الله بن الحكم الفقيه المالكى وولديه عبد الرحمن ومحمد، وكانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث... وهذه الأسرة هى التى أكرمت وفادة الإمام الشافعى فى مصر.. وفى

(١) ١٣٦ جـ ٢ حسن المحاضرة طبعة القاهرة ١٣٢٧.

(٢) ١٣٧ جـ ٢ المرجع السابق.

(٣) ١٣٨ جـ ٢ المرجع السابق.

القرن الرابع كان العلماء فى المسجد العتيق والمسجد الطولونى عديدين، وكان من أشهرهم: أبو القاسم بين قديد، وتلميذه الكندى صاحب الكتاب المشهور فى تاريخ ولاة مصر وقضائها، وأبو القاسم بن طباطبا الحسنى الشاعر. وكانت مجالس الدراسة والحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة المصرية العالية، وشجع الإخشيدى وخلفاؤه العلوم والآداب ودراسة الشريعة، وكانت حلقة المتنبى الذى وفد إلى مصر عام ٣٤٦هـ- ٥٩٧م من أحفل مجالس الأدب والشعر والنقد.

ولقد كانت السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور تعتكف بمسجد عمرو.

❁❁❁

الفصل الثاني

مصر في ظلال الدولة الفاطمية

تمهيد:

إن شيعة على كرم الله وجهه بعد مقتل على ظلت تتوارث الدعوة إلى خلافة آل البيت، لإعـادة الملك والخلافة للعلويين، وزعم الكثير منهم أن الخلافة لم تصح ولن تصح لغير أهل البيت من أولاد على.. ولما عجز العلويون عن الاستحواذ على السلطة من طريق السياسة والقوة، لقتل من خرج من أئمتهم، التمسوها من طريق الدين، فقالوا: إن الله لا يترك خلقه بدون إمام حق، واعتقدوا أن ذلك الإمام هو المهدى المنتظر، الذى يبيد المغتصبين، ويحيى مجد بيت رسول الله.

بدء الدعوة للفاطمية:

فى عام ٢٨٠هـ- ٨٩٣م ذهب أحد دعاة الشيعة، واسمه «أبو عبد الله الشيعى» إلى بلاد البربر بشمالى إفريقية، داعيًا لعبيد الله بن محمد من نسل جعفر الصادق، فنجح فى دعوته «وطرد الأمير الأغلبى الحاكم لتلك البلاد التابع للدولة العباسية، وذلك عام ٢٩٦هـ- ٩٠٨م، وأعلن أن الخليفة الحقيقى للمسلمين ورئيس دينهم المنتظر هو إمامه «عبيد الله» الملقب بالمهدى، من نسل فاطمة بنت رسول الله، ولذلك سميت سلالته بالفاطميين.

قيام الدولة الفاطمية:

حضر عبيد الله إلى بلاد المغرب وظل ملكًا عليها مدة كبيرة (٢٩٧- ٣٢٢هـ: ٩١٠- ٩٣٤م)، كان الأمر فيها كله بيده، وأخضع قبائل العرب، والبربر، ودان له الحاكم المسلم الوالى على جزيرة صقلية، وجاهد فى سبيل نشر الدين ومحاربة البدع فى تلك البلاد، وكان من أكبر أمانيه فتح مصر، فأرسل لغزوها ثلاثة جيوش: اثنين منها بقيادة ابنه «أبى القاسم» فحال دون نجاحه عدة أمور، منها مجاعة فى المغرب حدثت عام ٣١٦هـ، ووباء فشا فى أحد هذه الجيوش، وفتكت عدواه بأهل المغرب.. وشغل عبيد الله بالأمور الداخلية باقى حياته.

وفى عام ٣٢٢هـ- ٩٣٤م خلفه ابنه الأكبر «القـائم بأمر الله أبو القاسم محمد» فبذل غاية همته فى توسـيع نطاق ملكه، وأرسل أسطولاً أغار على شواطئ إيطاليا وفرنسا والأندلس، وأرسل جيشًا إلى مصر هزمه الإخشيد، ووطد ملكه فى شمال إفريقية.

وخلفه «المنصور إسماعيل» سنة ٣٣٣هـ- ٩٤٥م، فسار فى الملك سيرة أبيه نحو سبع سنوات.

ولما مات خلفه ابنه «المعز لدين الله أبو تميم معد» سنة ٣٤١هـ- ٩٥٣م، فكانت أيامه مبـدأ عصر جديد فى تاريخ الفـاطميين، وكان مـثقفًا ثقافـة عالية، سيـاسيًا داهية، وطـد ملكه فى بلاد المغرب، فـدانت له جمـيع رؤساء القـبائل المغـربية، وخضـعت له مراكش بأكـملها حتى شـواطئ المحيط الأطلسى.. ثم صـرف همه لفتح مصر، فحفر الآبار، وبنى أماكن للاستراحة فى الطريق الموصل إليها، وكانت مصر وقتئذ فى اضطراب لحقها عقب وفاة كافور، ولم يكن فى وسع خلافة بغداد مساعدتها لاشـتغالها بصد غارات القرامطة، وكان دعـاة المعز ينشرون دعوتهم فى أنحاء كثيـرة من القطر المصرى.. ووكل المعز قيادة الجيش الفـاتح إلى أكبر قواده، وهو جوهر الصـقلى الرومى الأصل، وكان تحت إمـرته مائة ألف مـقاتل بالآلات الحربية، وبالمال الكثير.

جوهر الصقلى فاتح مصر:

ولد جوهر بجزيرة صقلية نحو عام ٣٠٠هـ، ومع أنه رومى الأصل إلا أنه نشأ فى صقلية نشأة إسـلامية خالصة، فقد دخل الإسـلام جزيرة صقلية سنة ٢١٢هـ، ويرجح المؤرخون أن أباه كان مسلمًا[1].

واتصل جوهر ببـلاط المعز، ويبدو أنه كان فى حـاشيته العسكـرية، وقد قربه الخليفـة الفاطمى، لما توسمـه فيه من الإخلاص للديـن، ولمواهبه الفذة وثقافـته الواسعة، وظل يتـدرج فى سلك المناصب فى دولة المعز، حتى اتخذه المعـز كاتبًا له عام ٣٤١هـ- ٩٥٣م، وهى السنـة التى ولى المعز فيـها الخلافـة، ثم رقاه إلى

---

(١) تاريخ جوهر الصقلى لعلى إبراهيم حسن ط ١٩٣٣.

منصب الوزارة سنة ٣٤٧هـ، وولاه قيادة جيش كثيف لتوسيع ملك المعز فى شمالى إفريقية، وقد انتصر جوهر، وتوغل فى فتوحه حتى وصل إلى شاطئ المحيط الأطلسى.

ولما فكر المعز فى فتح مصر أسند لجوهر قيادة الجيش الفاتح، ولما رحل جوهر من القيروان إلى مصر فى يوم السبت ١٤ ربيع الثانى عام ٣٥٨هـ- فبراير ٩٦٩م، خرج الخليفة لتوديعه بنفسه، وقال: والله لو خرج جوهر وحده لفتح مصر وليدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، ولينزلن فى خرابات ابن طولون، ويبنى مدينة تقهر الدنيا، وانشد ابن هانى الأندلسى المعزَّ قصيدته:

رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع — وقد راعنى يوم من الحشر أروع

غداة كأن الأفق سد بمثله — فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلم أدر إذ ودعت كيف أودع — ولم أدر إذ سعيت كيف أشيع

إلا إن هذا حشد من لم يذق له — غرار الكرى جفن ولا بات يهجع

إذ حل فى أرض بناها مدائنا — وإن سار من أرض غدت وهى بلقع

تحل بيوت المال حيث محله — وجم العطايا والرواق المرفع

وكبرت الفرسان لله إذ بدا — وظل السلاح المنتضى يتقعقع

وعب عباب الموكب الفخم حوله — ورق كما رق الصباح الملمع

رحلت إلى الفسطاط أول رحلة — بأيمن فأل بالذى أنت تجمع

فإن يك فى مصر ظماء لمورد — فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع

ووصل جوهر إلى برقة، ومنها سار حتى الإسكندرية فى رجب ٣٥٨هـ، ثم استمر فى سيره فدخل مصر وقت الزوال من يوم الثلاثاء ١٧ شعبان عام ٣٥٨هـ بناء على صلح عقد بين المصريين والفاطميين، وجاء فى وثيقة الصلح الرسمية[1]: إنه يتعهد بـ«نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوات، ونفى

---

(١) ٦٧- ٨٠ اتعاظ الحنفا.

الأذى ورفع الحزن، والقيام فى الحق، وإعانة المظلوم، مع الشفقة والإحسان، وجميل النظر وكرم الصحبة، ولطف العشرة وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد فى ليلهم ونهارهم إلخ».

واتصل نبأ الفتح بالمعز فسر سروراً عظيمًا، ونظم ابن هانئ أمامه قصيدته:

تقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟ فقل لبنى العباس: قد قُضى الأمر

وأخذ جوهر يعمل على بث الدعوة للمعز الفاطمى فى مصر خاصة، ولأهل بيته من العلويين عامة، واختط مدينة القاهرة المعزية، وبنى الأزهر الشريف، وصار جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الأزهر مراكز للدعاية لعقائد العلويين الفاطميين ودعوتهم، كما كانت الدعوة لهذا المذهب تذاع على يدى داعى الدعاة ومن كان يعاونه من الدعاة.

خطب للمعز فى جامع عمرو فى التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ-٩٦٩م، وكان ذكر المعز فى خطبة الجمعة بدل اسم الخليفة العباسى حادثًا خطيراً فى تاريخ مصر، وفى يوم الجمعة ١٨ من ذى القعدة سنة ٣٥٨هـ دعا الخطيب الأول لآل البيت وزاد فى الخطبة: «اللهم صل على محمد المصطفى، وعلى على المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم صل على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين»... وفى يوم الجمعة ٨ جمادى الأولى ٣٥٩هـ صلى جوهر بجامع ابن طولون وأذن المؤذنون: «حى على خير العمل».. أما الجامع الأزهر فقد كان أهم مركز للدعوة الفاطمية.

ولا ننسى أن نذكر أن جوهراً قد وضع أساس المدينة الجديدة القاهرة المعزية فى الليلة التى دخل فيها مدينة الفسطاط، أى فى ١٧ شعبان ٣٥٨هـ- ١٧ يوليو ٩٦٩م، وأقام فيها قصر الخليفة المعز، ووضع أساسه فى اليوم التالى.. وتشمل القاهرة المعزية على ما رواه المقريزى أحياء: الجامع الأزهر والجمالية والحسينية وباب الشعرية والموسكى والغورية وباب الخلق، وقد أحيطت القاهرة بسور كبير من اللبن، وكانت بولاق هى ميناء القاهرة، وقد أصبحت بولاق بعد ذلك بمدة

كبيرة مدينة تجارية منذ سنة ٧١٣هـ، عندما أمر الملك الناصر بعمارتها، وبنى بها الدور على شاطئ النيل، فسكنها الناس وعمروها. وقد جعل جوهر للقاهرة أربعة أبواب هي: باب زويلة، وباب النصر، وباب الفتوح، وبوابة المتولى.

وبعد ذلك رحل المعز من مدينته المنصورية[1]، ودخل القاهرة فى ٧ رمضان سنة ٣٦٢هـ نصف يونيو ٩٧٣م، وظل ملكًا على مصر حتى توفى عام ٣٦٥هـ، وتوفى بعده جوهر بمدة كبيرة، وذلك عام ٣٨١هـ (١/٢٠ ابن خلكان).

المعز الملك الفاطمى:

هو الخليفة الفاطمى الرابع، ينتسب إلى رسول الله عن طريق ابنته فاطمة الزهراء وإلى على بن أبى طالب ابن عم الرسول.

ولد بمدينة المهدية قرب القيروان، وهى عاصمة الفاطميين، وذلك فى ١١ رمضان سنة ٣١٧هـ، وأمه أم ولد. وربى تربية عالية، وكان ولى عهد أبيه المنصور، وولى الخلافة عام ٣٤١هـ.. وفى عام ٣٤٨ فتحت جيوشه بقيادة جوهر مصر.

خرج المعز من المنصورية دار ملكه يوم الاثنين ٣١ شوال عام ٣٦١هـ: ٥ أغسطس عام ٩٧٢.. ودخل الإسكندرية يوم السبت ٢٣ شعبان ٣٦٢هـ: ٢٩ مايو ٩٧٣م.

وقد دخل القاهرة عام ٣٦٢هـ- ٩٧٣م، وتوفى فى ١٤ ربيع الثانى ٣٦٥هـ- ٢٠ ديسمبر ٩٧٥م، بعد أن وسع دولته، وصبغها بصبغة عالية من الحضارة والرقى والنهضة، وكانت القاهرة بعد إنشائها عاصمة ملكه الضخم.

كان نقش خاتم المعز يحمل شعار دولته وهو «التوحيد الإله الصمد دعا الإمام معد، لتوحيد الإله العظيم دعا الإمام أبو تميم».

وقد وضع على كل مصلحة من مصالح الحكومة موظفين: أحدهما مصرى والآخر مغربى.. وكان عهده على قصره من أزهى عصور مصر وأزهرها، وزادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة. وكانت القاهرة إذ ذاك تسمى «المدينة»، وكانت فى

---

(١) راجع الحديث عنها فى كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزى ١٣٦٦ جـ١، وهذا الاسم أطلقه إسماعيل بن المنصور ثالث الخلفاء الفاطميين على مدينة «صبرة» وتتصل بالقيروان وقد بناها المنصور الفاطمى فى سنة ٣٣٧هـ واستوطنها وسماها المنصورية (ص ٢٥ البكرى).

الحقيقة عبارة عن قصرين عظيمين ولواحقهما: بهما من السكان ٣٠٠٠٠ نسمة، وكان بين القصرين ميدان عظيم يكفى لاستعراض ١٠٠٠٠٠ جندى، وكان ثروة الأسرة المالكة زمن المعز وبعده فوق ما يتصور، فإن إحدى بناته ماتت وتركت وراءها ما يعادل ٣,٠٠٠,٠٠٠ ديناراً، وأخرى تركت خمسة أكياس من الزمرد ومقادير كثيرة من الأحجار الكريمة الأخرى علاوة على ٣٠٠٠ إناء فضى مطعم.

وقد بذل «المعز» غاية وسعه فى استجلاب محبة الناس واحترامهم له، بعدله، وحسن إدارته والتفاته إلى جميع دقائق شؤونهم. فكان يرأس بنفسه حفلة قطع الخليج، وزاد من محبتهم له إرساله كسوة فاخرة للكعبة كل عام. ومنع جنده من البقاء فى المدينة بعد الغروب، اجتنابًا لما عساه أن يحدث من الهياج، وألغى نظام جباية الخراج بواسطة الملتزمين، للخسارة التى كانت تلحق البلاد من وراء أرباحهم الباهظة، وبذلك زاد الخراج بدون أن يضر بمصلحة المزارعين.

وكان للمعز عدة أبناء، ومن بناته رشيدة بنت المعز، وعبدة بنت المعز[1].

وقد خلف المعز ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار[2] ٣٦٥- ٣٨٦هـ: ٩٧٥- ٩٩٦م وكان يعقوب بن كلس أكبر وزرائه.

وبعده تولى حكم مصر الحاكم بأمر الله أبو على منصور ٣٨٦- ٤١١هـ: ٩٩٦- ١٠٢١م، وقد مات مقتولاً.

وخلفه ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على ٤١١- ٤٢٧هـ" : ١٠٢١- ١٠٣٦م.

وتولى بعده ابنه المستنصر بالله أبو تميم معد ٤٢٧- ٤٨٧هـ: ١٠٣٦- ١٠٩٤م.. وظل الفاطميون يتوارثون حكم مصر[3]، حتى انتهى ملكهم منها عام ٥٦٧هـ.

---

(١) ١١٤ جـ ٥ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان.

(٢) ولد فى المهدية عام ٣٤٤هـ.

(٣) وهم: المستعلى بالله (٤٨٧- ٤٩٥هـ)، والآمر بأحكام الله المنصور (٤٩٥- ٥٢٤هـ)، ثم الأمر بأحكام الله عبد المجيد (٥٢٤- ٥٤٤هـ)، ثم الظاهر (٥٤٤- ٥٤٩)، ثم الفائز (٥٤٩- ٥٥٥هـ)، ثم العاضد (٥٥٥- ٥٦٦هـ).

الفصل الثالث

تأسيس الأزهر وبدء حياته الجامعية

الأزهر بيت العلم العتيق، ومثابة الثقافة الإسلامية، حمل لواء المعرفة فى مصر وفى الشرق الإسلامى قرونًا متصلة، وحفظ التراث الإسلامى دينًا ولغة من عاديات الزمن، ونشره فى الآفاق، ولم يبخل به على أى طالب علم قصده من مشارق الأرض أو مغاربها. وقد ظل الأزهر طوال ألف سنة -وما يزال حتى اليوم- كعبة العلم والدين، ومعقد آمال المسلمين، وقد تخرج فيه أفواج وأفواج من جلة العلماء انتشروا فى بقاع الأرض، وحملوا معهم مشاعل المعرفة والثقافة التى تزودوا بها فى الأزهر، فأضاءوا جنبات الأرض علمًا ونورًا وتقى.

أنشأ الجامع الأزهر جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى «المعز لدين الله»، وشرع فى بنائه يوم السبت لست بقين من شهر جمادى الأول[1] سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م)، وكمل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ ٢٢ يونيو ٩٧٢م، وكان الغرض من إنشائه أن يكون رمزًا للسيادة الروحية للدولة الفاطمية، ومنبرًا للدعوة التى حملتها هذه الدولة الجديدة إلى مصر. وقد كتب بدائرة القبة التى فى الرواق الأول وهى على يمين المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة: مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى، وذلك فى سنة ستين وثلثمائة».

وقد أطلق على هذا المسجد اسم الأزهر، نسبة إلى فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون، أو لأنه كان يحيط به قصور فخمة، وتسمى بالقصور الزهراء، أو لأنه يظن أن هذا الجامع أكثر الجوامع فخامة ورواء، أو للتفاؤل بأنه سيكون أعظم المساجد ضياء ونورًا.

---

(١) يذكر بعض المؤرخين أنه شرع فى بنائه فى يوم السبت الرابع من شهر رمضان عام ٣٥٩هـ (٢٧٣ جـ ٢ المقريزى، ٣٦٤ جـ ٣ القلقشندى).

وضع يوم السبت ٢٤ جمادى الأول سنة ٣٥٩هـ الحجر الأساسى له «وظل العمال والمهندسون يعملون فى بنائه عامين تقريبًا حتى جاءت أول جمعة رمضان سنة ٣٦١هـ، فجمعت فيه، باحتفال رسمى هائل، تجلت فيه أبهة الملك وسؤدده وعظمته، التى اشتهر بها الفاطميون أكثر من سواهم. والمقريزى يصف لنا هذا الاحتفال وصفًا شائقًا يفيض روعة وجلالاً.

وبعد أن استقر سلطان المعز، وتم بناء المعقل الذى أقامه للدعوة، أفرغ جهده فى إحكام دولته وتنظيمها، ووفق فى ذلك أكثر توفيق، وقطع المعز الفاطمى كل علاقة بينه وبين الخليفة العباسى، وقضى على كل صلة روحية له فى مصر، فقصر التدريس فى الأزهر على المذهب الفاطمى فى الفقه، وتعاليم الفقه، وتعاليم الشيعة فى الدين والفلسفة والتوحيد، واستجلب لهذه الدراسة أكابر العلماء وفطاحل الفقهاء فى عصره، وكان عددهم ثلاثين عالمًا، أجزل لهم العطاء وبنى لهم منازل فخمة ألحقت بالأزهر فيما بعد، وصارت من أروقته، وشرعوا يدرسون ويتفقهون فى مذاهب الفاطميين وتعاليمهم ويهدمون بذلك المذاهب الأخرى التى كانت شائعة فى بغداد مقر الخلافة وسائر البلاد الإسلامية، وكانت هذه النخبة الممتازة من الأساتذة وعلى رأسها كبير العلماء «أبو يعقوب قاضى الخندق» سببًا من الأسباب التى جعلت الأزهر يصبح يقبل كل طالب من أقاصى الأرض بعد أن ذاع صيته فى الآفاق. وذكر المقريزى أن أول ما درس فى الأزهر الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة، : «فإنه فى صفر سنة ٣٦٥هـ جلس قاضى مصر «أبو الحسن على ابن النعمان ابن محمد بن حيون» وأملى مختصر أبيه فى الفقه على أهل البيت، ويعرف هذا المختصر بالاقتصار، وكان جمعًا عظيمًا أثبتت فيه أسماء الحاضرين. . فكان الأزهر على ذلك ظل معطلاً منذ افتتاحه أربع سنوات من التدريس حتى جاء صفر سنة ٣٦٥هـ وافتتحت الدراسة فيه باجتماع عظيم حضره كثيرون، وقيدوا أسماءهم».

واستوزر (المعز) وابنه (العزيز) من بعده الوزير يعقوب بن كلس، وهو يهودى الأصل ثم أسلم، ولعل الخليفة تخيره لما اشتهر عن اليهود من الحذق فى الدعاية وإتقانها، وقد نشط الوزير فألف كتابًا فى الفقه، يتضمن ما سمعه من الخليفة المعز

وابنه من بعده. وهذا الكتاب مبوب على أبواب الفقه الفاطمى، وكان يقرؤه على الناس، وكان يجلس بنفسه يوم الجمعة، يقرأ على الناس فى مجلس خاص به مصنفاته، كما يجتمع يوم الثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل.

قام المعز بتأسيس الأزهر إذن، واستوزر ابن كلس، وعمل على استجلاب أكابر العلماء، وأوعز إليهم تدريس الفقه الفاطمى، ولم تقتصر هذه الدعوة فى اتجاهها على هذه الناحية فقط، بل هناك ناحية سرية كان يقوم بها (داعى الدعاة) وأعوانه، من قبل الحكومة، ليبثوا تعاليم الشيعة ومبادئهم ودعوتهم من طريق السر والخفاء أحيانًا ومن الجهر والعلانية فى غالب الأحيان. وكان لهذا الداعى مجلس يفرده فى الأزهر للنساء، وهذه الدعوة كما يقول المقريزى وضعوا فيها الكتب الكثيرة، وصارت علمًا من العلوم المدونة، ثم اضمحلت وذهبت بذهاب أهلها.

سلك الفاطميون فى دعوتهم طريق الجهر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وسلكوا الخفاء والتستر إذا أعوزتهم الحاجة، وكانوا يدرسون الفقه الفاطمى علانية لأنه الوسيلة المناسبة التى يستطيعون بها الدخول على سائر الشعب المصرى، الذى كانت تغلب عليه السنة ومذاهبها سيما المذهب الشافعى منها، ولأن حاجة الناس إلى الفقه ماسة، ينظمون به شؤونهم، ويحددون به أحوالهم الشخصية، وما يتبعها من حقوق وواجبات، سيما وأن هذا الفقه فى قضاياه ليس بعيد الخلاف مع السنة، بعد مزج التعاليم الشيعية وفلسفتها مع مبادئ التوحيد الإسلامى، وكان يقوم بكل هذا العلماء المعينون وأتباعهم وكانوا يمنحون مرتبات شهرية، وجعلوا ذلك بابًا من أبواب الدعوة.. وكان القائم بهذه الدعوة هو داعى الدعاة، وهو من كبار الموظفين، وكان يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيًا بزيه، وكانت وظيفة قاضى القضاة وداعى الدعاة تسندان فى كثير من الأحيان إلى رجل واحد، وقد خصص لداعى الدعاة قسم كبير من قصور الخلفاء الفاطميين، وكان يساعده فى نشر تعاليم الفاطمية إثنا عشر نقيبًا، كما كان له نواب ينوبون عنه فى البلاد فى الشريعة الإسلامية تحت نفوذه، وله مكان خاص بالقصر فى يوم الاثنين ويوم الخميس ما أعدوه للمحاضرة فى أصول المذهب الفاطمى، وكانت المحاضرات تعرض قبل إلقائها على الخليفة، فيقرؤها ويذيلها بإمضائه، ثم تبلغ إليهم عن طريق (داعى

الدعاة) وهو الذى يعرضها بنفسه على الخليفة. وكان الداعى فوق هذا يعقد المجالس ويقرأ على الناس من مصنفاته، وكان يجلس على كرسى الدعوة فى الإيوان الكبير فيحاضر الناس، ويعقد للنساء مجلسًا خاصًا بالأزهر، وفيه يلقنهن أصول مذهب الإسماعيلية أو الفاطمية.

ولم يكن ذلك كل ما قام به الفاطميون فى نشر مذهبهم، فكانت هناك مجالس تعرض على الناس كل على حسب طبقته، فكان لأهل البيت مجلس، وللخاصة مجلس، وللعامة والطارئين مجلس، وللوافدين من البلاد الأجنبية مجلس.

وكان عندما يفرغ داعى الدعاة من إلقاء محاضرته على المؤمنين والمؤمنات أقبلوا عليه؛ فقبلوا يديه فيمسح على رؤوسهم بالجزء الذى عليه إمضاء الخليفة، وكان من اختصاص (داعى الدعاة) جمع النجوى، وتدوين اسم من يدفع إليه أكثر من المال المقرر، والنجوى نوع من الصدقة مقدارها ثلاثة دراهم وثلث درهم، أما السادة الإسماعيلية فكان الواحد منهم يدفع ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثى دينار، ويمتازون عن عامة الناس، فيعطى الواحد منهم رقعة مذيلة بإمضاء الخليفة، وفيها هذه العبارة (بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك).. وقد لاقت الدعوة الفاطمية السياسية والدينية نجاحًا عظيمًا فى خلافة الحاكم بأمر الله، فقد بذل هذا الخليفة مجهودًا كبيراً فى نشرها، حتى أرغم الناس عليها لقوانينه الجائرة وانضموا إليها مكرهين.

وأهم الكتب التى تبحث فى هذه التعاليم كما يقول الأستاذ أحمد توفيق عياد: كتاب «أسرار الباطنية للباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ» و«الملل والنحل» للشهرستانى و«رسائل إخوان الصفا»: ويجب أن يشار إلى وثيقة هامة فى هذا الموضوع وهى المخطوط الموجود بدار الكتب بالقاهرة وعنوانها (رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بأمر دعوته). كما أنه يوجد مخطوط آخر فى أربعة مجلدات بالمكتبة الأهلية بباريس عنوانه (المشاهد والأسرار التوحيدية لمولانا الحاكم).

ومنها يتبين أن الدعوة قد بنيت على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة والفلسفة وهى أساس الشريعة عند الفاطميين قد حلت فى عهد الحاكم فى محل القرآن والسنة، ومنها يتضح كيف بلغت هذه الدعوة وعملت فى عقول

الأهالى حتى تجاسر الحاكم أن يدعى الألوهية، وأن الله قد تجسم فى شخصه. وهذه الدعوة تلخص لنا تعاليمهم، والأصل فيها أنهم أخذوا مذهب الأفلاطونية الحديثة وطبقوه على مذهبهم الشيعى تطبيقًا غريبًا، واستخدموا ما نقله إخوان الصفا فى رسائله من هذا المذهب الأفلاطونى.

ودعوتهم مرتبة على منازل، دعوة بعد دعوة، حتى تبلغ هذه الدعوات تسعا يبدأ الداعى أولاً باستدراج المدعو بعد أن يكون قد وقف على هذه التعاليم ومبلغ إيمانه بدينه، ويستهويه إلى هالته العقلية، ويشرع يشككه فى أفكاره بأسئلة إنكارية: ما معنى العدو بين الصفا والمروة؟ ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة وما بال الله قد خلق الدنيا فى ستة أيام؟ أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المضروب فى القرآن مثلاً والكاتبين والحافظين؟ أخاف أن نكابره ونجاحده حتى أدلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك فى القرطاس بالكتابة؟

وهكذا يستمر يلقى الأسئلة سراعًا، وينفث سموم الريب فى النفس، ثم يعقب على هذه الأسئلة بأسئلة الغرض منها استهواء المدعو إلى حظيرة الفلسفة والهرطقة التى كانوا يقولون بها: أين أرواحكم؟ وكيف صورها وأين مستقرها؟ وما أول أمرها؟ والإنسان ما هو؟ وما حقيقته؟ وما الفرق بين حياته وحياة البهائم؟ وما معنى قول الفلاسفة: الإنسان عالم صغير والعالم إنسان كبير؟ وأمثالها حتى إذا علم الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها، قال له حينئذ: لا تتعجل فإن دين الله أعلا وأجل من أن يبذل لغير أهله، ثم بعد حديث وإغواء يأخذ عليه عهدًا ألا يفشى سرًا، ولا يظاهر أحدًا عليهم، ولا يطلب لهم غيلة، ولا يكتمهم نصحًا! ولا يوالى عدوًا لهم، فإذا أعطى العهد طلب منه جعلاً من المال يجعله مقدمة أمام كشفه له الأمور وتعريفه إياها.

وينتقل إلى الدعوة الثانية ومرماها إثبات ضرورة وجوب الإمام الذى ينصبه الله للناس، وإلى تقرير أن الأئمة السبعة آخرهم محمد بن إسماعيل ابن جعفر، وهو صاحب ذلك الزمان، وعنده علم المستورات وبواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره، وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد إليه

والتسليم له، لأن الهداية فى موافقته واتباعه، والضلال والحيرة فى العدول عنه. . ثم ينتقل إلى تعليل اعتقادهم فى الأئمة والنقباء الإثنى عشر.

وهنا يكون الداعى قد تمكن من نفس المدعـو، فيعمل على تعميـر منطقة العقل ويدعوه إلى النظر فى كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس، وينهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات.

ثم ينتـقل إلى إثبـات معـجزة النبى الـصادق والوحى على طريقـة تعـاليمـهم الشيعيـة. وقد ظلت الدعوة قائمة إلى هذه المبادئ، وكان من زعـمائها فى القرن الخامس الهجرى «الحسن بن محمد الصباح».

وهذه التعاليم تظهر بجلاء فى رسائل إخوان الصفا، وتوهم أن الروح التى أملتها روح عاليـة تتسع آفاقها لاستـيعاب حيز كبيـر من حقائق هذا الوجود، وأن العقلية التى أخرجـتها عقلية حرة جريئـة، والواقع ربما يخالف هذا؛ فإن الفاطميـين وإن كان يشم من كلامهم الدعوة إلـى وحدة الوجود، والنظر إلى هذا العالم بـعين الحكمة والاعـتبـار والتفلسف، إلا أنهم أفسـدوا هذه النظرة السامية بحجرهم على العقول فى الاعتـقاد بأئمتهم، وأفسدوا كل شىء حينما حاولوا أن يستغلوا ما فى هذه التعـاليم من طرافة وطلاوة لمصلحتهم الخاصة، بمحاولة تطبيقـها على ما تبتغى أهواؤهم السياسـية، وأنهم حاولوا فرض شىء كثير من الاسـتبداد على عقول الناس ومشاعـرهـم لحد يكاد يبلغ الجمود، وآية ذلك ظاهرة فى الفقـه فى هذا العصر، وتـوقف التفكير فـيه عند حد التـقليد وعجزه عن الابتكار والرأى والقياس. . وآية ذلك ظاهرة فى بعض شعراء هذا العصر الذين أفسدت عليهم شاعريتهم حتى صـاروا يؤلهون الحـاكم ويعتقدون أن الله قد يتجسـم فى شـخص الأئمة والخـلفاء: من ذلك ما قاله ابن هانئ الأندلسـى فى المعز:

مـا شـئت لا مـا شـاءت الأقـدار ... فـاحكم فـأنت الواحـد القـهـار

وكـأنما أنـت النبـى مـحـمـد ... وكـأنما أنصـارك الأنـصـار

وهو الذى تجـدى شـفـاعتـه غـدا ... حـقًـا وتخـمـد إذ تراه الـنار

إنهم استمدوا تعاليمهم من الأفلاطونية الحديثة، وأخذوا ما نقله إخوان الصفا عنها وعن الفسلفة اليونانية؛ فأفسدوها حينما أرادوا تطبيقها على الناس، يبتغون من وراء ذلك تشكيل عقائدهم بأسلوب يضمن لهم السلطان والأمامة. ومثل هذا الأسلوب فى التفكير والاعتقاد أقرب إلى أن يكون فارسيًا منه إلى أى شىء آخر، وقد كان للشيعة أكبر عضد فى فارس، ولعل المذهب تأثر كثيرًا بعقلى الفرس الواقعية واعتقادهم فى الحلول وتأليه الأكاسرة. ومثل هذا الأسلوب أبعد ما يكون عن النفسية المصرية، فقد صعب تمثيله وهضمه، فنبذته ولو أنها أكرهت عليه مدة طويلة.

«ولا يمكننا أن نقدر مقدار النجاح فى شيوع المذهب الإسماعيلى بمصر، وقدر الذين انتحلوه من خاصة الأمة، إلا أنا نعلم أن أثره فى العامة كان قليلاً جدًا؛ لما يروى من أخبار نفورهم من مظاهر الإسماعيلية ومن عقائدهم، ويظهر أن بيئة الفقهاء لم تتقبله، ووسموه بميسم الكفر والإلحاد، فنفر الجمهور منه، وزاد نفرته السرية التى كانت تحيط بالدعوة، فزاد ذلك فى تأييد اعتقادهم أنه خارج عن الدين توارثوه عن أئمتهم وعن علمائهم».

وهذه العبودية التى فرضها الفاطميون على العلماء بنشر تعاليمهم وحدها، وتأييد مذهبهم الفاطمى فى الفقه ومحاجتهم الناس، أثرت أثرًا بليغًا فى تطور التشريع الإسلامى، فقد سار التشريع فى هذا العهد فى دور التقليد وعدم الاجتهاد. فإن الجو لا يساعد العلماء على الابتكار والتحديد.

ولكن نلاحظ من ناحية أخرى؛ أن نشاطهم فى بث الدعوة، أدى إلى خلق هذا النوع الجديد من العلوم الذى أطلق عليها «أدب البحث»، وألفت فى قواعدها الكتب، وكثر مجالس النظر، وشاعت المناظرات والمجادلات شيوعًا.

وبقى مذهب الشيعة منتشرًا فى مصر قضاءً، وفى الأزهر دراسة، إلى أن انقرضت دولة الفاطميين.

وعادت لمصر حينئذ السنة المحمدية، وأول مذهب سنى درس بالأزهر المذهب الشافعى، وانقرض من ذلك الحين المذهب الشيعى، ولم يبق له أثر بالأزهر سوى الجراية، تعطى لمن هو متمذهب بهذا المذهب، وهذه الجراية كانت تصرف

لأصحابها لوقت قريب. هذا وتعاليم الشيعة الآن معمول بها فى فارس، وبمصر متحف خاص (بالبهائية) التى تعمل على حد هذه التعاليم، ويقرر الأستاذ (بيرم) فى رسالة وضعها عن الأزهر، وقدمها لمؤتمر المستشرقين المنعقد بمدينة (هامبورج) فى أوائل سبتمبر سنة ١٩٠٢ أن العلوم الرياضية كانت تدرس بالأزهر، كالعلوم الفلكية والطبيعية والجغرافية، ولكنه استند فى تقريره هذا إلى أنه استنتج ذلك من عناية الفاطميين بهذه العلوم، وعنايتهم بالكتب وجمعها، واستبعد ألا تكون هذه العلوم قد درست بالأزهر، والأزهر كان متأثرًا فى حياته بكثير من العوامل السياسية التى ظهرت وقتذاك. وإن ما كان يدرس فيه فى عهد الفاطميين هو التعاليم الشيعية الإسماعيلية والدعوة إليها، والمذهب الفاطمى فى الفقه.. وكان لهذه التعاليم أثر واضح فى الحياة الخلقية فى ذلك العصر، وقد عدد آفاتها الغزالى وآفات عقلية أوقفت التشريع الإسلامى عند حد التقليد وعدم الاجتهاد، وأصبح التشريع الإسلامى فى هذا العصر هو المرحلة الأخيرة لتطوره. ولم يكن للعقول فى ذلك الوقت سبيل إلى الاجتهاد، واحتاجوا إلى تنظير المسائل فى الاجتهاد وتفرقها عند الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة، وصار ذلك كله يحتاج إلى ملكة راسخة، يقتدر بها على هذا النوع من التنظير والتفرقة.

ومن هذا كله نعلن أن الأزهر اتخذ أول ما أنشئ مسجدًا لعبادة الله والدعاية للفاطميين ودولتهم، ثم عقدت فى جنباته حلقات الدروس العامة، فكان الأساتذة من فقهاء الشيعة يجلسون لإلقاء دروسهم على كل من يحضرها فى الفقه واللغة والأدب والمنطق والطبيعيات والرياضيات.

وأول كتاب قرىء فى الأزهر على ما ذكرناه هو «الإقتصار» فى فقه آل البيت لأبى حنيفة النعمان بن أبى عبد الله بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله، وكان مالكى المذهب ثم انتحل المذهب الإسماعيلى فأخلص له، وكان من دعائم الدعوة الفاطمية. وكتابه «الدعائم» من أصول المذهب الأسماعيلى، ونهج على منهاجه الوزير يعقوب بن كلس فى كتابه «مصنف الوزير» وله كتاب اسمه «مختصر الآثار فيما روى عن الأئمة الأطهار»[1]، ومن كتبه أيضًا: «الينبوع» و«المجالس

---

(١) منه نسخة خطية فى الفاتيكان رقم ٥- ١١٠٤.

والمسايرات». وتوفى النعمان هذا فى شهر جمادى الآخرة عام ٣٦٣هـ، وصلى عليه المعز لدين الله.

وكان يتولى درسة كتاب «الاقتصار» فى الأزهر ابن النعمان، واسمه أبو الحسن على بن النعمان[١].. وكتبه الأخرى كان بعضها يقرأ فى الأزهر، وبعضها الآخر يقرأ فى حلقات خاصة للذين يريدون التخصيص فى فقه الشيعة والدعوة الفاطمية.

وظل الجامع الأزهر مثابة لحلقات الدروس يلقيها بنو النعمان حتى سنة ٣٦٩هـ، إذ بدأ حلقات الأزهر تتحول إلى دراسة جامعية منظمة مستقرة، فقد بدأ يعقوب بن كلس[٢] وزير المعز لدين الله يقرأ بانتظام فيه كتابه المعروف بالرسالة

---

(١) كان على شيعيًا غاليًا، وشاعراً مجوداً (٨٤ جـ ٣ شذرات الذهب) وتوفى أبو الحسن هذا عام ٣٧٤هـ - فولى القضاء بعده أخوه أبو عبد الله محمد وتوفى عام ٣٨٩هـ (٥٥جـ ٤ ابن خلدون).
ولأبى الحسن على بن النعمان شعر فى اليتيمة (٣٨٤ و٣٨٥ جـ١).. وكذلك لأخيه القاضى أبى عبد الله محمد بن النعمان شعر (٣٨٥ و٣٨٦ جـ١) اليتيمة).
وكان أبو الحسن على بن النعمان أول من لقب بقاضى القضاة فى مصر (٩١ جـ ٢ حسن المحاضرة).
وكان على بن النعمان محل عطف وثقة العزيز بالله ثانى خلفاء دولة هذا المذهب بمصر إلى أن قلد القضاء بالديار المصرية، والشام، والحرمين، والمغرب، وجميع مملكته، والخطابة والإمامة، ودار الضرب. وقرىء مرسوم توليته هذه الأشياء بالجامع الأزهر وبجامع عمرو، وكان أمرهما إليه، وكان من عادة الدولة وقتئذ أن من يقلد هذه الوظيفة يخلع عليه الخلع المذهبة، ويقلد السيف، ويتم له ذلك بلا طبل ولا بوق، إلا إذا ولى أمر الدعوة مع الحكم، فلقد كان للدعوة فى خلعها الطبل، والبوق والبنود، ولا تزال الطبول والبنود موجودة بمصر حتى الساعة عند أرباب الطرق الصوفية، وهى بقية أو أثر من آثار هذه الدولة بمصر.
وكانت رتبة قاضى القضاة وقتئذ أجل رتب أرباب العمائم بمصر، ويكون فى بعض الأوقات داعيًا فيقال له حينئذ: قاضى القضاة وداعى الدعاة. وكانت العادة ألا يحضر لإملاك ولا جنازة إلا بإذن. وكان داعى الدعاة يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره.

(٢) كان يعقوب يهوديًا، ولد فى بغداد، وجاء إلى مصر سنة ٣٣٤هـ واتصل بكافور، وأسلم فى شعبان ٣٥٦هـ ثم سار إلى بلاد المغرب واتصل بالمعز وكان رائداً لجيشه فى فتح مصر، وحضر مع المعز إلى مصر عام ٣٦٢هـ ولما توفى رثاه مائة شاعر (٣٩١- ٣٩٧ جـ٣ ابن خلكان).
ويروى أنه تسابق العزيز بالله الفاطمى مع وزيره يعقوب بن كلس بالحمام، فسبق حمام الوزير، فعز ذلك على العزيز، ووجد أعداء يعقوب إلى الطعن فيه سبيلاً فقالوا للعزيز: إنه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه، ولم يبق منه إلا أدنى الحمام، وراموا بذلك أن يغروه به حسداً منهم لعله يتغير عليه، فاتصل ذلك بالوزير فكتب إلى العزيز:

قل لأمير المؤمنين الذى ... له العلا والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه ... جاء وفى خدمته حاجب

فأعجبه ذلك منه، وسكن غضبه.

الوزيرية فى الفقه الشيعى، وكان يجلس بنفسه لقراءته فى الناس خاصتهم وعامتهم، ويهرع لسماعه سائر الفقهاء والقضاة والأدباء وأكابر القصر ورجالات الدولة والدعوة، وكانت تمتاز حلقات ابن كلس بتحررها من القيود الرسمية، واتجاهها نحو الأهداف العلمية، وبذلك كانت أول مجالس عقدت بالجامع الأزهر.

وفى عام ٣٧٨- ٩٨٨ استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله فى أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس، يحضرون مجلسه ويلازمونه، ويعقدون مجالسهم بالأزهر فى كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهًا، وكان رئيسهم ومنظم حلقاتهم هو الفقيه أبو يعقوب قاضى الخندق، وقد رتب لهم العزيز أرزاقًا وجرايات شهرية، وأنشأ لهم دارًا للسكنى بجوار الأزهر، وخلع عليهم فى يوم الفطر، وأجرى عليهم ابن كلس أيضًا رزقًا من ماله الخاص[1].

وفى عام ٣٨٠هـ رتب المتصدون لقراءة العلم بالأزهر، وبذلك صار الأزهر معهدًا جامعيًا للعلم والتعليم والدراسة، وكان هؤلاء الأساتذة الذى رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر، وأقرهم العزيز بالله أول الأساتذة المدرسين الذين عينوا بالجامع الأزهر الشريف، ومن هذا التاريخ يبدأ الأزهر حياته الجامعية العلمية الصحيحة.. وفى الحق أن هذا يدل على أن ابن كلس كان وزيرًا عظيمًا وعالمًا جليلاً وأديبًا كبيرًا.

وكان يعقد بداره مجالس علمية وأدبية دورية، ينتظم فى سلكها أكابر الفقهاء والأدباء والشعراء[2]، وكان يشرف بنفسه على هذه المجالس، ويشترك فى أعمالها، ويغدق العطاء على روادها. وقد أخذ ابن كلس بقسط حسن فى التأليف والكتابة فوضع كتابًا فى القراءات، وكتابًا فى الفقه، وكتابًا فى آداب رسول الله، وكتابًا فى علم الأبدان والصحة، ومختصرًا فى فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله. وهو المعروف بالرسالة الوزيرية. وكان يقرأ كتبه على الناس تارة بالجامع الأزهر وتارة

(١) صبح الأعشى عن المسبحى ٣٦٧ جـ٣، وخطط المقريزى ص ٤٩ جـ ٤.
(٢) ٤٧ تاريخ الأزهر لعنان.

بداره، ويجتمع لديه الكتاب والنحاة والشعراء فيناظرهم ويصلهم، وكانت موائده دائمًا منصوبة معدة للوافدين، وكان كثير الصلات والإحسان، وبالجملة فقد كان هذا الوزير والعالم الأديب مفخرة فى جبين عصره، وقد أشاد شعراء العصر بجلالة وجوده، ومن ذلك ما قاله أحدهم حين أصابت الوزير فى يده:

يد الوزير هى الدنيا فإن ألمت ... رأيت فى كل شىء ذلك الألما

تأمل الملك وانظر فرط علته ... من أجله واسأل القرطاس والقلما

ومرض ابن كلس فى شوال سنة ٣٨٠هـ، فجزع عليه العزيز أيما جزع، ولبث يعوده ويرعاه، حتى توفى فى الخامس من ذى الحجة، فحزن عليه حزنًا شديدًا، وأمر بتجهيزه تجهيز الأمراء والملوك، وخرج من القصر إلى داره فى موكب صامت محزن، وشهد تجهيزه وصلى عليه بنفسه، ووقف حتى تم دفنه وهو يبكى بدمع غزير، واحتجب فى داره ثلاثًا لا يأكل على مائدته، والحزن يشمل الخاصة والقصر كله، وأفاض الشعراء فى رثاء الوزير الراحل ومديحه، فوصلهم العزيز جميعًا، وعلى الجملة فقد سما ابن كلس فى ظل الدولة الفاطمية إلى أرفع مكانة.. ومهما كان فإن تلك الخطوة كانت الأولى فى ترتيب الأساتذة والدروس بالأزهر بطريقة منظمة مستقرة، وكان لها أثر كبير فى تطور الغاية التى علقتها الخلافة الفاطمية بادئ ذى بدء على إنشاء الجامع الأزهر، فقد كانت هذه الغاية كما رأينا أن يكون المسجد الجامع الجديد رمز الخلافة الجديدة ومنبرًا لدعوتها(١).

ابتدأ الأزهر حياته العلمية المنظمة بخمسة وثلاثين طالبًا. ولم يشجع هؤلا بما رأينا فحسب، بل كان هناك لون آخر من ألوان التشجيع، فيحدثنا المقريزى أن العزيز بالله «خلع عليهم فى يوم عيد فطر وحملهم على بغلات». ولم يكن الأزهر فى ذلك العهد مقصورًا عل الرجال فحسب، بل كان للمرأة فيه نصيب فكن يفردن فيه بمجلس خاص(٢).

---

(١) راجع فى هذا البحث وما يتعلق به: خطط المقريزى (الطبعة الأهلية) جـ٤ ص ٤٩، ١٥٦، ١٥٧، جـ٣ ص ٧- ١٠، وابن خلكان جـ ٢ ص ٤٤١.

(٢) خطط المقريزى ج-٢ ص ٢٢٦.

وهكذا آلت تلك الحركة العلمية الميـمونة إلى الأزهر، وازدهرت فيه وترعرعت حتى تخرج فيـه أئمة فضلاء، وشيوخ أجلاء، خدمـوا الإسلام والمسلمين بالتأليف تارة وبالتدريس أخرى، حتى أصبح مفخرة العالم الإسلامى عامة، ومصر خاصة.

ولقد عالجت هذه الجامعـة الكبرى علوم الدين، فيسرت سبلها، وأكثـرت كتبها واهتمت بشـؤون اللغة العربيـة، فهذبت طرقـها، وأصلحت شأنهـا، وبقيت على مدى الأجـيال والقرون قائمـة بعملها، مـضطلعة بمهمـتها، حتى نبـه ذكرها وذاع صيتـها، وأمَّها الطلاب من كل فج، لـيغترفوا من منهـلها، ويستضيـئوا بنورها، وانحدر إليها العلماء من كل صوب، ليسهموا فى النفع بها ونشر آثارها، فازدهرت فيها أنواع العلوم والفنون، وأمدت العالم الإسلامى بما هو فى حاجة إليه.

ولقد كان الأزهر الشريف مـنذ نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميـين: يتعهدونه بالعناية والرعـاية، ويغدقـون على من به من العلمـاء والطلبـة العطايا والهبـات، ويذهبون إليه بأنفسهم للصلاة والوقوف على حاله، مما كان له الأثر البالغ فى حفز هم الشيوخ والطلبة إلى التفرغ للعلم.

✿✿✿

الفصل الرابع

الأزهر فى ظلال الفاطميين

تمهيد:

مما تقدم نعلم أن الأزهر بدىء فى بنائه فى ٢٤ جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ- إبريل ٩٧٠م، وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة ٧ رمضان ٣٦١هـ: ٩٧٢م، وبدأ نظام الحلقات العلمية فيه من عام ٣٦٥هـ: ٩٧٦م، وصار جامعة إسلامية كبيرة من عام ٣٧٨هـ: ٩٨٨م.

وإن الفضل فى ذلك يرجع إلى المعز وقائده جوهر، ثم إلى القاضى النعمان الشيعى، ثم إلى الوزير يعقوب بن كلس.

وكان المسجد منذ نشأته يسمى جامع القاهرة باسم العاصمة الجديدة، وقد تكون تسميته بالجامع الأزهر قد تأخرت قليلا عن التسمية الأولى، ويرجح عنان[1] أن اسم «الجامع الأزهر» أطلق عليه بعد إنشاء القصور الفاطمية فى عصر العزيز بالله، فقد كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة، ومنها أطلق على جامع القاهرة وهو مسجد الدولة الرسمى اسم الجامع الأزهر، واستمر مسجد القاهرة الجامع يعرف باسم جامع القاهرة[2] أو الجامع الأزهر حتى عصر المقريزى فى أوائل القرن التاسع، ثم تقلص الاسم القديم، جامع القاهرة -شيئًا فشيئًا وغلب عليه اسم الجامع الأزهر، أو جامع الأزهر حتى عصرنا.

ولابد أن يكون الأزهر قد أسهم فى الحركة العقلية والعلمية فى عصر المعز والعزيز بالله، وأن يكون أعلام الدين واللغة والأدب قد اتخذوا منه حلقة علمية منظمة.

فلقد جاء قوم من علماء المغاربة فى ركب المعز، ومن أشهرهم النعمان بن محمد الذى تولى القضاء فى مصر هو وأولاده وأسرته عهدًا طويلاً فى ظلال

(١) ٢٠ تاريخ الجامع الأزهر لعنان.

(٢) ورد فى أخبار العزيز بالله أنه أقام طعاما فى جامع القاهرة - وهو الأزهر الشريف- لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان.

الحكم الفاطمى، وكانت هذه الأسرة تقوم بالـقضاء وبالدعوة والتأليف فى المذهب الشيعى، وتتخذ من الأزهر مكانًا مختاراً لنشاطها العلمى، وكذلك ابن كلس الذى أشرف على تنظيم الأزهر تنظيمًا جامعيًا علميًا عاليًا.

ومن أشـهر العلمـاء الذين شهـدوا عـصر المعـز والعزيز: ابن زولاق المصـرى المؤرخ[1] (٣٠٦- ٣٨٧هـ)، وعبـد الغنى المصرى (٣٣٢- ٤٠٩هـ) وكـان حافظ مصر فى عصره[2]، والحسن بن الهيثم المـصرى الفيلسوف[3] واشتهر بـعد عصر العـزيز وتوفى عـام ٤٣٠هـ وابن يونـس المصـرى المنجم المتـوفى عـام ٣٩٩هـ[4] والجوفى النحوى المتوفى عام ٤٣٠هـ[5].. ولا شك أن هؤلاء العلماء وغيرهم قد كانت لهم حلقات فى الأزهر.

ومن الأدباء والشعراء فى هذا العهد أبو الرمـقمق المتوفى عام ٣٩٩هـ الشاعر[6] وابن وكيع الشاعر المتوفى عام ٣٩٣هـ[7]، والتهامى الشاعر المتوفى عام ٤١٦هـ[8] والمسبحى المصرى الكاتب (٣٦٦- ٤٢٠هـ)[9]، وأبو القاسم[10] عبد الغفار شاعر دولة العـزيز والحـاكم وقـتلـه الحـاكم عـام ٣٩٥هـ.. ولا شك أن هؤلاء الأدباء والشعراء كانوا يـحفلون بإلقاء ثمرات قرائحهم على تلامـيذهم فى حلقات الأزهر العلمية الحافلة[11].

---

(١) ٢٣٨ جـ ١ ابن خلكان، ٢٢٥- ٢٣٠ جـ٧ مـعـجم الأدباء.. وله كتـاب فى سـيرة المعـز وآخـر فى سيـرة العزيز.

(٢) ٥٤٧ جـ ١ ابن خلكان.

(٣) ١١٤ و١١٥ إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى.

(٤) ٨٥ و٨٦ جـ ٢ ابن خلكان.

(٥) ٦ جـ ٢ المرجع نفسه.

(٦) ٧٠ و٧١ جـ ١ المرجع نفسه، ٣١٠- ٣٣٤ ج١ اليتيمة.

(٧) ٢٤٣، ٢٤٤، جـ ١ المرجع نفسه ٣٥٦- ٣٨٤ جـ ١ اليتيمة.

(٨) ٥٣- ٥٥ جـ ٢ المرجع نفسه.

(٩) ٣٤٢- ٣٤٣ جـ ٢ المرجع نفسه.

(١٠) ٣٩٦ جـ ٣ المرجع نفسه.

(١١) ويروى أن النساء كن يحضرن فى الجامع الأزهر (٢٢٦ ج٢ - الخطط للمقريزى).

الأزهر فى عصر الحاكم:

وفى عصـر الحاكم[١] استـمر الأزهر يؤدى مـهمتـه العلميـة، وإن كان الأزهر فوجىء بإقامة الخليفة جامعـة جديدة سماها «دار الحكمة» أو دار العلم الشهيرة فى سنة ٣٩٥هـ- ١٠٠٥م.

ولكن الأزهر كان يومئذ بفعل الظروف

التى أشرنا إليها قـد بدأ حياته الجامعية، ومع أن دار الحكمـة لبثت مدى حين تنافس الأزهر وتستأثر دونه بالدراسة المتصلة المنظمة، فإنها لم تلبث لصرامة نظمها وإغراق بـرامجـها فى الشـؤون المذهبيـة، أن اضطربت أحوالهـا وضعف نفـوذها العلمى، هذا بينما كان الأزهر يسيـر فى سبيل حياته الجامعيـة الوليدة بخطى بطيئة ولكن محققة، ويسير فى نفس الوقت إلى التـحرر من أغلال تلك الصبغة المذهبية العميقة التى كادت فى البداية أن تقضى على صبغته الجامعية الصحيحة.

وقد وقف الحاكم وقفية على الأزهر ودار الحكمـة وغيرها من المساجد، وجامع الحاكم، وجامع المقس، وجامع راشدة، لإقامة الشعائر الدينية فيها، وصيانة مبانيها وهذا هو نص الأشهاد الشرعى على هذه الوقفية.

«هذا كتاب أشهد قاضى القضاة مـالك بن سعيد بن مالك الفارقى على جميع ما نسب إليـه مما ذكر، ووصف فيـه، من حضر مـن الشهود فى مـجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر فى شهر رمضان سنة أربعمائة، أشهدهم وهو يومئذ قاضى عبـد الله ووليه المنصور أبى على الحاكم بـأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمـام العزيز بالله صلوات الله عليـهما، على القـاهرة المعزية ومـصر والإسكندرية والحـرمين حرسهما الله، وأجناد الشام والرقة والرحبة ونواحى المغرب وسائر أعمالهن، وما فتحه الله ويفتحه لأميـر المؤمنين من بلاد الشرق والغرب، بمحضر رجل متكلم - أنه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة والحـصص الشائعة التى يذكر جميع ذلك ويحدد هذا الكتـاب، وأنها كانت من أملاك الحـاكم إلى أن حبسهـا على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، والجامع براشدة والجامع بالمقس، اللذين أمر بإنشائهما

---

(١) ولد بالقاهرة عام ٣٧٥ هـ وتولى الخلافة عام ٣٨٦هـ وقتل عام ٤١١هـ.

وتأسيس بنائهما، وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التى وقفها، والكتب التى فيهـا قبل تاريخ هذا الكتاب، منها ما يخص الجـامع الأزهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جميع ذلك غير مقسوم: ومنها ما يخص الجامع بالمقس على شـرائط يجرى ذكرها. فـمن ذلك ما تصدق بـه على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة، جميع الدار المعروفة بدار الضـرب وجميع القيسارية المـعروفة بقيسارية الصـوف وجميع الدار المعروفـة بدار الخرق الجديدة الذى كله بفـسطاط مصر. ومن ذلك مـا تصدق به على جامع المقس جميع أربعة الحوانيت والمنازل التى علوها والمخزنين الذى ذلك كله بفـسطاط مـصر بالراية، فى جـانب العـرب من الدار المعـروفة كـانت بدار الخرق، وهاتان الداران المعروفـتان بدار الخرق فى الموضع المعروف بحـمام الفار. ومن ذلك جمـيع الحصص الشائعة من أربعـة الحوانيت المتلاصقـة التى بفسطاط مصر بالراية أيضًا بالموضع المعروف بحـمام الفار، وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيسى بحدود ذلك كله وأرضه، وبنائه وسفله وعلوه وطرقه ومرتفقاته وحوانيته وساحـاته وطرقه وممراته، ومـجارى ميـاهه، وكل حق هو له داخل فيـه وخارج عنه، وجعل ذلك كله صـدقة موقوفة مـحرمة محبـسة بتة، لا يجوز بيـعها ولا هبتـها ولا تمليكهـا، باقية على شـروطها، جارية على سـبلها المعـروفة فى هذا الكتاب، لا يوهنها تقـادم السنين ولا تغير بحدوث حدث، ولا يستـثنى فيها ولا يتأول، ولا يستفتى بتجدد تحبيسها مدى الأوقات، وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حـتى يرث الله الأرض والسماوات، على أن يؤجر ذلك فى كل عـصر من ينتهى إليه ولايتها ويرجع إليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها من إشهارها عند ذوى الرغبة فى إجارة أمثالها؛ فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين ومرمتـه، من غير إجحاف بما حبس ذلك عليه، وما فضل كان مقسومًا على ستين سهمًا.

من ذلك الجـامع الأزهر بالقاهرة المحـروسة المذكـور فى هذا الأشهـاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسـع، يصرف ذلك فيما فيه عمـارته ومصلحته، وهو من العين المعـزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وسـتون دينارًا ونصف دينار

وثمن دينار، ومن ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً، ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك، ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع فى كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير، ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر ديناراً ونصف وربع دينار، ومن ذلك لثمن عود هندى للبخور فى شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً، ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلى سبعة دنانير، ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلى دينار واحد، ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلى نصف دينار، ومن ذلك لثمن إردبين ملحا للقناديل ربع دينار ومن ذلك ما قدر لمؤنة الناس والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً، ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء أدم نصف دينار، ومن ذلك لثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل نصف دينار، ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة أرطال قنب لتعليق القناديل، ولثمن مائتى مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار، ومن ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير، ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف، ومن ذلك لأرزاق المصلين يعنى الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة، وخمسة عشر مؤذنًا خمسمائة دينار وستة وخمسون ديناراً ونصف، منها للمصلين، ولكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار فى كل شهر من شهور السنة، والمؤذنون والقومة ولكل رجل منهم ديناران فى كل شهر، ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع فى كل سنة أربعة وعشرون ديناراً. ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد، ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه فى هذا الجامع فى سطحه وأترابه وحيطانه وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون ديناراً، ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسى بقر للمصنع

الذى لهذا الجامع ثمانيـة دنانير ونصف وثلث دينار، ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير، ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسى البقر المذكورين فى السنة سـبعـة دنانير، ومن ذلك لأجـرة متـولى العلف وأجرة السـقا والحـبال والقواديس وما يجـرى مجرى ذلك خمسة عـشر ديناراً ونصف، ومن ذلك لأجرة قيم الميضأة إن عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً».

وإلى هنا انقـضى حديث الجامع الأزهر، وأخـذ فى ذكر الجـامع براشدة، ودار العلم، وجامع المقس، ثم ذكـر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتـسعة وثلاثون قنديلا من الفضة، فللجـامع الأزهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلا، ومنـها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلا، وشرط أن تعلق فى شهـر رمضان، وتعاد إلى مكان جرت العادة أن تحـفظ فيه.. وشـرط بعد ذلك فى الوقف شروطًا كـثيرة ليس هنا مـقام ذكرها وقـد أسس الحاكم جامـعه المشهور عـام ٣٩٣هـ، وخطب فيه وصلى فـيه بالناس الجـمعة وكـانت دار الحكمة التى أنشـأها يدرس فيـها علوم القـرآن واللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم وغيـرها. واجتذبت الجامعة الجديدة إليـها كثيراً من أعلام المشـرق كالرحـالة الفارسى ناصرى خـسرو، ولبثت دار الحـكمة تنافس الأزهر مدى قرن من الزمان، حتى أغلقت.

✿✿✿

مشاركة الأزهر فى الحياة العقلية فى عصر الفاطميين

كان للأزهر نشاط ضخم فى الحياة العقلية والعلمية فى العصر الفاطمى كله حتى نهايته عام ٥٦٧هـ.

ولقد جاءت الدولة الفاطمية إلى مصر مع نفوذها السياسى بحركة علمية قوية فقدمت حركة العلم والأدب والفن فى مصر والشام خطوات، حتى لا يعد شيئا بجانبها ما كان فى العهد الطولونى والأخشيدى، ويصح أن توازن بما كان فى العراق ولا سيما العلوم العقلية والفلسفية، فقد ازدهرت فى مصر وسارت شوطًا بعيدًا. . نعم نشطت الحركة العقلية فى مصر والشام فى هذا العصر نشاطًا كبيرًا، وذلك بفضل الأزهر ودار العلم وخلفائهما العلمية، وعنيت الدولة بدور الكتب ونشر العلم، وتشجيع العلماء، فظهر الكثير من المؤرخين والفلاسفة والعلماء والرياضيين واللغويين والنحويين والأدباء، ومنهم الأدفوى تلميذ أبى جعفر النحاس[١] المصرى الذى توفى عام ٣٨٨هـ، وابن بابشاذ[٢]، وابن القطاع النحوى م٥١٥ هـ[٢] المتوفى عام ٤٦٩هـ وسواهم.

ويقول المقريزى: «إن أول ما درس بالأزهر الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة» ولقد كان ممن ألقى محاضراته فى الأزهر المؤيد الشيرازى داعى الدعاة الذى ناظر فيها المعرى فى عهد المستنصر الخليفة الفاطمى، وكان الشيرازى شاعرًا كتب إلى المستنصر لما حسده الحساد باحتجاب الخليفة عنه بعد قدوم الشيرازى إلى مصر: كتب المؤيد الشيرازى:

أقسم لو أنك توجتنى ... بتاج كسرى ملك المشرق

وأنلتنى كل أمور الورى ... من قد مضى منهم ومن قد بقى

وقلت أن لا نلتقى ساعة ... أجبت يا مولاى أن نلتقى

لأن إبعادك لى ساعة ... شيب فوديَّ مع المفرق

---

(١) توفى أبو جعفر النحاس عام ٣٣٨هـ (٢٢٨ جـ ١ حسن المحاضرة).

(٢) ٢٢٨ جـ ١ حسن المحاضرة.

فأجاب المستنصر بالله بخطه:

يا حجة مشهورة فى الورى	وطود علم أعجز المرتقى
ما غلقت دونك أبوابنا	إلا لأمر مؤلم مقلق
ولا حجبناك ملالا فشق	بودنا وارجع إلى الأليق
خفنا على قلبك من سمعه	فصدنا صد أب مشفق
شيعتنا قد عدموا رشدهم	فى الغرب يا صاح وفى المشرق
فانشر لهم ما شئت من علمنا	وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت فى دعوتنا آخراً	فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى	من سائر الناس ولا من بقى

وللشيرازى محاضرات التى ألقاها فى الأزهر مناظراً أبا العلاء المعرى.

وله مؤلفات أخرى عدا سيرته وديوانه ومحاضراته، منها: كتاب الابتداء والانتهاء، وكتاب المسألة والجواب، وكتاب نهج العبادة، وشرح المعاد، والمسائل السبعون، ونهج الهداية للمهتدين، وأساس التأويل بالفارسية، والسبح السبع، والإيضاح والتبصير فى فضل يوم القدير وتأويل الأرواح، والمجالس المستنصرية. وقد لاحظنا أن هذه المحاضرات القصيرة، إنما كانت ملخصًا لدروس طويلة فيما يظهر فلعله كان يكتبها بعد إلقاء الدرس وتفهيمه على سبيل التسجيل والحفظ، لنكت هام لينتفع القارئ، كما استفاد السامع.

وهذه هى المحاضرة الأولى من محاضراته:

الحمد لله الذى نظم بين الإنسان والبهائم أن خلقهم من طين، ثم جعل نسلهما من ماء مهين، ثم اقتضت العناية الإلهية أن رمى فى أخلاط الصورة الإنسانية من إكسير العقل بلغة أهل صنعة الكيمياء، ما عرج به أعلا المعارج من الفصل والعلياء، فصار ممن قال الله سبحانه فيه -ومن أصدق منه قيلا- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا

تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فاستنزل بتدبيره الطير من الهواء واستخلص الحدث من لج الما ء واستعبد أجناس الحيوان طيرًا وبهائم وسباعًا، فمنها ما انتفع بلحومها، ومنها ما استمتع بجلودها وأصوافها وأوبارها استمتاعًا، وجعل الفلك المحيط على عظم فضائه محصورًا فى سرادق فكره، بدل كون جسمه بالكون والفساد محصورًا فى سرادق ملكته وأسره، فهذا منفوعه الذى نفعه الله به فى الدار الأولى، ثم جعله سلمًا يرتقى به إلى دائم البقاء فى الدار الأخرى. فلولا نور استبصاره بالعقل، لما كانت رسالة عن مرسل تقبل، ولا أمر عن مرسل يؤخذ ويتحمل، ولا نفس بمعرفة توحيد الله سبحانه ترتسم وتنير، ولا لسان بمعارف الآخرة بين اللهوات يدور. وصلى على محمد خير رسول، استنار بنور سراجه، وسار على واضح منهاجه، وعلى وصيه الذى عرج به من أفق المجد إلى أعلا معراجه، وعلى آله الداعين إلى عذب المشرب وفراته، الناهين عن ملحه وأجاجه.

معشر المؤمنين: جعلكم الله ممن استنارت بنور العقل قلوبهم، وتجافت عن مضاجع الجهل جنوبهم، إن قومًا من الآخذين الدين بالعادات، والجارين فيه على آثار الوالدين والوالدات، زعموا أن شرائع الأنبياء عليهم السلام التى هى أسباب النجاة، والطريق إلى دائم الحياة على غير العقل موضوعها. وفى سوى موقعه وقوعها فلو أنهم أمعنوا النظر، وحردوا من شوب العصبية والهوى الفكر، لعلموا أن أحدهم لو قيل له فى شىء من خاصة أعماله وما يصدر عنه من أقواله وأفعاله، إن فعلك هذا على غير أساس العقل موضوعه، ولا من مطالعه طلوعه، لاستشاط من ذلك غضبًا، ولقام له مكذبًا، وفى مثل هذه المواجهة مستذنبًا، فكيف يرضون للأنبياء الذين هم سادات دينهم، والوسائط بينهم وبين ربهم ما لو قابلهم بمثله مقابل لكرهوه، أم كيف لا يعتبرون أن الخطاب فى كتاب الله كله مع أولى الألباب بقول الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [المائدة: ١٠٠] وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٢١]، وما يجرى مجراه مما كثر وتكرر، وليس يخلو من كون هذه الأوضاع الشرعية ليس لها برهان من العقل عند الرسول عليه السلام، الآتى بها نفسه أو كون البرهان عنده فلن يشعر به، فإن كان لا برهان له عنده فهو فحش فلو أن سائلاً سأله عن العلة التى اقتضت أن يجعل

الصلاة خمسًا، ولا يجعلها ستًا، فكان يقول لا أدرى، لكفاه طعنًا أن يأتى بشىء لا يدرى العلة فيه إذا سئل عنها، وإن كان لها برهان عند نفسه عقلى -والبرهان مما يجمل الأقوال والأفعال- ثم لم يظهره فلم يقم إذن بحق البلاغ، وهذا منتف عن الرسول عليه السلام، لأنه بلغ وقال فى النادى: «اللهم أشهد أنى بلغت» وسوى هذا فمعلوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكلف تكليف الشريعة إلا ذا عقل، فكيف يكلف ذا عقل ما كان موضوعه على غير عقل، لأن ما كان موضوعه على غير عقل، فهو بغير ذى عقل أولى منه بذى عقل، وما السبب فى توليه العقل أولاً وعزله آخرًا؟ وهذا مما لا خفاء به على منصف.

والمعلوم أن الفلاسفة يدعون العلوم العقلية والأمور الحقيقية، وأن المسلمين يكفرونهم مع ذلك، لانقطاعهم عن سبب الرسالة، وقولهم أنهم غنوا عن الأنبياء فى معرفة معال نجاتهم، وأن الحاجة إليهم لسياس أمور الدنيا فقط، بتحصين الدماء والأموال، ومنع القوى عن الضعيف، واعتقاد المحققين أن العلوم كلها التى منها العقليات التى يدعونها فى علوم الأنبياء اجتمعت، ومنها تشعبت وتفرعت، وتصديقهم قول الله سبحانه ﴿ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله جل جلاله ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، فلو أن أحد الفلاسفة قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام يسأله عن الملائكة، والعرش، والكرسى، والجنة، والنار، وأوضاع شريعته: من صلاتها، وزكاتها، وصومها، وحجها، وجهادها، من حيث يدل عليه البرهان العقلى، أكان يقول النبى ﷺ، لا قبل لى ببرهان ذلك! حاشا لله. . . وقول آخر مأثور عن النبى ﷺ أنه قال «أول ما خلق الله تعالى العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقًا أفضل منك، بك أثيب، وبك أعاقب». . فإن كانت الشرائع على غير العقل موضوعها، فلا ثواب لها ولا عقاب على مقتضى الخبر، «بك أثيب وبك أعاقب».

معشر المؤمنين: دعو أهل الفرقة والخلاف، فإنهم أشياع غى بقول الله تعالى لنبيه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وتمسكوا فى دينكم بالأدلة، واعرفوا المواقيت بالأهلة، وأصلحوا أموالكم، وطهروا

سربالكم واحمدوا الله تعالى الذى فتح لكم إلى الحقائق أبصارًا والناس عنها عمون، وكشف لكم حجبًا فأنتم فى رياضها تنعمون. واجروا فى مضمار التائبين العابدين واستشعروا شعار الراكعين الساجدين. وكونوا دعاة إلى أئمتكم بحسن الأفعال صامتين وقوموا آناء الليل قانتين. جعلكم الله من الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا، ، وأوزعكم شكر عارفيه. إذ ألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانًا. والحمد لله القاهر سلطانه. الباهر برهانه. العظيم شأنه. الواسع إحسانه. وصلى الله على محمد المنزل عليه فرقانه. المزلزل للشرك بنيانه. وعلى وصيه مستودع وترجمانه على بن أبى طالب بيده يد الحق. والناطق بلسانه لسانه. وعلى الأئمة من ذريته المحفوظة بهم حدود الدين وأركانه. . وسلم تسليمًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولقد أصيبت الحياة العقلية فى مصر الإسلامية بكثير من الاضطراب والضعف فى أواسط القرن الخامس الهجرى كما يقول عنان، أى منذ اضطربت شؤون الخلافة الفاطمية فى عهد المستنصر بالله، ونكبت مصر بالشدة العظمى، وعانت عسف القحط والوباء أعوامًا طويلة (٤٤٦- ٤٦٤هـ)، وشغل المجتمع المصرى حينا بما توالى عليه من الأرزاء والمحن، وشغل الخلفاء ورجال الدولة بالتنازع على السلطان، وتدبير الانقلابات السياسية العنيفة عن تعهد الحركة الفكرية، وقترت الدولة على معاهد التعليم لنضوب مواردها، وبددت خزائن الكتب أثناء الفتنة وكانت من أنفس وأعظم ما عرف العالم الإسلامى[1]. . وكان لهذا الاضطراب أثره فى الأزهر ودار الحكمة فركدت حركة الدرس والتحصيل تبعًا لركود الحياة العامة واضطراب الحياة الخاصة. وفى أواخر القرن الخامس فى عصر أمير الجيوش بدر الجمالى المتغلب على الدولة (٤٦٥- ٤٨٧هـ) وولده الأفضل شاهنشاه (٤٨٧- ٥١٥هـ) عاد النظام والأمن والرخاء إلى البلاد، وانتظمت الحياة العامة، واستعادت الحياة الفكرية نشاطها بما أسبغ عليها من الرعاية، وما بذل للإنفاق على معاهد الدرس من الأموال والأرزاق.

ويقول عنان: كان نظام الحلقات العلمية وقت إنشاء الجامع الأزهر هو نظام

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٣٥٤.

الدراسة الممتازة فى مصر الإسلامية؛ وفى معظم الأقطار الإسلامية الأخرى، وكان قوام الحياة الجامعية والفكرية فى العالم الإسلامى... وكان طبيعيًا أن الأزهر حينما أتيح له أن يدخل هذا الميدان الدراسى، أن تقوم الدراسة فيه وفقًا لهذا النظام التقليدى المتوارث. ولم يك ثمة نظام آخر يمكن التفكير فيه فى عصر لم تكن قد عرفت فيه المدارس بعد.. وهكذا بدأت الدراسة فى الأزهر فى حلقات علمية وأدبية؛ واستمرت كذلك على مر العصور. وعقد أول حلقة للدرس بالأزهر فى صفر سنة ٣٦٥هـ كما تقدم، وعقدها قاضى القضاة على بن النعمان وقرأ فيها مختصر أبيه فى فقه آل البيت وهو الكتاب المسمى «الاقتصار» فى جمع حافل أثبتت فيه أسماء الحاضرين. وفى سنة ٣٨٧هـ أذن العزيز بالله لوزيره ابن كلس أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للدرس والقراءة، وكانوا يعقدون «حلقاتهم» الدراسية بالجامع يوم الجمعة من بعد صلاة العصر، وهم أول أساتذة أجريت عليهم من الدولة رواتب خاصة حسبما قدمنا. وفى هذين النصين القديمين ما يوضح لنا نظم الدراسة الأساسية بالأزهر، وهى نظم كان قوامها الحلقة الدراسية، فيجلس الأستاذ ليقرأ درسه فى حلقة من تلاميذه والمستمعين إليه، وتنظم الحلقات فى الزمان والمكان طبقًا للمواد التى تدرس، ويجلس أستاذ المادة من فقه أو حديث أو تفسير أو نحو أو بيان أو منطق أو غيرها فى المكان المخص لذلك من أروقة الجامع أو أبهائه، وأمامه الطلبة والمستمعون يصغون إليه ويناقشونه.

وكان الأزهر منذ بدأت فيه الدراسة مفتوح الباب لكل مسلم يقصد إليه الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها، وكان يضم بين طلبته دائمًا إلى جانب الطلاب المصريين عددًا كبيرًا من أبناء الأمم الإسلامية يتلقون الدراسة، وتجرى عليهم الأرزاق، وتقيم كل جماعة منهم فى مكان خاص بها. وهذا هو نظام الأروقة الشهير الذى نعتقد أنه بدأ فى عصر مبكر جدًا[1]، والذى استمر قائمًا حتى العصر الأخير، وما زالت منه إلى اليوم بقية بالجامع الأزهر. ومعظم سكان الأروقة الباقية اليوم من الطلبة الغرباء. ويذكر المقريزى عدد الطلبة الغرباء الذين كانوا يلازمون الإقامة بالأزهر فى الأروقة الخاصة بهم فى عصره -أعنى فى أوائل

(١) يستفاد من أقوال المقريزى أن نظام الأروقة قد بدأ بالأزهر منذ بناء الجامع ذاته (الخطط ج ٤ ص ٥٤).

القرن التاسع- بلغ ستمائة وخمسين، ما بين «عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة»، وهو رقم كبير يدل على ضخامة العدد الذى كان يضمه الأزهر بصفة عامة من طلاب مصر وطلاب الأمم الإسلامية المختلفة فى تلك العصور.

أما مواد الدراسة بالأزهر فى هذا العصر فلا ريب -كما يقول عنان- أن علوم الدين واللغة كانت فى المقدمة دائمًا، وكان للعلوم الدينية نوع خاص أوفر قسط، فعلوم القرآن والحديث والكلام والأصول والفقه على مختلف المذاهب، وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ثم الأدب والتاريخ، هذه كلها كانت زاهرة بالأزهر خلال العصور الوسطى.

وقد كانت الصبغة المذهبية تغلب كما رأينا على الدراسة بالأزهر، ولاسيما فى بادية عهدها، ولم يك ذلك غريبًا فى ظل دولة كالدولة الفاطمية تتشح بثوبها المذهبى العميق وكان من الطبيعى أيضًا أن تحتل علوم الشيعة وفقه آل البيت من حلقاته الدينية المقام الأول، بيد أنه يمكن أن يقال من جهة أخرى؛ إن هذه الصبغة المذهبية لم تكن دائمًا مطلقة، ولم تكن دائمًا لزامًا على الطلاب. ونحن نعرف أن الخلافة الفاطمية على الرغم من استمساكها بصبغتها المذهبية العميقة لم تستطع أن تحشد سواد الشعب المصرى إلى جانبها فى هذا المضمار، ولم تحاول دائمًا أن تجرى على سياسة الإرغام فى طبعه بطابعها، وفى فرض لونها المذهبى على عقائده، بل نراها فى أحيان كثيرة تلجأ فى ذلك إلى سياسة الرفق والتسامح. ولنا فى ذلك دليل فى المرسوم الدينى الذى أصدره الحاكم بأم الله -وهو من غلاة الفاطميين- فى سنة ٣٩٨هـ (١٠٠٨م) وفيه يقرر بعض الأحكام ويفسرها على أثر ما وقع بين الشيعة وأهل السنة من خلاف فى فهمها، ويحاول أن يوفق فى ذلك بين المذاهب المختلفة، وقد جاء فيه بعد الديباجة.

«يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون، صلاة الخميس للذين بما جاءهم فيها يصلون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون ، بخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون، يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون، ولا يسب أحد من السلف

ولا يحتسب على الواصف فيهم بما يوصف والخالف فيهم بما خلف، لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده، وإلى الله ربه ميعاده، وعنده كتابه وعليه حسابه. ليكن عباد الله على مثل هذا عملكم منذ اليوم، لا يستعلى مسلم على مسلم بما اعتقده، ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمد، من جميع ما نصه أمير المؤمنين فى سجله هذا، وبعده قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥](١).

وكانت الدراسة فى دار الحكمة ذاتها وهى الجامعة الفاطمية المذهبية حرة تدرس فيها علوم السنة إلى جانب علوم الشيعة، وقد تحررت كثيرًا من صبغتها المذهبية حينما أعيدت بعد إغلاقها فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، فمن الواضح إذًا أن الدراسة بالأزهر، كانت حتى فى الوقت الذى يشتد فيه تيار الدعوة المذهبية، تحظى دائمًا بقسط من الحرية يزيد أو ينقص وفقًا للظروف والأحوال، وكانت دار الحكمة تستأثر بعد ذلك بتدريس العلوم الدينية. بيد أن هذه الصبغة المذهبية خفت وطأتها.. وأخذ الأزهر بنصيبه من العلوم بجانب الدين.

هذا وأما عن الكتب الدراسية التى كانت تدرس بالأزهر فى العصر الفاطمى، فليس لدينا أيضًا سوى إشارات موجزة جدًا، وأول كتاب درس بالأزهر هو كتاب «الاقتصار» الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت، وكان يتولى قراءته وتدريسه بالأزهر ولده أبو الحسين على بن النعمان كما قدمنا. واستمر فى قراءته مدى، على يد بنى النعمان، تعاقبوا فى قضاء مصر حتى نهاية القرن الرابع. وكان للنعمان القيروانى كتب أخرى فى فقه الإمامية (الشيعة)، ذكر ابن زولاق مؤرخ المعز لدين الله أسماءها وهى كتاب «دعائم الإسلام»، الذى عنى بتدريسه فى الأزهر فيما بعد عناية خاصة، وكتاب «اختلاف أصول المذاهب» وكتاب «الأخبار» وكتاب اختلاف الفقهاء» ومن المرجح أنها كانت تقرأ أو تدرس بالأزهر إلى جانب كتاب «الاقتصار» حتى أواخر القرن الرابع(٢).

---

(١) راجع نص هذا المرسوم بأكمله فى ابن خلدون جـ ٤ ص ٦٠.

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٤١٩.

وقد انتهى إلينا بعض هذه المؤلفات الشيعية التى افتتحت بها الدعوة إلى دراسة فقه الإمامية بمصر؛ ويوجد بدار الكتب المصرية نسخة مصورة من المجلد الأول من كتاب «دعائم الإسلام»، وعنوانه الكامل «دعائم الإسلام فى الحلال والحرام والقضايا والأحكام، من أهل بيت رسول الله ﷺ». ويقول النعمان القيروانى فى ديباجته: «إنه لما اضطربت الأحكام واختلفت المذاهب وانقلبت أوضاعها، رأى عملاً بقول رسول الله: **«إذا ظهرت البدع فى أمتى فليظهر العالم علمه»**، أن يضع كتابًا جامعًا مختصرًا بما جاء عن الأئمة من أهل بيت رسول الله، من جملة ما اختلف فيه الرواة عنهم فى دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام، وهذه الدعائم حسبما ورد فى الإمام جعفر بن محمد الصادق هى «الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد»، وهى الموضوعات التى يتناولها المجلد الأول من الكتاب.

وتوجد بدار الكتب نسخة مصورة قديمة من كتاب «الأخبار» أو «شرح الأخبار»، وقد ذكر النعمان القيروانى موضوعه وطريقة تأليفه فى مقدمته فيما يأتى، «آثرت منه الأخبار، وجمعت منه الآثار ،فى فضل الأئمة الأبرار، حسبما وجدته؛ وغاية ما أمكننى، واستطعته؛ فصححت ما بسطته فى كتابى هذا وألفته، بأن عرضته على ولى الأمر ،وصاحب الزمان والعصر، مولاى المعز لدين الله أمير المؤمنين عليه السلام وعلى سلفه وخلفه، وأثبت منه ما أثبته، وصح عنده وعرفه، وأثره عن الأئمة الطاهرين، وأجاز لى سماعه منه، وبأن أرويه لمن يأخذه عنى وعنه عليه السلام، فبسطت فى هذا الكتاب ما أثبته وأجازه وعرفه، وأسقطت ما أنكره من ذلك، وذلك مما نسبه إلى أهل الحق المبطلون، وحرف من قولهم المحرفون».

ثم قرىء بالأزهر كتاب ألفه الوزير ابن كلس فى الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية، مما سمعه فى ذلك من المعز لدين الله والعزيز بالله، وهو المعروف بالرسالة الوزيرية؛ وكان يجلس لقراءته وتدريسه بنفسه حسبما قدمنا. وأفتى الناس بما فيه[1].

---

(١) راجع الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفى فى ص ٢٣، وابن خلكان جـ٢ ص ٤٤١، والخطط جـ ٤ ص ١٥٧.

فالـكتب الأولى التى قررت للتـدريس بالأزهر هى كتب اشـتقت من المـصادر المذهبية الرسمـية أعنى من أولياء الخلافة الفاطمـية ذاتها، وكان لها صيغـة رسمية واضحة. وكان التدريس بالأزهر يجرى يومئذ على مـذهب الشيعة بصفة رسمية. وشدد فى ذلـك فى بادئ ذى بدء حتى أنه فى سنة إحـدى وثمانين وثلاثمـائة فى عهد العزيز بالله، قبض على رجل وجـد عنده كتاب «الموطأ» للإمام مالك. وجلد من أجل إحرازه[١].

وفى سنة ست عشرة وأربعمائة، أمر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ولده الحاكم بأمر بالله بأن يدرس الدعاة للناس كتاب «دعائم الإسلام» وكتاب «مختصر الوزير» ورتب لمن يحفظهما مالا[٢]، والدعاة هم أساتذة دار الحكمة، وقد كانوا يجلسون للتدريس بالجـامع الأزهر فى أحيان كثـيرة[٣]، وقد عـرفنا موضوع كتـاب «دعائم الإسلام»، وعرفنا مؤلفه، أما «مـختصر الوزير» فيلوح لنا أنه هو مؤلف ابن كلس أعنى «الرسالة الوزيرية».

والمرجح أن كثيراً من الكتب الفقهية التى كانت تدرس بدار الحكمة كانت تدرس أيضًا بالأزهر كما يقول عنان، وإن كنا لم نعثر على نصوص أو بيانات أخرى تلقى ضـوءًا على أنواع الكتب التـى كانت تـدرس بالأزهر فى هذا العـصـر فى العلوم الأخرى، وكانـت تشمل مصنفات أعـلام الأساتذة المعاصرين الذين انتـهت إليهم الرياسة فى بعض العلوم أو الذين تولوا التدريس بالأزهر يؤمـئذ، مثل العلامة أبى الحسن على بن إبـراهيم الحوفى؛ إمام العـربية والنحـو، وصاحب كتـاب إعراب القرآن وابن بابشاد النحوى صاحب كـتاب «المقدمة» و«شرح الجمل»، وابن القطاع اللغوى صاحب كتاب «الأفعال»، وأبى محـمد عبد الله بن برى المصرى إمام اللغة فى عصره، وأبى العباس أحمـد بن هاشم المحدث والمقرىء، وأبى القاسم الرعينى الشاطبى إمام القراءات وصاحب القصيـدة الشهيرة فى علم القراءات «حرز الأمانى ووجه التهانى»[٤]، وغيرهم ممن انتـهت إليهم الرياسة فى هذا العصر، واعـتبرت

---

(١) الخطط جـ ٤ ١٥٧. (٢) الخطط جـ ٢ ص ١٦٩.

(٣) الخطط جـ ٣ ص ٢٢٦، تاريخ ابن ميسر ص ٦٤.

(٤) توفى الحوفى سنة ٤٣٠ هـ وابن بابشاذ سنة ٤٦٩ هـ وابن القطاع سنة ٥١٥ هـ وابن برى سنة ٤٩٩ هـ وابن هاشم سنة ٤٤٥ هـ والشاطبى سنة ٥٩٠ هـ.

مصنفـاتهم متـونًا ومراجع. بل لقد لبـثت مصنفات بـعض أولائك الأئمة تدرس بالأزهر حتى العصر الأخير، مثل قصيدة الشاطبى فى القراءات.

على أن كثـيرًا من الكتب الـتى ألفت ودرست فى هذا العهـد، قد دثر بانتـهاء الدولة الفاطمية وحرص الدولة الأيوبية التى خلفتها، على محو رسومها وآثارها.

هذا وقد عنيت الدولة الفـاطمية عناية خـاصة باقتناء الكتب وإنشاء المكتـبات العظيمة، وكان بالقصر الفاطمى مكتبة جامعة ذكرها المؤرخون كما يقول عنان فى وصف عظمتها ونفـاسة محتوياتها، وكان بها مـا يزيد على مائتى ألف مجلد فى سـائر العلوم والفنـون، فى الفـقـه والحـديث واللغـة والتـاريخ والأدب والطب والكيميـاء والفلك وغيرها. وقال ابن أبى طى بعـدما ذكر استـيلاء صلاح الدين على القصـر «ومن جملة مـا باعوه خزانة الكتب، وكـانت من عجـائب الدنيا، ويقال إنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر»[1]. وكان بدار الحكمة مكتبة أخـرى يرجع إليها الأساتذة والطلاب، وبها عـدد كبيـر من الكتب الفلسفـية والرياضـية والروحانيـة وغيرهـا مما يتصل بدروس الحكمة[2].

وكانت فى الواقع خلفًا لمكتبة الإسكندرية الشهـيرة. وكان للجامع الأزهر مكتبة خاصة به، وكانت المسـاجد الجامعة تزود فى هذه العصـور بمجموعات من الكتب ولا سيما كـتب الحديث والفقه. ولكن يوجد ثمـة ما يدل على أن الأزهر كان له من خزائن الكتب نصيب حسن، وكـانت له مكتبة كبيرة ذات أهميـة خاصة، فإن ابن ميـسر يقول فـى أخبار سنة ٥١٧هـ إنه قـد أسند إلى داعى الدعاة أبى الفـخر صالح منصب الخطابة بالجـامع الأزهر مع خزانة الكتب[3]؛ وإسناد الإشراف على خزانة الكتب إلى داعى الـدعاة، وهو أكبر رئـيس دينى بعد قاضى القـضاة، دليل على قيمتها وأهميتها.

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٢٥٣– ٢٥٥. ولعله لم يفق المكتبة الفـاطمية فى ضخامتـها سوى مكتبة قرطبـة الشهيرة التى بلغت ذروتها فى عهد الحكم المستنصر بالله. وقدر ما بها يومئذ من الكتب بستمائة ألف مجلد.

(٢) الخطط جـ ٢ ص ٢٥٤، و٣٣٤.

(٣) أخبار مصر لابن ميسر ص ٦٤.

وكان فى مقدمة الأساتذة المدرسين فى الأزهر بنو النعمان قضاة مصر، فكان القاضى أبو الحسن على بن النعمان أول من درس بالأزهر، وكان فوق تضلعه فى فقه آل البيت أديبًا شاعرًا، وتوفى سنة ٣٧٤هـ، ودرس بالأزهر أيضًا أخوه القاضى محمد بن النعمان المتوفى سنة ٣٨٩هـ، ثم ولده الحسين بن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله[(١)]. ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق (المتوفى سنة ٣٨٧هـ)، كان من الذين تولوا الدراسة بالأزهر يومئذ، فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته، ثم صديق ولده العزيز من بعده. ومن المعقول أن يقع الاختيار عليه للتدريس بالمعهد الفاطمى الجديد، كما يقول عنان.

وهناك من أعلام الفكر والأدب فى هذا العصر من كانت لهم صلة علمية بالأزهر فتلقوا دراستهم كما يقول عنان، أو تولوا التدريس فيه، فمنهم المسبحى الكاتب والمؤرخ الشهير، وهو الأمير المختار عز الملك محمد ابن عبد الله بن أحمد الحرانى، ولد بمصر سنة ٣٦٦هـ، وتوفى سنة ٤٢٠هـ. وكان من أقطاب الأمراء والعلماء، تولى الوزارة للحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه، وأخذ بقسط فى مختلف علوم عصره، ومن المعقول أن يكون المسبحى وهو من أولياء الفاطمية وأقطاب علمائها من أساتذة المعهدين الفاطميين: دار الحكمة والأزهر. وشغف المسبحى بتدوين التاريخ وألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى «أخبار مصر»، وهو أثر ضخم يتناول تاريخ مصر وما بها من الأبنية والعجائب، وذكر نيلها وأقاليمها ومجتمعاتها حتى أوائل القرن الخامس الهجرى، ولم يصلنا هذا الأثر الذى يلقى بلا ريب أعظم ضوء على تاريخ الدولة الفاطمية فى عصرها الأول، ولكن الشذور التى وصلتنا منه على يد المقريزى وغيره من المؤرخين المتأخرين تنوه بقيمة هذا الأثر ونفاسته. وكتب المسبحى كتبًا أخرى فى التاريخ والأدب والفلك ولكنا لم نتلق شيئًا منها[(٢)].

---

(١) ابن خلكان جـ٢ ص٢١٩ - ٢٢٣. وحسن المحاضرة جـ١ ص ٢٦٨، وذيل قضاة مصر (ملحق كتاب الكندى) ص ٥٨٩ و٦١٠ و٦١١.

(٢) راجع فى ترجمة المسبحى، ابن خلكان جـ١ ص ٦٥٣ وحسن المحاضرة جـ١ ص ٢٦٥.

ومنهم أبو عبد الله القضاعى الفقيه والمحدث والمؤرخ، وهو محمد بن سلامة بن جعفر. ولد بمصر فى آواخر القرن الرابع، وتوفى بها سنة ٤٥٤هـ. وكان من أقطاب الحديث والفقه الشافعى، تولى القضاء وغيره من مهام الدولة فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى، وأوفده المستنصر سفيرًا إلى تيودورا قيصرة قسطنطينية سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) ليحاول عقد الصلح بينها وبين مصر، وكتب عدة مصنفات فى الحديث والفقه والتاريخ منها «الشهاب» و«مسند الأصحاب» وهما فى الحديث، وكتاب «مناقب الإمام الشافعى» و«أبناء الأنبياء» و«عيون المعارف» وهما مختصران فى التاريخ، وكتاب «المختار فى ذكر الخطط والآثار» وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره[1].

ومنهم الحوفى النحوى اللغوى، وهو أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد وكان من أئمة اللغة فى عصره، واشتغل مدة طويلة بالتدريس فى مصر والقاهرة، وألف كتبًا كثيرة فى النحو والأدب، منها كتاب «إعراب القرآن» وكانت وفاته فى سنة ٤٣٠هـ.

ومنهم أبو العباس أحمد بن هاشم المصرى، وقد كان من كبار المحدثين والمقرئين واشتهر بتدريس علم القراءات، وتوفى سنة ٤٤٥هـ.

ومنهم ابن بابشاذ النحوى الشهير، وهو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصرى المعروف بابن بابشاذ، كان إمام عصره فى اللغة والنحو، وألف فيهما عدة كتب ضخمة، واشتغل حينًا بديوان الإنشاء فى عهد المستنصر بالله، وتوفى سنة ٤٦٩هـ.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى تلميذ القضاعى، كان أيضًا من أئمة اللغة والنحو، وتوفى سنة ٥٢٠هـ.

وبعد: فقد كان الأزهر بحق أعظم مؤسس لصرح الحياة العقلية والثقافية فى عصر الفاطميين.

ونذكر فى هذه المناسبة أن ممن عهد إليهم فى التدريس فى الأزهر عند إنشائه القاضى على بن ميمون المتوفى ٣٧٤هـ - ٩٨٤م وأخوه القاضى محمد المتوفى عام

---

(١) راجع فى ترجمة القضاعى، ابن خلكان ج١ ص ٥٨٥. والسبكى فى طبقات الشافعية جـ٣ ص ٦٣ وأخبار مصر لابن ميسر فى حوادث سنة ٤٤٧هـ وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٨.

٣٨٩ - ٩٩٨م. وقد نبغ الحافظ السلفى المتوفى عام ٥٧٦هـ ولا شك أنه كان له نشاط علمى فى الأزهر.

ونحن نعلم مبلغ اهتمام الفاطميين بالعلوم الرياضية والطبية والفلكية والجغرافية تلك العلوم التى أنشأوا لها فى عهد الحاكم سنة ٣٩٥هـ مؤسسة خاصة أسموها دار الحكمة، وهذا مما يرجح فى نظرنا أن هذه العلوم كانت موضوع دراسة فى الأزهر أيضًا، بالإضافة إلى العلوم الأخرى. غير أنه ليس من شك أن الصدارة والشطر الأكبر من العناية كانتا للعلوم النقلية الدينية ولا سيما علوم قانون الشريعة.

نعم إنه فى عهد الدولة الفاطمية -أعنى فى غضون قرنين كاملين- اقتصر التعليم الدينى على المذهب الشيعى، فأصبح هو المذهب السائد فى التطبيقات العلمية والأحكام القضائية، وصارت مذاهب أهل السنة مجهولة، بل كانت كتبهم تصادر فى بعض الأحيان.





القاهرة الفاطمية

الأزهر جامع الدولة الرسمى

فى يوم عيد الفطر سنة ٣٦٢هـ ركب المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر عقب مقدمه إلى عاصمة ملكه الجديد بقليل، كما يقول عنان[١] - إلى الجامع الأزهر لصلاة العيد، وألقى خطبة بليغة أبكى فيها الناس[٢]، وكانت هذه أول صلاة رسمية يشهدها الخليفة الفاطمى بالجامع الأزهر.

واستمر الأزهر يستأثر بهذا الامتياز الرسمى فى ظل الدولة الفاطمية زهاء أربعين عامًا تقام فيه الجمع الرسمية، ويخطب الخليفة فيه بنفسه فى جمع رمضان وفى الأعياد، حتى تم إنشاء الجامع الحاكمى أو الجامع الأنور فى عصر الحاكم بأمر الله، وكان الخليفة العزيز بالله قد بدأ بإنشائه منذ سنة ٣٨٠هـ، وشهد به الجمعة فى رمضان وخطب فيه غير مرة، ولكنه توفى قبل إتمامه، فعنى ولده الحاكم بأمر الله بإتمامه منذ سنة ٣٩٣هـ، واستغرق بناؤه عشر سنين. ولما تم بناوه عنى الحكام بفرشه وتأثيثه عناية كبيرة، وزين بالستور الفخمة والتنانير الفضية، وأقيمت فيه الجمعة الرسمية فى رمضان سنة ٤٠٣هـ وصلى فيه الحاكم بالناس، وكان يومًا مشهودًا[٣]، وألفى الجامع الأزهر لأول مرة فى جامع الحاكم منافسًا ينازعه الصفة الرسمية التى استأثر بها حتى ذلك الحين. وكانت الجمعة الرسمية تقام أيضًا من وقت إلى آخر فى بعض المساجد الفاطمية الأخرى، مثل جامعى راشدة والمقسى اللذين أنشأهما الحاكم بأمر الله، وكانت الخطب الخلافية تلقى فى الأزهر والجامع الحاكمى، وكذلك فى جامعى عمرو وابن طولون اللذين لبثا يحتفظان دائمًا بهيبتهما القديمة[٤]، بيد أن الجامع الأزهر لم يفقد من جراء هذه المنافسة مكانته الخاصة، بل كان دائمًا يعتبر فى نظر الخلفاء الفاطميين ورجال الدولة مسجد الدولة الأول.

---

(١) ص ٩٥ الأزهر لعنان.

(٢) المقريزى عن ابن زولاق فى اتعاظ الحنفاء ص ٩٢.

(٣) المقريزى فى الخطط جـ٤ ص ٥٦.

(٤) صبح الأعشى جـ٣ ص ٥٠٣.

وكانت إقامة الجمعة والصلوات الموسمية الجامعة بالأزهر من أخص المظاهر المذهبية الرسمية التى أسبغتها عليه الخلافة الفاطمية، وقد رأينا فيما تقدم أن الجامع الأزهر أنشىء ليكون رمزًا لإمامة الدولة الجديدة ومنبرًا لدعوتها، وقد لبث الأزهر منذ إنشائه محتفظًا بهذه الصفة على الرغم من قيام عدة أخرى من المساجد الفاطمية الجامعة التى نافسته فيما بعد فى إقامة الجمعة والصلوات الموسمية، وكان الخليفة يشهد الصلاة أيام الجمع والأعياد الموسمية، ويخطب فيها بنفسه فى أحيان كثيرة، وكانت خطبة الجمعة الرسمية ما تزال على عهدها تلقى بالجامع الأزهر حتى أواخر الدولة الفاطمية[1].

وكان الخليفة يلقى خطب الجمعة فى شهر رمضان بالجامع الأزهر قبل إنشاء الجامع الحاكمى وغيره من المساجد الفاطمية الجامعة، وكان يستريح الجمعة الأولى ويلقى الخطبة فى الجمع الثلاث الأخيرة. وكان يركب إلى الصلاة فى هيئة مخصوصة ويؤديها وفقًا لرسوم وتقاليد معينة، وقد انتهت إلينا من أقوال المؤرخين المعاصرين نبذ شائقة فى وصف هذه المواكب والرسوم المذهبية الفخمة، فمثلاً يقول لنا المسبحى فى حوادث سنة ٣٨٠هـ ما يأتى:

«وفى يوم الجمعة غرة رمضان سنة ثمانين وثلثمائة ركب العزيز بالله إلى جامع القاهرة بالمظلة الذهبية، وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش، وبيده القضيب، وعليه الطيلسان والسيف، فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف، فأخذ رقاع المتظلمين بيده، وقرأ منها عدة فى الطريق، وكان يومًا عظيمًا ذكرته الشعراء»[2].

وكاد الجامع الأزهر يستأثر منذ عهد المعز لدين الله حتى قيام الجامع الحاكمى بالخطب الرسمية الثلاث فى رمضان، ثم كانت تلقى هذه الخطب بعد ذلك على الترتيب الآتى: الأولى بالجامع الحاكمى (أو الجامع الأنوار)، والثانية بالجامع الأزهر، والأخيرة بالجامع العتيق أو جامع عمرو، وقد نقل المؤرخون المتأخرون عن ابن الطوير وغيره من المؤرخين المعاصرين هيئة صلاة الجمعة فى هذه الأيام

---

(١) راجع النجوم الزاهرة ٥ ص ١٧٦ حيث يذكر أن خطبة الجمعة كانت تلقى بالأزهر حتى عهد الأمر بأحكام الله (٤٩٦-٥٢٥هـ).

(٢) المقريزى عن المسبحى فى الخطط جـ٤ ص ٦١.

المشهودة. وبيــان ذلك -كما يقول عنان- أن يركــب الخليفة فى موكبـه الفخم إلى الجامع، ويخــرج من باب الذهب والمظلة بمشــدة الجوهر على رأســه، وقد ارتدى ثياب الحرير الأبيض الساذجــة توقيراً للصلاة، ويدخل من باب الخطابة، وبين يديه القــراء يتلون منذ خروجــه من القصــر، ومن حوله الجند والركــابية. وإذا كــانت الصلاة بالجامع الأزهر فإنه يخرج فى مــوكبه إلى الجامع من باب الديلم الذى غدا باب المشهد الحسـينى فيما بعد، ويعبر «الخوخ» (الدروب) السـبع إلى رحبة الجامع الأزهر، وكانت هذه الرحبة ساحة ساشعة تقع فى الجهة البحرية من الجامع، وكان يحتشد فيها الجند كلما قـصد الخليفة إلى الأزهر، ثم يدخل الخليفة الجامع من بابه البحرى، ويــجوز إلى الدهليز الأول الصغـير، ومنه إلى القاعة المعلقــة التى كانت برسم جلوسه فـيجلس فى مجـلسة، وترخى المقرمـة الحرير وتحفظ المقـصورة من خارجها بتــرتيب أصحاب الباب وحراسة الجند، ومن الداخل حتى البــاب بصبيان الخاص وغـيرهم. ويقرأ المقــرئون وتفتح أبواب الجامع حـينئذ للناس بعد غلقــها، ووضع الحجاب عليــها قبل مقدم الخليفة، وتــتخذ الأهبة منذ الصباح لاســتقباله، فيأتى صاحب بيت المال وبين يديه الفرش المختص بالخليفة محمولاً بأيدى الفراشين المميزين، ملفوفًا فى العراضى الديبقية، فيفرش فى المحراب ثلاث طراحات فاخرات واحدة فوق أخــرى، ويعلق ستران يمنة ويســرة، يكتب فى أولهما بالحريــر الأحمر سورة الفــاتحة وســورة الجمـعة، ويكتب فى الســتر الثــانى سورة «المنافــقون» كــتابة واضحــة، فإذا اســتحق الأذان أذن مؤذنو القصــر كلهم على باب مجلس الخليــفة، وعندئذ يصعد قــاضى القضاة إلى المنبر وفى يده مـدخنة لطيفة من الخيزران يقــدمها صــاحب بيت المال وفيــها ند خــاص بالخليفــة، ويبــخر بهــا أعلى المنبر وهو يقــبل درجاته. ثــم يدخل مقصــوره الخليفــة مسلمًــا بقوله: «الســلام على أميــر المؤمنين الشريف -القــاضى- الخطيب ورحمة الله وبركــاته «الصلاة يرحمك الله». فيــخرج الخليفة وحــوله الأساتذة المحنكون والوزراء والأمراء والحراس المســلح، ويصعد إلى أعلى المنبر تحت القبة المبخرة، ويقف الوزير بباب المنبر ووجهه إليه، فإذا جلس أشار إلى الوزير بالصعود فيصعــد إليه ويقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس، ثم يزر تلك القبة حتى تصير كالهودج، ثم ينزل مستقبلاً للخليفة. ويقف ضابطًا للمنبر، وينهض الخليفة فيلقى خطبة قصيرة من مسطور يعده له ديوان الإنشاء يتلو فيها آية من القرآن

الكريم، ثم يصلى على أبيه على بن أبى طالب وجده النبى عليه الصلاة والسلام، ويعظ الناس وعظًا بليغًا موجزًا، ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه ويتوسل بدعوات فخمة تليق به، ثم يدعو للوزير والجيوش بالنصر والظفر على الكافرين والمخالفين، ثم يختتم بقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] فيصعد إليه الوزير، ويفك أزرة القبة ويعود القهقرى، فينزل الخليفة ويقف للصلاة فوق الطراحات المذكورة فى المحراب وحده إماما، وخلفه الوزير والقاضى ومن ورائهما الأساتذة والأمراء وأصحاب الرتب والمؤذنون بترتيب مخصوص، فإذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضى، وأسمع القاضى المؤذنين فأسمعوا الناس، ويقرأ الخليفة فى الركعة الأولى ما هو مكتوب على الستر الأيمن، وفى الركعة الثانية ما هو مكتوب على الستر الأيسر، فإذا انتهت الصلاة خرج الناس وركبوا تباعًا، ثم يعود الخليفة بموكبه إلى القصر والبوقات تضرب ذهابًا وإيابًا، ويتكرر هذا الترتيب والنظام فى الجمعتين الأخريين(١).

وقد لبث الأزهر فى العهد الفاطمى فضلاً عن صبغته الجامعية وعن إقامة الجمع والصلوات الرسمية فيه مركزًا لكثير من المظاهر والمناسبات الرسمية الأخرى.

فمن ذلك أنه كان مركز المحتسب، وكان منصب المحتسب من أهم المناصب الدينية فى الدولة الفاطمية، وهو الثالث عندهم بعد قاضى القضاة وداعى الدعاة، وعمله يتناول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة، وله نواب فى جميع أنحاء القطر، ويجلس بالجامع الأزهر وجامع مصر (جامع عمرو) يومًا بعد يوم(٢)، وكانت مجالس القضاء تعقد قبل قيام الجامع الأزهر بجامع عمرو والجامع الطولونى.

ومن ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمى بالمولد النبوى الكريم، ففى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة صوانى الحلوى التى أعدت بالقصر لتفرق فى أرباب الرسوم: كقاضى القضاة وداعى الدعاة وقراء الحضرة والخطباء وغيرهم،

---

(١) راجع الخطط ج ٤ ص ٦١، ٦٢- وراجع أيضًا صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠٩-٥١١، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧.

فيجلسون فى الجامع مقدار قراءة للختمة الكريمة، ثم يعودون فى موكبهم إلى القصر، وينتظرون تحت المنظرة التى يجلس فيها الخليفة، ثم تفتح إحدى طاقات المنظرة ويبدو منها وجه الخليفة، ثم يخرج أحد الأستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء بترتيب معلوم، فإذا انتهى الحفل أخرج الأستاذ يده مشيراً برد السلام كما تقدم، ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس[1].

وكان الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء، أو مأتم عاشوراء، يقام بالجامع الأزهر قبل إنشاء المشهد الحسينى فى سنة ٥٤٩هـ، وكان هذا الحفل من أجمل المظاهر المذهبية التى رتبتها الدولة الفاطمية لإحياء ذكرى الحسين. ففى العاشر من المحرم يحتجب الخليفة عن الناس، وفى الضحى يركب قاضى القضاة والشهود، وقد ارتدوا ثياب الحداد، إلى الجامع الأزهر (أو المشهد الحسينى فيما بعد) فى حفل من الأمراء والأعيان وقراء الحضرة والعلماء، ثم يأتى الوزير فيتبوأ صدر المجلس، ويجلس إلى جانبيه قاضى القضاة وداعى الدعاة، والقراء يتلون القرآن، ثم ينشد قوم من الشعراء أشعاراً فى رثاء الحسن والحسين وآل البيت، ويضج الحضور بالبكاء والعويل، ثم ينصرف الوزير إلى داره ويستدعى القوم إلى القصر وقد فرشت أروقته بالحصر بدل البسط، فيجدون صاحب الباب فى انتظارهم فيجلس القاضى والداعى إلى جانبه والناس على اختلاف مراتبهم، ويقرأ القراء وينشد المنشدون على النحو السابق. ثم يمد فى القاعة سماط الحزن عند الظهر، وليس فيه سوى العدس والألبان والأجبان الساذجة والأعسال النحل والخبز الأسمر، ويدخل من شاء لتناول الطعام فإذا انتهى القوم انصرفوا إلى دورهم. ويعم الحزن والنواح القاهرة فى ذلك اليوم، وتعطل الأسواق ويعتكف الناس حتى العصر، ثم تفتح الأسواق وتسترد العاصمة شيئًا من نشاطها ومظهرها العادى[2].

وفى ليالى الوقود الأربع، وهى ليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان وليلة نصفه، وكان الخليفة يقصد مساء إلى منظرة الجامع الأزهر، وكانت بجواره

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠٣.

(٢) راجع خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩١، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٣- ١٥٤.

من الجهة القبلية وتشرف عليه ويجلس الخليفة فى هذه المنظرة ومعه حرمه، وذلك لمشاهدة الزينات المضيئة والاحتفالات الفخمة التى كانت تقام فى تلك الليالى الشهيرة[١]. وإليك وصف المسبحى لبعض هذه ليالى. قال فى حوادث شهر رجب سنة ٣٨٠هـ «وفيه خرج الناس فى لياليه على رسمهم فى الليالى الجمع وليلة النصف إلى جامع القاهرة (يعنى الجامع الأزهر) عوضًا عن القرافة، وزيد فيه فى الوقيد على حافات الجامع، وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم فى كل سنة، والأطعمة والحلوى والبخور فى مجامر الذهب والفضة وطيف بها، وحضر القاضى محمد بن النعمان ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده، وغيرهم والمنشدون والناحة وأقام إلى نصف الليل، وانصرف إلى داره بعد أن قدم إلى من معه أطعمة من عنده وبخرهم»، وقال فى حوادث شعبان من نفس السنة «وفى ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضى محمد بن النعمان فى جميع شهوده ووجوه البلد ووقد التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه، ووضع الشمع على المقصورة وفى مجالس العلماء، وحمل إليهم العزيز بالله الأطعمة والحلوى، والبخور فكان جمعًا عظيمًا»[٢].

وهكذا كانت ليالى الوقود من المناسبات العامة التى يتبوأ فيها الجامع الأزهر مكانة خاصة، فيخرج الناس إليه من كل فج، ويبدو فيها المسجد الشهير كأنه شعلة من النور، وتضاء فى جوانبه وعلى حافاته المشاعل والواقدات الساطعة، ويعقد فى صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء برياسة القاضى القضاة، ويبعث الخليفة إليهم بسلال من الأطعمة والحلوى الفاخرة، وتضاء جميع المساجد الأخرى وتبدو العاصمة الفاطمية كلها فى حلل بديعة من الأنوار الساطعة.

وهذا: وقد وصف مؤرخو الدولة الفاطمية أيضًا الموكب الرسمى الذى كان ينظم فى ليالى الوقود، عقب الغروب، ويتقدمه القاضى، ومن حوله القراء والمؤذنون ويسيرون على ضوء المشاعل والشموع الساطعة إلى القصر، ثم ينتظمون

---

(١) الخطط ج ٢ ص ١٨١، ٣٤٥.

(٢) المقريزى عن المسبحى -الخطط ج٢ ص ٣٤٥.

فى ميـدان بين القصرين تجاه باب الزمـرد، أحد أبواب القصر الغـربية، وينتظرون هنالك حتى يطل عليهم الخليفة ويحييهم من إحدى طاقات المنظرة الخلافية[١].

كذلك كـان الجامع الأزهر أيام المعز والعـزيز والحاكم، مركزًا لمجـالس الحكمة الفاطمية. وكانت هذه المجالس الشهيرة التى رتبـتها الخلافة الفاطمية، لبث دعوتها وتوطيد إمامتها، تتخذ صورة الدعوة إلى قـراءة علوم آل البيت والتفقه فيها؛ وكان يقوم بإلقاء هذه الدروس أيام المعز بنو النعمان، وهم أسـرة مغربية نابهة قدمت فى ركاب الخليـفة الفاطمى، وتولت قـضاء مصـر زهاء نصف قرن؛ وكانت مـجالس الحكمة تعقد أحيانًا فى القصر وأحيانًا فى الجامع الأزهر، ويشترك فى إلقائها بعض كبـراء الدولة مثل الوزير ابن كلس وزير المعـز ثم ولده العزيز، ثم عهـد بعد ذلك إلى داعى الدعـاة بالإشراف على تـنظيم هذه الدعوة وبثـهـا، ووضعت لهـا نظم ورسوم خاصة، وأحـيطت مجالس الحكمة يومئذ بشىء من التحـفظ، واستحالت إلى نوع من الدعوة السرية، تلقى فى الخاصة قبل كل شىء، وتـعقد مجالسها فى القصر، وكان للكافة أيضًا نصيب تلك المجالس، فـيعقد للرجال مجلس بالقصر، ويعقـد للنساء مـجلس بالجامع الأزهر. وكـان الداعى يشرف على هـذه المجالس جميعًا بنفسه، أو بواسطة نقبائه ونوابه، وكانت الدعوة تنظم طبقًا لمستوى الطبقات والأذهان، فلا يتلقى الكافة سوى مبادئها وأصـولها العامة، ويرتفع الدعاة بالخاصة والمستنيرين إلى مراتبها وأسرارها العليا[٢].

ولا تعرف أية مناسبة أخرى غير مجالس الحكمة الفاطمية يمثل فيها النساء فى الجامع الأزهر فى ذلك العصر لشهـود نوع من القراءة والدرس، بيد أنه يوجد ما يدل على أن النسـاء كن يظهرن أحـيانًا فى بعض العـصور المتـأخرة فى حلـقات الأزهر الدراسـية، وقـد كان من هؤلاء أم زينـب فاطمـة بنت عبـاس المعروفـة بالبغدادية التى توفيت سنة ٧١٤هـ، وكانت فقيهة وافرة العلم وانتفع بعلمها كثير من نساء مصر ودمشق[٣] وذكر الجبـرتى أيضًا ما يفيد أنه كـان ثمة سيدة فقـيهة

(١) راجع خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٤٦، وصبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠٠١، ٥٠٢.

(٢) الخطط جـ٢ ص ٢٢٥، ٢٢٦، وصبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧. وراجع كتاب الحاكم بأمر الله لعنان ص ١٦١-١٦٣.

(٣) راجع خطط المقريزى ج ٤ ص ٢٩٤، وحسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ١٨٢.

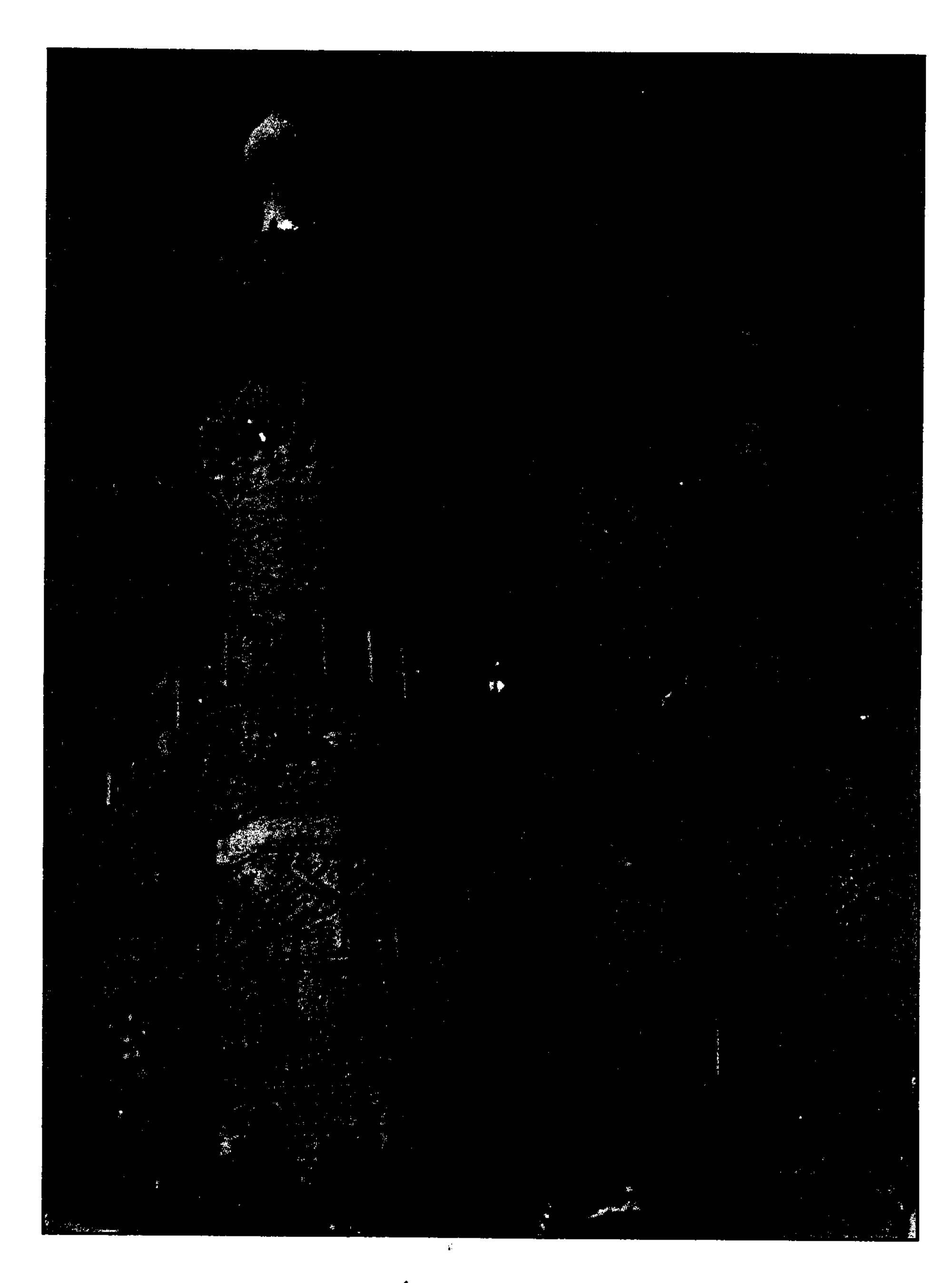
عمياء تحضر دروس الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى[١].

الأزهر وتجديد مبانيه:

وقد تعهد الخلفاء الفاطميون الجامع الأزهر بالتجديد والعمارة فى فرص عدة، ففى سنة ٣٧٨هـ جدد فيه العزيز بالله أشياء، ثم جدده ولده الحاكم بأمر الله وزوده بمجموعة من التنانير الفضية، ورتب له فى سنة ٤٠٠هـ مع بعض المنشآت الفاطمية الأخرى أوقافا يتفق من ريعها على إدارته وشؤونه، فكانت أول وقفية رتبت للجامع الأزهر. وقام الخليفة المستنصر بالله أيضًا بتجديد الأزهر، وجدده من بعده الحافظ لدين الله، وأنشأ فيه مما يلى الباب الغربى مقصورة عرفت بمقصورة فاطمة الزهراء... وفى عهد الملك الظاهر بيبرس، قام الأمير عز الدين أيدمر الحلى، ونائب السلطة بعمارته وتجديده تجديدًا شاملاً، وكان الخراب قد تطرق إليه، فأنفق على عمارته وإصلاحه وتجميله أموالاً عظيمة، وسعى فى إعادة خطبة الجمعة إليه كما سنذكر، وفى سنة ٧٠٢هـ فى عهد السلطان الملك الناصر وقعت بمصر زلزلة عظيمة، وسقطت منشآت عدة منها الجامع الأزهر، فقام أمراء الدولة على عمارة هذه المنشآت، وتولى عمارة الجامع الأزهر الأمير سلار، وأنشأ الأمير علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش مدرسته التى عرفت باسمه «الطيبرسية» بجوار الجامع الأزهر من الجهة الغربية البحرية لتكون ملحقًا له، وكمل بناءها فى سنة ٧٠٩هـ وقرر بها درسًا للشافعية، وبعد ذلك بقليل أنشأ الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد، أستاذ دار الملك الناصر مدرسته المقابلة لها فى الزاوية البحرية الغربية للجامع الأزهر، مكان دار الأمير عز الدين أيدمر الحلى وقد تم بناؤها عام ٧٤٠هـ وأنشأ بها دروسًا للشافعية والحنفية وملجأ للصوفية. وقد حجبت المدرستان الطيبرسية والأقبغاوية واجهة الجامع الأزهر الغربية وما زالتا قائمتين فى مكانهما إلى اليوم. وفى سنة ٧٢٥هـ قام بتجديد الجامع الأزهر وعمارته القاضى نجم الدين

(١) راجع ذلك فى ترجمة الشيخ عبد الله الشرقاوى فى حوادث سنة ١٢٢٨هـ (ج ٤ ص ١٧٢).

محتسب القاهرة، ثم جددة عمارته سنة إحدى وستين وسبعمائة فى عهد السلطان الملك الناصر حسن، على يد الأمير سعد الدين بشير الجامدار، وكان يسكن على مقربة من الأزهر، فاستأذن السلطان فى إصلاحه، وقام فيه بعمارة شاملة، وأنشأ فيه دروسًا جديدة للفقه الحنفى، ورتب لطلابه أطعمة توزع عليهم كل يوم، وأوقف على ذلك أوقافا جليلة. وفى سنة ٨٨١هـ فى عهد الملك الأشرف قايتباى، أمر السلطان بإزالة الخلوات التى كانت بسطح الأزهر وفقا لفتوى صدرت بذلك، ورسم بتجديد الجامع وعمارة ما تشعث منه، وأمر بإنشاء المنارة الواقعة فى الجهة البحرية الغربية إلى يمين المدرسة الأقبغاوية والباب الذى تعلوه، حسبما نقش على أحجار هذا الباب، وتمتاز هذه المنارة برشاقتها وزخارفها الجميلة. وفى أواخر عهد الأشرف أيضًا، قام الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى بعمارة الجامع الأزهر وتجديده، وأنفق عليه من أمواله جملة كبيرة، وانتهت هذه العمارة فى سنة ٩٠٠هـ، وأنشأ السلطان الغورى بالأزهر منارته الجميلة ذات الرأسين التى ما زالت قائمة إلى الآن فى الجهة الغربية إلى جانب منارة الأشرف قايتباى.



وفى أثناء العهد التركى قام عدة من الولاة والأكابر بتجديد الأزهر، فجدده فى سنة ١٠٠٤هـ الشريف محمد باشا والى مصر ورتب به أطعمة للفقراء. وعمر به الوزير حسن باشا الوالى مقام الحنفية فى سنة ١٠١٤هـ، ثم جدده الأمير إسماعيل بك ابن الأمير إيواظ بك القاسمى فى أوائل القرن الثانى عشر. على أن أعظم عمارة أجريت بالجامع الأزهر فى ذلك العهد هى التى قام بها الأمير عبد الرحمن كتخذا القازدغلى فى أواخر القرن الثانى عشر، فقد أنشأ هذا الأمير الكبير فى الناحية الشرقية القبلية من الجامع بهوًا كبيرًا يشتمل على خمسين عمودًا من الرخام تحمله مثلها من البوائك المقوصرة، وأنشأ للجامع محرابًا ومنبرًا جديدين، وبنى فى أعلاه مكتبًا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن، وأنشأ أيضًا بداخله رحبة متسعة وصهريجًا عظيمًا، وأنشأ له داخل هذه الرحبة مدفنًا عليه قبة معقودة، كما أنشأ بتلك الجهة رواقًا خاصًا بطلاب الصعيد، وجدد المدرسة الطيبرسية وجعلها هى والمدرسة الأقبغاوية داخل الجامع، وأنشأ فيما بينهما بابا عظيمًا بالهيئة التى نراها اليوم. وأنشأ للجامع منارتين جديدتين، وتقع إحداها فى الجهة الشرقية القبلية والأخرى فى الجهة الشرقية، وعلى الجملة فقد كانت هذه العمارة أعظم ما شهد الجامع الأزهر منذ قرون، ورتب هذا الأمير الكبير للجامع وطلابه مرتبات وأطعمة كثيرة، وما زال الجامع الأزهر بوجه عام على حاله التى جدده بها عبد الرحمن كتخذا، ما عدا تغييرات وإضافات قليلة أجريت فى العهد الأخير[1].

---

(١) راجع ترجمة الأمير عبد الرحمن كتخذا وتفاصيل منشآته الكثيرة بالأزهر وغيره من المساجد والمدارس فى عجائب الآثار للجبرتى ج ٢ ص ٥ وما بعدها.



رسم تاريخى للباب الغربى للأزهر الشريف
كما أنشأه عبد الرحمن كتخدا (١١٦٧هـ)

وهكذا لبث الأزهر خلال حياته الطويلة الحافلة موضع العناية والرعاية من الخلفاء والسلاطين والأمراء، ويتعهدونه بالتجديد والإصلاح والنفقة المستمرة، ولم يحظ جامع آخر من جوامع مصر التاريخية بمثل ما حظى به الأزهر من رعاية، وقد يرجع أكبر الفضل فى ذلك إلى ما يتمتع به الأزهر من الصفات العلمية إلى جانب صفته الدينية، وما زال الجامع الأزهر بفضل هذه الرعاية المستمرة يحتفظ بفخامته ورونقه وجديته بالرغم من عمره الألفى.

ومما يذكر بالاغتباط أن الأمراء الذين كانوا يبذلون الغالى والرخيص فى تشييد هذا الجامع وتكبيره كانوا لا يبغون بذلك سوى وجه الله تعالى وخدمة العلم، لا حب الظهور والرياء، فقد ذكر المؤرخون أن الأمير طيبرس مشيد المدرسة الطيبرسية التى هى الآن من ملحقات الأزهر، لما فرغ من بناء مدرسته وأحضروا إليه حساب نفقاتها، استدعى بطستت مملوء بالماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شىء منها، وقال: شىء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه!

وما زال الجامع الأزهر يحتل الموقع الذى أقيم فيه منذ ألف عام. وما زالت فيه بقية من أبنية الفاطميين الأولى تحتل مكانها الأول داخل الصرح القائم، وهى تكاد تبلغ نصف المسجد الحالى، وقد وفقت إدارة الآثار العربية أخيراً إلى الكشف عن رأس المحراب الفاطمى القديم، وقد كان مغطى بغطاء خشبى يرجع إلى عصر الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، فظهر بانتزاعه زخارف ونقوش فاطمية يرجح أنها ترجع إلى عهد إنشاء المسجد الأول أى فى عهد جوهر والمعز.

ومقصورة الجامع الأزهر تنقسم إلى قسمين: المقصورة الأصلية الكبيرة التى هى من إنشاء القائد جوهر، وبها ٧٦ عموداً من الرخام الأبيض الجيد على صفوف متسامتة، والمقصورة الجديدة التى أحدثها الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧هـ وبها خمسون عموداً من الرخام: فمجموع أعمدة المقصورتين ١٢٦ عموداً، وإذا أضيف إلى هذا العدد ما بملحقات الجامع من الأعمدة بلغ عددها كلها ٣٧٥ عموداً، وأرض المقصورة الجديدة مرتفعة عن أرض المقصورة القديمة بنحو نصف ذراع بحيث يصعد من القديمة إلى الحديثة بدرجتين.

وقد أنشأ جوهر القنبقائى مدرسة رواق الجوهرية فى أوائل القرن التاسع الهجرى، ودفن بها سنة ٧٤٤هـ.

وأنشيء فى عهد عباس الثانى الرواق العباسى، واحتفل بافتتاحه فى ٢٤ شوال سنة ١٣١٥هـ. وهو غاية فى الدقة والفن.

وأعظم زيادة دخلت فيه هى كما ذكرنا بناية الأمير عبد الرحمن كتخذا حسن جاويش القازدغلى سنة ١١٦٧ هجرية، فزادت فى سعة هذا الجامع بمقدار النصف تقريبًا، وهو عمل تاريخى جليل.

وبالأزهر الآن خمس منارات يؤذن عليها فى الأوقات الخمس وفى الأسحار، وتضاء بالكهرباء فى ليالى رمضان والمواسم، منها ثلاث منارات من داخل باب المزينين مشرفة على صحن الجامع، إحداها منارة الأقبغاوية عن يسار الداخل إلى الأزهر أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد مع مدرسة الأقبغاوية واثنتان عن يمين الداخل، فالتى بجانب الباب مما يلى الداخل أنشأها السلطان الأشرف قايتباى، والتى تليها من إنشاء السلطان الغورى وهى أعلى مناراته وأعظمها، والرابعة بباب الصعايدة، والخامسة بباب الشربة، وهما من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخذا.

ولقد كان الأزهر الشريف فى أول نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميين فى مصر، ومن بعدهم الملوك والأمراء والوزراء، وذوى الجاه منها، يتنافسون فى خدمة هذا الجامع، ويتعهدون أهله، ويشرفون على حلقات الدروس فيه، وينشئون الأروقة لسكنى الطلبة، ويشيدون دور الكتب فى علوم الدين والحكمة والفلسفة، مما كان له الأثر فى حفز همم الشيوخ والطلبة إلى التفرغ للتعلم والتعليم. وقد استمر الأزهر يتسع نطاقه حتى بلغت مساحته الآن سوى ملحقاته ١١٣٨٠ مترًا مربعًا.

ويقول الأستاذ محمد عبد الله دراز من كلمة نشرها فى مجلة الأزهر عام ١٩٥٢ : البيت المعمور الذى أرسيت قواعده فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله على يدى قائده جوهر الصقلى فى سنة ٣٥٩هـ- ٩٧٠م- كان يتألف فى أول إنشائه من قسمين: «فناء» فسيح يحيط به نطاق من الأعمدة المعقودة، و«مقصورة» أو «مصلى» لا تقل عنه اتساعًا، يشقها «مجاز» ممتد من بابها إلى المحراب. ولا تزال معالم القسمين قائمة إلى يومنا هذا لم ينلها تغيير جوهرى.

نعم إن بعض أجزاء المقصورة قد تناولها شيء من الترميم استجابة لضرورة حفظها وصيانتها. ولكن سائر أجزائها لا تزال كما وضعت أول يوم، ولا سيما «المحراب» الذى تراه الآن بنقوشه ورسومه العتيدة، و«المجاز» الذى نشاهد أعمدته بنقوشها ورسومها الأولى. وكذلك نرى الأعمدة المضروبة حول الفناء قائمة على حالها لم تتسنه، وإنما أضيف إليها فى مبدأ القرن السادى الهجرى (الثانى عشر الميلادى) نطاق آخر من الأعمدة من أمامها.

ولقد بقى الأزهر قرونًا عدة مكتفيًا بحدوده الأولى هذه، حتى كانت بداية القرن الثامن الهجرى، فهناك أخذت تضاف إليه فى عصور مختلفة زيادات كثيرة أصبحت فى مجموعها أشبه بصوان يحيط به من كل جانب، حتى صار «فناؤه» الخارجى «صحنًا» داخليًا، وحتى بلغت مساحة المسجد الآن ١١٣٨٠ مترًا مربعًا، لا يدخل فيها حساب الملحقات.

أولى هذه الإضافات تستقبلنا بمجرد ما نضع أقدامنا فى المسجد عند دخولنا من الباب الكبير الشمالى الغربى المطل على الميدان. ذلك أننا نجد أنفسنا فى دهليز متوسط الاتساع، فاصل بين جناحين من الأبنية عن يمين وشمال، ونجد أمامنا بابًا كبيرًا آخر داخليًا يفتح على صحن المسجد، فهذا الباب الداخلى الذى يفتح على الصحن هو أول حدود المسجد التاريخى. أما كل هذه الأبنية عن اليمين والشمال فيما بين البابين، وكذلك الأرض التى أقيمت عليها هذه الأبنية، فإنها من الزيادات التى ضمت إلى الجامع فى القرن الثامن الهجرى وما بعده.

فالجناح الأيمن (ما عدا منارتيه) أنشأه الأمير طيبرس فى سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩م) والجناح الأيسر بمنارته أقامه الأمير أقبغا فلى سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م). والباب الداخلى والمنارة الرشيقة التى فوقه إلى يمين الداخل من عمل السلطان قايتباى فى سنة ٨٧٣هـ (١٤٦٨م) والمنارة العظيمة ذات البرجين التوأمين وهى التى تلى هذه على اليمين أيضًا من صنع السلطان الغورى فى سنة ٩١٥هـ (١٥١٠م).

ولقد كان الجناحان فى نظر مؤسسيهما مدرستين، ولكن التثقيف العقلى فى رأيهما -وكذلك هو دائمًا فى نظر كل سياسة رشيدة- لم يكن لينفصل عن

التهـذيب الروحى ولذلك أقام كل منهمـا فى مدرسته مـحرابًا[1] أنيقًا دقـيقًا من الرخام والذهب لا يزال يتحدى الزمان بنضارته وجدته، كأنما صنع أمس.

والجناحان[2] اليوم مـشغـول معظمـهما بالمكتـبة الأزهرية التى تعـد من أنفس المكتبـات فى العالم، بما فـيها مـن المخطوطات النادرة، والمجلدات التى تبلغ زهاء مائة ألف مجلد. . فلنغادر الآن هذه الزيادات، ولنعبر «الصحن» فى خط مستقيم، ولندخل المقصـورة نجتازها إلى المحـراب. . هنالك سنشعـر بشىء من الدهشة، إذ نجد المحراب غيـر مستند إلى جدار القبلة كما هـو شأن المحاريب، بل نراه منعزلاً تمام العـزلة فى وسط المصلى؛ ونلاحظ فوق ذلك أن الأرض التى تمتـد من خلف هذا المحراب، والتى تكاد تعادل مساحة الأرض التى أمامه، مرتفعة عن هذه بحيث يصعد إليها بدرجتين؛ ونرى أخيرًا أن هناك مـحرابًا ثانيًا مستندًا كالعادة إلى الجدار الجنوبى الشرقى الذى هو جدار القبلة.

غـير أن هذه الدهشـة ستـزايلنا متى عـرفنا أن هذا الإيوان المرتفع قليـلاً، والمحراب الذى عليه، المتصل بالجـدار، وكذلك البابان اللذان فى هذا الجدار، والمنارتان المقامتان فوقهما، كل هذه زيـادات جديدة فى المقصورة أضيفت إليها أخيرًا علـى يد الأمير[3] عبـد الرحمن كتـخدا فى سنة ١١٦٧هـ (١٧٥٣م). ومن السـهل حيـنئذ أن نعـرف إلى أى حـد بلغ ورع هذا الأمـير وتقـواه فى المحافظة على تراث سلفـه الصالح، وعدم الجـرأة على تغيير شىء من مـعالمه بغيـر ضرورة ماديـة. . وهذا هو ما يسمى فى لغـة العصـر الحاضر: احـترام الماضى وصيانة آثار القدماء.

وقبل أن نتأهب للإنصـراف من هذه المقصورة يجمل بنا أن نقـترب من جدارها الشمالى الشرقى. . فسنجـد فيه بابًا صغيرًا ننفذ منه إلى مبنى جمـيل أقامه الأمير جوهر قايتـباى المتوفى سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٠م). لقد بناه هذا الأمـير ليكون مدرسة

---

(١) بل إن مدرسة أقبغا تحتوى محرابين اثنين.

(٢) الجناح الأيسـر حـول إلى مكتبـة منذ سنة ١١١٤هـ (١٨٩٦م). والجناح الأيـمن شغل جـانب منه ببـعض خزائن الكتب فى عهد قريب.

(٣) إلى هذا الأمير يرجع الفضل أيضًا فى بناء الباب الكبـير الذى فى المدخل على الميدان، وفى تجديد واجهته اليمنى، وهى جدار المدرسة الطيبرسية.

صغيرة، ولكنه جمع فيها كل عناصر المسجد الكبير مع جمال التنسيق ودقة الفن. وفيها قبة تقوم على قبر بانيها.

وقد جدد فى عهد الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) بناء أحد البابين اللذين فى جدار القبلة، كما أنه فى عهد توفيق جدد فى سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) بناء الإيوان الذى ينتهى بهذا الجدار وهاتان المنشأتان المجددتان كانتا من عمل الأمير كتخدا كما يعلم مما أسلفناه.

على أن أحدث الزيادات وأفخمها هى المنشآت التى أقيمت منذ عام ١٩٣٣ وتم بعضها فى ذلك الحين، ولا يزال العمل جاريًا فى تكميل باقيها. وهى مجموعات قائمة خارج نطاق المسجد، ولكنها تشرف عليه من الشمال والشمال الشرقى، ومن الشرق والجنوب الشرقى، وقد برز إلى الوجود فى سنتى ١٩٣٥، ١٩٣٦م أربع عمارات كبيرة، خصصت واحدة منها لإدارة الجامعة، والثلاثة الباقية لسكنى الطلاب. وأما فى عهدنا هذا فقد تم حتى اليوم:

١- مدرج فخم على أحدث طراز يتسع لألفى مستمع.

٢- كلية للشريعة الإسلامية.

٣- كلية للغة العربية، والكلية الباقية وهى كلية أصول الدين فى دور الإنشاء،[١] ومن الأعمال المتوقع البدء فيها إنشاء.

١- مكتبة فسيحة تتسع لنصف مليون مجلد[٢].

٢- معهد ابتدائى وثانوى يحضر للكليات الأزهرية.

٣- مستشفى[٣].

---

(١) تم إنشاؤها شمال كلية اللغة العربية وبعد قاعة الإمام محمد عبده من قبل باب الجامعة الكبير والرئيسى.

(٢) تمّ بناؤها على أحدث النظم فى حديقة الخالدين بجوار مشيخة الأزهر الجديدة.

(٣) تمّ بناؤها وأصبحت تسمى بمستشفى الحسين الجامعى تابعة لكلية طب جامعة الأزهر.

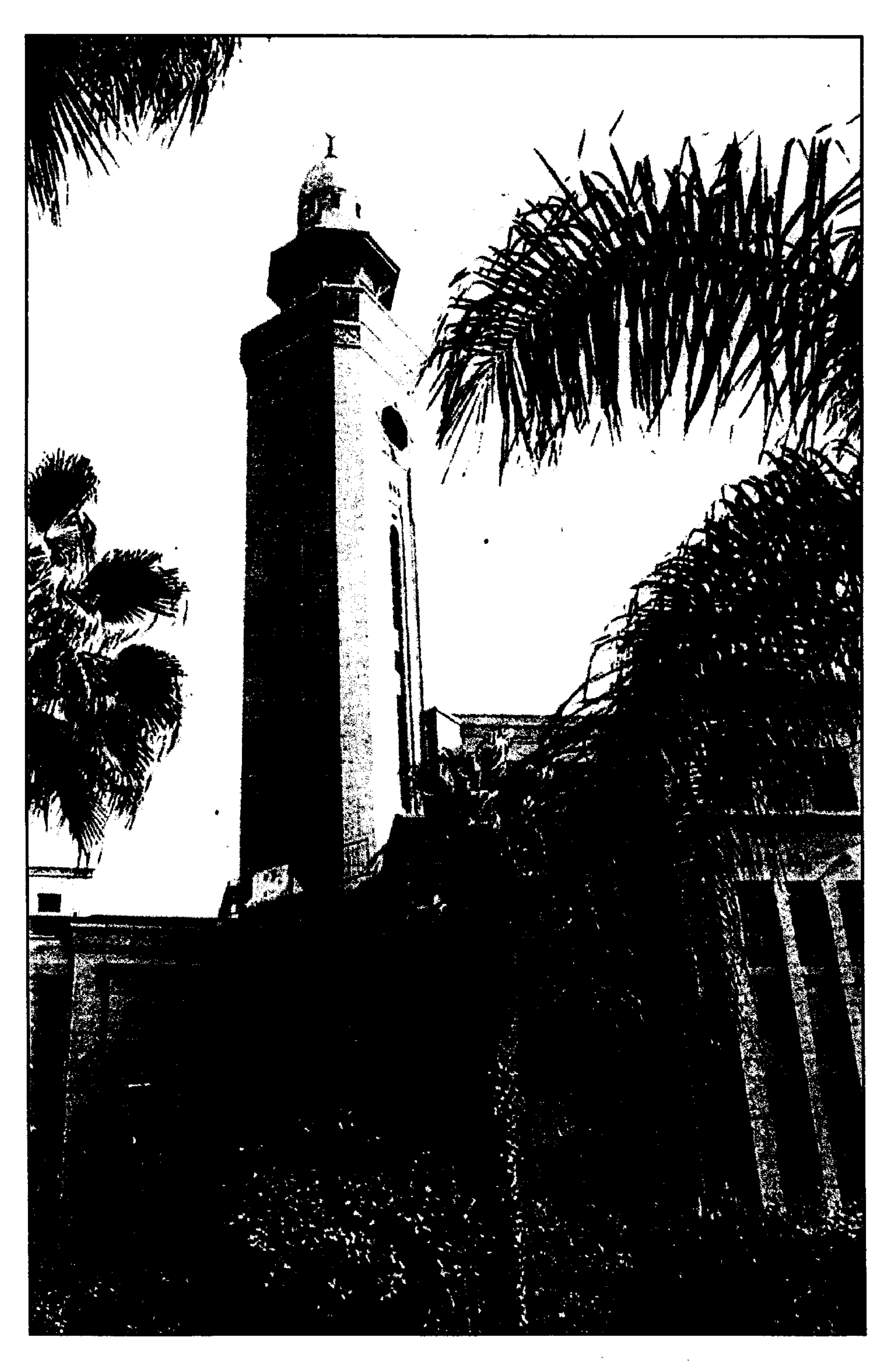
٤- حديقة[١].

ولما كانت أزمة المساكن لا تزال فى حدتها، فإنه ينظر الآن فى مشروع لبناء عدة بيـوت أخرى لسكنى الطلاب، ولا سـيمـا الوافدين منهم من الأقـطار الخارجـية الإسلاميـة، بحيث يتألف منها ومن المسـاكن القائمة الآن مدينة جامـعية حقيـقية تتصل بحرم المسجد ومنشآته[٢].

❁❁❁

(١) استبـدلت بعد بناء كلية أصول الدين الجـديدة القديمة بحديقـة فوق جبل الدراسة جنوب جـامعة الأزهر وأصبحت من أهم معالم القاهرة.

(٢) تمّ بناء مدينة جـامعـية للبعـوث فى شارع صلاح سـالم والمدينة الجامـعة للطلاب والطالبـات بمدينة نصر بجوار مبنى جامعة الأزهر الجديد (الجامعة الجديدة).



قاعة الإمام محمد عبده بالدراسة

الفصل الخامس

الأزهر فى عهد الدولة الأيوبية

التاريخ السياسى للدولة:

قامت الدولة الأيوبية فى مصر من عام ٥٦٧هـ على يدى مؤسسها: السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد دعم كيان دولته، ومحا من مصر المذهب الفاطمى، وأحل محله المذهب السنى، وعنى بنشر العلم وتشجيع العلماء، ووقف فى وجه الصليبيين وقفات خالدات فى تاريخ الشرق الإسلامى.. وكان عادلاً محبباً من قلوب الناس، وكانت مملكته من المغرب إلى تخوم العراق ومعها اليمن والحجاز[1]، ونشر العدل فى الرعية وحكم بالقسط بين البرية وبنى المدارس والخوانق وأجرى الأرزاق على العلماء والصلحاء، مع الدين والورع والزهد والعلم، وهو الذى ابتنى قلعة القاهرة على جبل المقطم[2] وأصبحت عاصمة البلاد فى عهده، ويذكر السيوطى أنه رحل بولديه الأفضل والعزيز لسماع الحديث من السلفى[3]. وتوفى عام ٥٨٩هـ عن سبعة وخمسين عاماً.

مات السلطان فخلفه على عرش مصر ابنه عماد الدين عثمان فسار سيرة حسنة ومات سنة ٥٩٥هـ ودفن فى قبة الإمام الشافعى، فأقيم ولده المنصور مكانه، ولكن عم أبيه الملك العادل نزعه عام ٥٩٦هـ وتولى مكانه.

والملك العادل أبو بكر بن أيوب هو أخو السلطان صلاح الدين، وكان شديد الحب للعلماء، وأبلى بلاء حسناً فى مقاومة الغزو الصليبى للبلاد ومات عام ٦١٦هـ.

وخلفه ابنه الملك الكامل محمد، (٦١٦هـ - ٦٣٥هـ) وقد حكم مصر حوالى أربعين عاماً، كان فى العشرين عاماً الأولى نائباً عن أبيه، وكان فى العشرين عاماً

---

(١) ٢٦ ج ٢ حسن المحاضرة ط ١٣٢٧هـ.

(٢) ٢٦ ج ٢ حسن المحاضرة ط ١٣٢٧هـ.

(٣) ٢٦ ج ٢ حسن المحاضرة.

الأخيـرة يحكم بنفسه بعـد موت أبيه، وكان الكـامل معظمًا للسنة النبـوية وأهلها راغبًـا فى المدة الأخيرة يحكم بنفـسه بعد مـوت أبيه، وكان الكامل مـعظمًا للسنة النبوية وأهلها راغبًا فى نشرها والتمسك بها، مؤثرًا الاجتماع مع العلماء، والكلام معهم حضرا وسفرا[1]، وقد أنشأ دار الحديث بالقاهرة، وعـمر القبة على ضريح الشافعى وكان معظمًا للسنة وأهلها[2]، وتوفى يوم الأربعاء حادى عشر من رجب عام ٦٣٥هـ، وأقيم بعده ابنه الملك العادل أبو بكر، ولكن الملك الصالح أيوب نزع الملك منه وتولى حكم مصر عام ٦٣٧هـ.

كان الملك الصـالح مهـيبًا جـدًا، دبر المملكة على أحسـن وجه، وبنى المدارس الأربعة بين الـقصرين، وعـمر قلعـة بالروضة، وهو الذى أكـثر من شـراء الترك وعتقهم وتأميرهم، ولم يكن ذلك قبله فقام الشيخ عز الدين بن عبد السلام القومة الكبرى فى بيع أولئـك الأمراء وصرف ثمنهم فى مـصالح المسلمين[3]، ومات فى ليلة النصف من شعـبان عام ٦٤٧هـ، وهو مستـعد لقتال الصليـبيين فى المنصورة، فأخفت زوجـته شجرة الدر مـوته، حتى حضر ابنه الملك المعظم نوران شـاه فتولى الملك فى ذى القـعدة عـام ٦٤٧هـ، وقاتل الإفـرنج وكسـرهم، وكان فى عـسكر المسلمين الشيخ عز الدين بن عبد السـلام، وأسر الملك لويس السادس ملك فرنسا، وحبس فى دار ابن لقمان بالمنصورة، ثم نفـرت قلوب الجيش من توارن شاه فقتلوه فى ١٧ محرم عـام ٦٤٨هـ، وولوا شجرة الدر مكانه وكـان يخطب لها على المنابر بعد الدعـاء للخليفة العـباسى، ولم يل مصـر امرأة فى الإسلام قـبلها، ولما وليت تكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى بعـض تصانيفه على ما إذا ابتلى المسلمون بولاية امرأة، وأرسل الخليفة العباسى المستعصم يعاتب أهل مصر فى ذلك، وأقامت شجرة الدر فى المملكة ثلاثـة أشهر ثم عزلت نفسهـا، واتفق القواد على أن يملكوا الملك الأشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المـسعود بن الملك الكامل فملكوه فى جمـادى الأولى عام ٦٤٨هـ، وجعلوا عـز الدين أيبك التركـمانى مملوك الملك الصالح قيما عليه، وعظم شـأن المماليك الأتراك يومئذ، وفى عام ٦٥٢هـ خلع عز

---

(١) ٢٣٠ ح ٦ النجوم الزاهرة.

(٢) ٣٣ ج ٢ حسن المحاضرة.

(٣) ٣٤ ج ٢ حسن المحاضرة.

الدين الملك الأشرف واستقل بالملك، وهو أول من ملك مصر من المماليك الأتراك، وتزوج شجرة الدر، ثم خطب عليها ابنة صاحب الموصل، فقتلته شجرة الدر عام ٦٥٥، وخلفه ابنه المنصور، حتى قضى على ملك الدولة الأيوبية الأمير سيف الدين قطز، الذى لقب نفسه بالملك المظفر، وذلك عام ٦٥٧هـ.

ومن الجدير بالذكر أن ملوك الدولة الأيوبية كانوا يتلقون مراسيم ولايتهم من خلفاء بغداد العباسيين، مع استقلالهم السياسى والإدارى على خلافة بغداد.

الأزهر فى عهد الدولة الأيوبية:

بزوال الدولة الفاطمية من مصر وقيام الدولة الأيوبية مقامها، انمحت معالم الفقه الإسماعيلى الشيعى، فقد غالى الأيوبيون فى القضاء على كل أثر للشيعة، وأفتوا بإبطال إقامة الجمعة فى الأزهر[1] ولبثت إقامة الجمعة معطلة. فيه نحو مائة عام، وذلك من عام ٥٦٧- ٦٦٥هـ.

وفى عهد الدولة الأيوبية أنشئت عدة مدارس تنافس الأزهر فى رسالته العلمية، فبنى صلاح الدين مدرسة للشافعية بجوار مسجد عمرو، ومدرسة أخرى للمالكية وعرفت باسم «دار الغزل» ثم عرفت بالمدرسة القمحية، ثم بنى مدرسة ثالثة للفقهاء الحنفية أطلق عليها اسم «المدرسة السيوفية»، كما بنى مدرستين أخريين لفقهاء المذهب الشافعى خاصة، وهو المذهب الذى كان عليه أكثر أفراد البيت الأيوبى نفسه، وكانت مدرسة منها بجوار الإمام الشافعى والأخرى بجوار المشهد الحسينى.

ويحصى المقريزى المدارس التى بنيت فى القاهرة وحدها بثمانى عشرة مدرسة[2].

وقد بنيت فى القاهرة والفسطاط معًا نحو خمسة وعشرين مدرسة: منها المدرسة الكاملية وتسمى دار الحديث، وقد أنشأها الملك الكامل عام ٦٢١هـ وكملت عمارتها

---

(١) أصدر قاضى القضاة الشافعى صدر الدين عبد الملك بن درباس فتوى بأنه لا يجوز إقامة الجمعة فى بلد واحد فى مكانين فأبطل إقامتها بالأزهر وأقرها بالجامع الحاكمى.

(٢) ١٩٣- ٢١٦ ج ٤ خطط المقريزى.

سنة ٦٢٢هـ، وتولى مشيختها أبو الخطاب عمر بن دحية ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن دحية[1]، ومن مشايخها أيضًا القسطلانى الشافعى وابن دقيق العيد.

ومن هذه المدارس المدرسة الصالحية وقد بناها الملك الصالح عام ٦٣٩هـ وهى أربع مدارس للمذاهب الأربعة، وكانت من أجل مدارس القاهرة[2].

ومنها المدرسة الفاضلية بناها القاضى الفاضل عام ٥٨٠هـ وكان فى مكتبتها مائة ألف كتاب مجلد[3].

وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تتخصص فى دراسة بعينها، وكان الغرض من إنشاء هذه المدارس هو منافسة الأزهر وصرف الطلاب عنه، وقد كان لقيام هذه المدارس وكثرتها خلال القرنين السابع والثامن، أى حتى بعد عصر الأيوبيين أثر كبير فى سير الدراسة فى الأزهر، إذ نافسته هذه المدارس منافسة شديدة وجذبت إليها أعلام الأساتذة، وقضى الأزهر فى هذه المدة عصرًا من الركود الطويل.

وقد كان الأيوبيون من الغلاة فى المذهب الشافعى، وكانوا من أتباع الأشعرى، وكان الحنابلة بمفردهم يكونون معسكرًا مستقلاً يناهض معسكر الأشاعرة، وكان من نتائج تصادم الأفكار بين أصحاب المذاهب المتعددة أن اشتدت روح التعصب والمغالاة، فكان كل فريق يدفع صاحبه بما يملك من أسلحة الهجوم، فكان أهل السنة يطعنون الشيعة بأنهم كفار زنادقة وفساق ملاحدة، وقد أصدر بلاط بغداد فى سنة ٤٠٢هـ فى عهد الخليفة القادر بالله فتوى رسمية موقعًا عليها من كبار الفقهاء والقضاة بهذا المعنى، طعنًا فى الفاطميين خلفاء مصر.

ومن ناحية أخرى لم يتوان الأشاعرة عن استعمال سلاح التكفير والتفسيق فى شتى المناسبات، حتى بلغ الأمر فصل الحنابلة كفرقة تلزم فى قرن مع النصارى واليهود والباطنية. ومن طريف ما يروى أن منشىء المدرسة الرواحية فى دمشق نص فى حجة وقفيته على هذه المدرسة نصًا يمنع دخول اليهود والمسيحيين والحنابلة لهذه المدرسة.

---

(١) ١٤٢ ج ٢ حسن المحاضرة.

(٢) ١٤٢ ج ٢ حسن المحاضرة.

(٣) ٢٥٥ ج ٢ الخطط للمقريزى.

ومن هنا ورث الأزهر التعصب المذهبى الشديد إلى حد الإفتاء بالكفر وعدم صحة الاقتداء بالمخالف فى المذهب، فقد أفتى ابن حجر الهيثمى بأن ابن تيمية العالم الفقيه كافر لا تصح الصلاة وراءه، وأمر القاضى عياض بإحراق كتب الغزالى لما يوجد بها من أشياء لا يرتضيها أهل السنة. ونقل الكمال بن الهمام عن أحد علماء الحنفية أنه لا تجوز المناكحة بين أهل السنة والاعتزال.

وظل هذا التعصب يشتد ويشغل أمره العلماء، فاتهم كل مجتهد يخرج على التقاليد العلمية فى عصره بالزندقة والضلال. والضلال يومذاك كانت كلمة ترادف التفكير الحر الذى لا يرضى بالتقليد، ولا يرضى أن يكون فى آرائه من العبيد. وكان الضلال عنوان نضوج العقل، أو كما يقول الغزالى: وأستحقر من لا يحسد ولا يقذف، وأستصغر من بالكفر أو الضلال لا يعرف.

ولما كثرت المدارس فى عهد الأيوبيين وأرادوا جذب أساتذة الأزهر إليها، أغدقوا لهم فى العطاء، وأجزلوا فى المرتبات، وبعد أن كان العلماء يعتمدون فى العصور الأولى على أنفسهم فى سد حاجات عيشهم عن طريق السعى وراء الرزق أو استجلاب الربح من صنعة أو حرفة، فكان منهم فى العصر الأول البزاز والزجاج والصائغ والصياغ والفراء، إلى ما لهم من شهرة فى العلم، أصبحوا فى هذا العهد وما تلاه من عهود المماليك يعتمدون على الدولة وما تعطيهم من إعانات، وما تدره عليهم من غلات أوقاف، أو نظارات فى حياتهم، مما مكن للدولة من ضمان بقائهم فى صفها، ولم يدع للعلماء حرية كاملة فى إبداء ما يرون من آراء على الوجه الذى يرضى الله والضمير والحق والعدل. بل كثيراً ما كان هذا النوع سببا فى تحاسد العلماء وسعى بعضهم ببعض عند الأمراء، لتوجيه وظيفة أو إعطاء وقف.

❁❁❁

أشهر العلماء فى عصر الدولة الأيوبية وأثر الأزهر فيهم؟[1]

نبغ فى العصر الأيوبى كثير من العلماء والأدباء والشعراء، منهم: الحسن الفارسى الفقيه الحنفى العالم باللغة والأدب والطب والهيئة المتوفى عام ٥٩٨هـ[2]. ومنهم: ابن الحاجب النحوى (٥٦٦- ٦٤٦هـ) المشهور[3]، والشاطبى (٥٣٨- ٥٩٠هـ)[4]، وابن الفارض (٥٧٦- ٦٣٢هـ) الصوفى الزاهد الشاعر المعروف[5]، وعز الدين بن عبد السلام شيخ الإسلام (٥٧٧- ٦٦٠هـ)[6] واشتهر فيه من الصوفية سيدى أحمد البدوى (٥٩٦- ٦٧٥هـ)[7]، وعبد الرحيم القنائى المتوفى عام ٥٩٢هـ[8]، وسواهم.

ومن العلماء أيضًا الحافظ المنذرى شيخ الإسلام (٥٨١- ٦٦٠هـ)، والسخاوى المصرى (٥٥٨- ٦٤٣هـ) صاحب التفسير المشهور وشرح الشاطبية، وابن سرايا (٥٧٠- ٦٥١هـ) المفسر العالم بالقراءات، وابن المنير (٦٢٠- ٦٨٣هـ) وكان إمامًا فى النحو والأدب والأصول والتفسير.

ومنهم ابن برى المتوفى عام ٥٨٢هـ، وابن معطى المتوفى عام ٦٢٨هـ، وكانا إمامين فى العربية، وابن مالك الأندلسى المتوفى عام ٦٧٢هـ وقد أقام بمصر حينًا كما أقام بدمشق وحلب، وكذلك ابن الصلاح وتوفى عام ٦٤٣هـ.

ومن الأدباء ابن شيث من أدباء القرن السادس، وابن أبى الأصبع المتوفى عام ٦٥٤هـ، وابن الساعاتى المتوفى عام ٦٠٤هـ، وأبو الحسين الجزار الشاعر، وأبو

---

(١) ولعل العنوان «أشهر العلماء فى عصر الدولة الأيوبية وأثر الأزهر فيهم.

(٢) ١٢٦ ج ١ حسن المحاضرة.

(٣) ١٩٤ ج ١ حسن المحاضرة.

(٤) ٢١٢ ج ١ حسن المحاضرة.

(٥) ٢٢١ ج ١ حسن المحاضرة.

(٦) ١٢٧ ج ١ حسن المحاضرة.

(٧) ٢٢٣ ج ١ حسن المحاضرة.

(٨) ٢٢٠ ج ١ حسن المحاضرة.

شامة المتوفى عام ٦٩٥هـ، والتلعفرى (٥٩٣- ٦٧٥هـ)، وابن واصل المتوفى عام ٦٩٧هـ، والقاضى الفاضل المتوفى عام ٥٩٦هـ، والعماد الأصبهانى المتوفى عام ٥٩٧هـ.

ومن الحكماء الوزير القفطى (٥٦٨- ٦٤٦هـ).

ومن المؤرخين ابن شداد (٥٣٩- ٦١٥هـ)، وابن عبد الظاهر (٦٢٠- ٦٩٢هـ).

ولا شك أنه كان لكثير من هؤلاء العلماء تلمذة على أساتذة الأزهر وحلقاته العلمية فى العصر الفاطمى، فإذا كان الأزهر قد أوقف نشاطه العلمى فى هذا العصر فأثره الروحى كان باقيًا مستمرًا.

وقد اشتهر فى هذا العصر الكثير من الشعراء، منهم: البهاء زهير (٥٨١- ٦٥٦هـ)، وابن مطروح (٥٩٢- ٦٤٩هـ)، وابن النبيه المتوفى عام ٦١٩هـ، وابن الساعاتى المتوفى عام ٦٠٤هـ، وابن سناء الملك المتوفى عام ٦٠٨هـ. وابن التعاويذى (٥١٩- ٥٨٤هـ)، وسراج الدين الوراق المتوفى عام ٦٥٥هـ. ولا شك أن نشأتهم الأدبية كانت أثرًا لثقافة الأزهر اللغوية والأدبية التى ظلت متوارثة فى عهد الأيوبيين.

على أن قطع صلاة الجمعة من الجامع الأزهر فى تلك الحقبة لم يبطل صفته الجامعية، فقد لبث محتفظًا بصفته كمعهد للدرس والقراءة. ومع أنه لم يكن يحظى فى ذلك العصر بكثير من الرعاية الرسمية، فإنه لبث مع ذلك محتفظًا بكثير من هيبته العلمية القديمة، فتراه مقصد علماء بارزين مثل عبد اللطيف البغدادى الذى وفد على مصر فى سنة ٥٨٩هـ أيام الملك العزيز ولد السلطان صلاح الدين، وتولى التدريس بالأزهر بضعة أعوام حتى وفاة الملك العزيز فى سنة ٥٩٥هـ[1].

❁❁❁

(١) كتاب الإفادة والاعتبار لعبد اللطيف (مصر) فى المقدمة.



الفصل السادس

الأزهر فى ظلال دولتى المماليك ٦٥٧- ٩٢٣هـ

التاريخ السياسى لهذا العصر:

ينقسم هذا العصر إلى عهدين:

١- عهد دولة المماليك البحرية وينتهى عام ٧٨٤هـ- ١٣٨٢م.

٢- وعهد دولة المماليك الشراكسة- أو المماليك البرجية (٧٨٤- ٩٢٣هـ: ١٣٨٢- ١٥١٧م).

أما دولة المماليك البحرية فتبدأ شكلاً من عام ٦٥٧هـ وإن كان بدؤها الحقيقى هو عام ٦٤٨هـ: ١٢٥٠م، حينما قتل توران شاه ودخلت مصر بعدهما فى نفوذ مماليك هذه الدولة، الذى كان الصالح أيوب يكثر من شرائهم، وينزلهم فى قلعة الروضة التى شيدها بجزيرة الروضة، حتى سموا لذلك بالمماليك البحرية، وقد بقى الملك فى أيديهم إلى عام ٧٨٤هـ، وكان عدد ملوكهم أربعة وعشرين سلطانًا.

أولهم السلطان: عز الدين أيبك التركمانى الذى ولى الحكم عام ٦٤٨هـ، وتزوج شجرة الدر، وقتل عام ٦٥٥هـ، فخلفه ابنه المنصور، الذى تولى الوصاية عليه «سيف الدين قطز»، ثم أعلن قطز توليه الملك وخلع المنصور عام ٦٥٧هـ- ١٢٥٩م، وبذلك تبدأ دولة المماليك البحرية فى تاريخ مصر.

كان «قطز» هو المؤسس الحقيقى لهذه الدولة، تولى الملك عام ٦٥٧هـ، ولما سقطت بغداد عام ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م فى أيدى التتار، وزحفوا نحو مصر، التقى بهم «قطز» فى «عين جالوت» بفلسطين ثم فى «بيسان» وهزمهم هزيمة ساحقة، وكان الفضل فى ذلك لقائده «الأمير ركن الدين بيبرس»، وفى عودتهم إلى مصر قتل «بيبرس» السلطان «قطز»[1] وتولى مكانه حكم البلاد.

(١) كان قطز فى أول ولايته قد عزم على فرض ضرائب جديدة على المصريين لينفقها على الجيش الذى سيوجهه إلى حرب التتار، فجمع العلماء لذلك، فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام وصاح: لا يجوز أن يؤخذ شىء من الرعية حتى لا يبقى فى بيت المال شىء وتبيعون مالكم من الحوائص فى الآلات =

تقلد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى حكم مصر (٦٥٨-٦٧٦هـ: ١٢٦٠- ١٢٧٧م) وكان أشهر سلاطين المماليك البحرية، وقد نظم أمور الدولة والجيش، وأنشأ الأساطيل، وعنى بتحصين الشام.. ولكى يعزز زعامته للإسلام دعا إلى مصر أحد أولاد الخلفاء العباسيين الذين فروا من وجه التتار من بغداد، وبايعه بالخلافة ولقبه بالمستنصر، واستمد سلطة الملك منه نائبًا عنه عام ٦٥٩هـ- ١٢٦١م[١]، وكان أول من بايع الخليفة العباسى شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام[٢]، وقد ذهب الخليفة لمحاربة التتار على رأس جيش مصرى فقتل قرب دمشق عام ٦٦٠هـ فتولى بعده لقب الخلافة العباسية فى مصر الخليفة العباسى أبو العباس أحمد ولقب الحاكم بامر الله[٣].

وكان للسلطان «الظاهر بيبرس» أعمال حربية، وإصلاحات داخلية، محمودة وفى أيامه طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة عام ٦٧٥هـ، وهو أول من فعل ذلك بالديار المصرية.

وبعد وفاة بيبرس خلفه ولدان له، أحداهما بعد الآخر ولم تطل مدتهما، وانتهى الأمر بتولى السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى (٦٨٧-٦٨٩هـ: ١٢٧٩- ١٢٩٠م)، فبقى الملك فى «بيته أكثر من مائة سنة، وساد فى عهده العدل والسكينة.

وخلفه ابنه الأشرف خليل وكان شجاعًا مقدامًا مظفرًا عادلا، فقتل بعد ثلاث سنوات، ومما يذكر أنه هو الذى قضى على إمارات الصليبيين بالشام.

وخلفه أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣- ٧٤١هـ: ١٢٩٣-١٣٤١م)، وقد هزم التتار قرب دمشق عام ٧٠٢هـ- ١٣٠٣هـ هزيمة ساحقة أثناء محاولتهم التقدم لفتح مصر، وعنى الناصر بشؤون بلاده الداخلية ونشر العلوم والمعارف، وشيد المبانى الفخمة، وتوفى الخليفة العباسى الحاكم بأمر الله فى عهده

= ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا فى ذلك هم والعامة، وأما أموال العامة مع بقاء ما فى أيدى الجندى من الأموال والآلات الفاخرة فلا (٣٦ ج ٢ حسن المحاضرة).

(١) راجع صفحة ٤٠ وما بعدها ج ٢ من كتاب «حسن المحاضرة» للسيوطى.

(٢) ٤٤ ج ٢ حسن المحاضرة.

(٣) ٤٧ ج ٢ حسن المحاضرة.

عام ٧٠١هـ، ودفن بجوار السيدة نفيسة فى قبة بنيت له، وهو أول خليفة مات بمصر من بنى العباس، وولى الخلافة بعده ابنه أبو الربيع سليمان ولقب المستكفى بالله وخطب له على المنابر فى مصر والشام[1]، ولم يكن السلطان قد أمضى عهد والده له بالخلافة حتى سأل الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد قاضى القضاة بمصر يومئذ: هل يصلح للخلافة أو لا؟ فقال الشيخ: نعم يصلح، فلما أشار الشيخ باستخلافه أمضى عهد والده له[1] ومات، فى شعبان سنة ٧٤٠هـ فى قوص ودفن بها، وتولى بعده الخلافة الواثق بالله رغم معارضة قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، ومات الناصر عام ٧٤١هـ (١٣١١م)، ولم يترك خلفًا يقدر على القيام بعبء الملك بعده، ومن أبنائه السلطان حسن الذى بنى المدرسة العظيمة التى لم يخلف السلطان أعظم منها بناء ولا أتقن صناعة، وهى المشهورة الآن بجامع السلطان حسن بجوار قلعة القاهرة، وانتهى الأمر بانقراض هذه الدولة واستيلاء المماليك الشراكسة على الملك.

وقد عزل الخليفة الواثق وبويع لأحمد بن المستكفى ولقب المستنصر ثم لقب بعد ذلك الحاكم بأمر الله -لقب جده- وذلك بحضور ابن جماعة وكتب له ابن فضل الله صورة المبايعة وذلك عام ٧٤٢هـ ومات الخليفة عام ٧٥٣هـ، وبويع بعده لأخيه المعتضد بالله وظل خليفة حتى مات عام ٧٦٣هـ، وظل بنو العباس فى مصر يتوارثون الخلافة إلى أمد بعيد.

وأما دولة المماليك الشراكسة فقد حكمت مصر من عام ٧٨٤- ٩٢٣هـ، ومعظمهم من الشراكسة، بعكس المماليك البحريين فكانوا من الترك.. ولم يكن الملك فى دولة المماليك الشراكسة وراثيًا كما كان فى بيت قلاوون، وعدد ملوك هذه الدولة ثلاثة وعشرون، حكم تسعة منهم مدة ١٢٥ سنة، وحكم فى التسع سنوات الأخرى أربعة عشر، وقد كان لملوك هذه الدولة ولع بالعلوم والآداب والفنون، وإن كانوا لم يحرصوا على العدل فى حكمهم.

وأشهر ملوكهم وأولهم: «الملك الظاهر سيف الدين برقوق» وقد مات عام ٨٠١هـ- ١٣٩٩م، وخلف مدرسته العظيمة بين القصرين بالنحاسين الشهيرة بجامع برقوق.

---

(١) ٤٩ ج ٢ حسن المحاضرة.

وخلفه ابنه فرج الذى حارب تيمورلنك، وعقد معه صلحًا.

ومن ملوك هذه الدولة «المؤيد شيخ» بانى الجامع المعروف بجامع المؤيد بجوار «باب زويلة».

ومنهم: الأشرف برسباى ٨٢٥- ٨٤١هـ: ١٤٢٢- ١٤٣٨م، وقايتباى ٨٧٣- ٩٠٢هـ: ١٤٦٨- ١٤٩٦م، والغورى ٩٠٦- ٩٢٢هـ: ١٥٠١- ١٥١٦م، وقد انتهى أمره بأن قتله السلطان سليم العثمانى فاتح مصر عام ٩٢٣هـ، وضم مصر إلى الدولة العثمانية.

❁❁❁

الأزهر فى هذا العصر

١ - فى عهد السلطان بيبرس والسلاطين بعده:

فى سنة ٦٦٥هـ جدده الأمير عز الدين ايدمر الحلى بسبب أنه كان مجاورًا له بالسكنى، وكانت داره مكان الأقبغاوية المجعولة مكتبة الأزهر الآن، فراعى حرمة الجوار وانتزع له أشياء كانت مغصوبة وأحاط أموره حتى جمع له شيئًا صالحًا مع ما تبرع به له من المال الجزيل، وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع فى عمارته، فعمر الواهى من أركانه وجدرانه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه، حتى عاد حرمًا بعد أن كان باليًا، واستجد به مقصورة حسنة وترك آثارًا صالحة.. وكذا عمل فيه الأمير بيلبك الخازندار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الشافعى ومحدثًا يسمع الحديث النبوى، ووقف على ذلك الأوقاف الدرارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ومدرسًا، وأقيمت فيه الجمعة يومئذ، وحضر فيه الأمراء والكبراء والعلماء، وكان يومًا مشهودًا، وبعد الفراغ من الجمعة قام الأمير عز الدين إلى داره ومعه الأمراء فقدم لهم موائد الطعام، وكان قد أخذ فتاوى من العلماء بجواز الجمعة فيه.

وهذا أول افتتاح الأزهر لصلاة الجمعة بعد انقطاعه منه فى عصر الدولة الأيوبية.

وفى شهر ذى الحجة سنة ٧٠٢هـ حدثت زلزلة شديدة بديار مصر فسقط الجامع الأزهر والجامع الحاكمى وجامع عمرو، وغيرها، فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع، فتولى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى، وتولى الأمير سيف الدين بكشمر الجوكندار عمارة جامع الصالح، وتولى الأمير سلار عمارة الجامع الأزهر، فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها.. وفى ٧٠٩ بنيت فيه مدرسة الطيبرسية.

والأمير سلار كان من مماليك الصالح علاء الدين بن المنصور قلاوون، واتصل بخدمة الأشرف وتوفى عام ٧١٠هـ.

وفى سنة ٧٢٥هـ جددت عـمارة الجامع الأزهر على يـد القاضى نجم الدين محـمد بن حسين بن على الأسعـردى محتـسب القاهرة. . . ثم فى سنة ٧٤٠ أنشئت الأقـبغاوية التى هى محل المكتـبة الأزهرية الآن، وفى سنة ٧٤٤ تمت الجوهرية.

وفى سنة ٧٦١ جددت عمـارة الأزهر عندما سكن الأمير الطـواشى سعد الدين بشيـر الجمدار الناصرى فى دار الأمـير فخر الدين ابان الزاهرى الصـالحى النجمى بخط الأبارين بجوار الجـامع الأزهر بعدما هدمـها وعمـر داره التى تعرف فى ذاك الوقت بدار بشير الجمدار، وأحب لقربه من الجامع الأزهر أن يؤثر فيه أثرًا صالحًا، فاسـتأذن السلطان الملك الناصـر حسن بن مـحمد بن قـلاوون فى عمـارته وكان خصيصًا به، فأذن له فى ذلك وكان قد استجـد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزائن حتى ضيقته، فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالإصلاح، حـتى عادت كأنها جديدة، وبيض الجامع كله وبلطه، ومنه الناس من المرور فـيه ورتب فيـه مصحفًـا وجعل له قـارئًا، وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتًا لسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مدرسة لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعامًا يطبخ كل يوم. وأنزل إليه قدورًا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه دروسًـا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسهم لإلقاء الفقه فى المحراب ووقف على ذلك أوقافًا جليلة.

وفى سنة ٧٨٤هـ ولى الأميـر بهادر المقدم على المماليك السلطانيـة نظر الجامع الأزهر، ونجز مرسـوم السلطان برقوق بأن من مات من مـجاورى الجامع الأزهرى من غير وارث شرعى وترك شيئًا فإنه يأخذه المجاورون بالجامع، ونقش بذلك على حجر عند الباب الكبير وهو غير موجود الآن.

وكان عدد طلبة الأزهر فى أوائل القرن الثـامن ٥٧٠ طالبًا كما يقول المقريزى. وفى سنة ٨٠٠ هدمت منارة الأزهر، وكـانت قـصيـرة، وعـمرت بأطول منهـا، وبلغت النفقة عليـها من مال السلطان خمسة عـشر ألف درهم، وكملت فى ربيع الآخر مـن السنة المذكورة، فـعلقت القناديل فيـها ليلـة الجمعـة من هذا الشـهر، وأوقدت حتى اشتـعل الضوء من أعلاها إلى أسفلها، واجتـمع القراء والوعاظ به

ورتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان، ولم تزل هذه المنارة إلى شوال سنة ٨١٨، فهدمت لميل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحرى بعدما هدم الباب، وأعيد بناؤه بالحجر، وركبت المنارة فوق عقده، وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الأشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل، ثم هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق، وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين الشوبكى والى القاهرة ومحتسبها، وتمت سنة ٨١٨ فلم تقم غير قليل، ومالت حتى كادت تسقط، فهدمت سنة ٨٢٧، وأعيدت، وفى هذه السنة ابتدىء بعمل الصهريج الذى بوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ووجد أيضًا جثث أموات. وتم بناؤه فى ربيع الأول سنة ٧٢٧هـ، وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة، يسيل فيه الماء وغرس بصحن الجامع أربع شجرات ولم تفلح وماتت، ولم يكن للجامع الأزهر ميضأة عندما بنى، ثم عملت ميضاته.

وفى سنة ٨١٨هـ تولى نظارة الجامع الأزهر الأمير سودوب حاجب الحجاب، فأهان طلبة الأزهر وأخرجهم منه وكان عددهم يومئذ ٧٥٠ طالبًا من شتى البلاد الإسلامية وأنحاء مصر، وكان الأزهر يومئذ عامرًا بتلاوة القرآن ودراسته وأنواع العلوم والفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ.

وكان الإنسان إذا دخله يجد من الأنس بالله والارتياح ما لا يجده فى غيره وصار يقصده أرباب الأموال للتبرك ويصلون أهله بأنواع الذهب والفضة إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى، فرأى سودوب المذكور أن يأمر بإخراجهم ومنعهم من المبيت به، فأخرجهم وما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف، وقد حل بفقراء المجاورين بلاء شديد بعدما هجم عليهم مرة بعد العشاء الأخيرة، هو ومن كان معه من الغلمان والأعوان وغوغاء العامة ومن يريد النهب، فضربهم ونهبت فرشهم وعمائمهم وسلبت نقودهم فتشتت شملهم، وساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة، وفقد الجامع كثيرًا مما كان فيه، فعاجل الله الأمير سودوب بالانتقام وقبض عليه السلطان وسجنه.

وفى سنة ٩٠٠ أجرى مصطفى بن محمود بن رستم الرومى عمارة الجامع الأزهر وصرف عليه من ماله نحو خمسة عشر ألف دينار وجاء فى غاية الحسن.

وأنشأ الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ميضـأة الجامع الأزهر وفسقية معتبرة من داخلها، وقـد أبدلت بحنفيات سنة ١٣١٧، وأنشأ أيضًـا سبيلا ومكتـبًا على باب الجامع وقد أزيل المكتب أيضًا، وهو الذى أنشأ رواق الشوام ورواق المغاربة، وأنشأ المنارة العظيمة على يمين الداخل فيه.

وقد رتب الملك قانصـوه الأشرف خال الناصر الخزيرة بالجـامع الأزهر فى شهر رمضان، والخـزيرة عصيدة بلحم.. ثم لما جاء الملك قنصـوه الغورى ضاعف ذلك فى أيامه فرتب فى شهر رمضان فى مطبـخ الجامع الأزهر كل سنة ستمائة وسبعين ديناراً ومائة قنطار من العـسل وخمسـمائة أردب قمح، وبنى المنارة العظيـمة ذات الرأسين به سنة ٩٠٢هـ.

وللعلماء فى سجل التـاريخ الإسلامى ذكر، وللشيخ عز الدين بن عـبد السلام خاصة نصيب من هذا المجد التليد.

قدم الشيخ عـز الدين إلى مصر سنة ٦٣٩هـ من دمشق، فتلقاه صـاحب مصر وسلطانها الصالح نجم الدين أيوب بالإكرام والإجلال، وأحاطه علماؤها وفقهاؤها بالتقدير والاحـترام، حتى امتنع الشيخ زكى الدين المنذرى عن الإفتـاء تأدبًا معه، وقال: كنا نفـتى قبل حضوره، فـمنصب الفتيـا متعين فـيه.. وبالغ السلطان نجم الدين فى إكرام الشيخ فولاه قضاء مصر والوجه القبلى، وقبل الشيخ المنصب على إن يؤدى فيه حق الله كما يجب، وأن تكون كلمة الشرع هى الفاصلة بين الحاكمين والمحكومين، فـلا دالة لصـاحب سلطان، ولا تهـاون مع ذى جـاه، ولكن الناس سواسـية أمام الحق، وفى شـرط الإسلام، وعلى هذا تقلد الشـيخ المنصب وتحمل العمل فيه.

وكان أول موقف للشيخ تجاه أصحاب النفوذ والسلطان بين الناس، وكان موقفًا عجـبًا، ذلك أن السلطان قد أكـثر من شراء التـرك وتأميرهم علـى البلاد ليكونوا أعوانه وعيـونه، وقد استشـرى أمر هؤلاء الأتراك وصاروا أصحـاب الجاه والنفوذ على الرعية لا يبالون فى ذلك بطشًا ولا ظلمًا يقع على الناس، وما كان فى الناس من يستطيع أن يتصدى لهم أو ينكر عليهم، ونظر الشيخ ابن عبد السلام فرأى فى

ذلك فساداً لا يستقيم به حق الدين ولا واجب الحكم، ولما بحث الشيخ الأمر فى حقيقة هؤلاء الأمراء الأتراك رأى أنهم بحكم الشرع أرقاء لسادتهم من أبناء مصر، وذلك لأن السلطان قد اشتراهم بمال الدولة وما زال حكم الرق مستصحبًا عليهم، وكان أن جلس الشيخ وكتب فتواه بأنه لم يثبت عنده أن هؤلاء الأمراء الأتراك أحرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين وأنه لابد من بيعهم وصرف ثمنهم فى وجوه الخير ومصالح الأمة. وكان من جملة هؤلاء الأمراء نائب السلطنة، وكلهم أصحاب حكم وسلطان.

وبلغت الفتوى أولئك الأمراء، فامتلأوا غضبًا وغيظًا، وأدهشتهم تلك الجرأة من ذلك الشيخ الفقيه عليهم، وأرسلوا إليه أن يكف عن هذا الذى لا يليق معهم. وهم أصحاب الحكم والسلطان، ولكن الشيخ صمم على فتواه، وزاد على ذلك فصار لا يصحح لهم بيعًا ولا شراء ولا نكاحًا ولا أى تصريف فى أمور الناس وشؤون الحكم حتى تعطلت مصالحهم، وتوقفت أعمالهم، وهم فى كل هذا يتعاظمون ويعجبون من جرأة ذلك الشيخ، وما فى مقدور أحد أن ينكر عليهم أى شىء.

ورفع الأمراء الأمر إلى السلطان، وشكو إليه من هذه الجرأة التى هوت بمكانتهم بين الناس. وأرسل السلطان إلى الشيخ ابن عبد السلام يصرفه عن غايته، ويبن له ما فى هذه الفتوى من الإضرار بأولئك الأمراء الذين لهم شأنهم فى شؤون الحكم، وكان ابن عبد السلام يقدر تمامًا أنه وفد على مصر غريبًا لا أهل له، فقيراً لا مال عنده وليس له من قوام الحياة إلا هذا المنصب الذى يجلس فيه، وزمام المناصب كلها بيد السلطان، ولكن حب الدنيا لم يكن أفسد نفوس رجال الدين فى ذلك الزمن، وما لرجل مثل ابن عبد السلام ترك وطنه راضيًا، واحتمل السجن وشظف العيش فى سبيل الرأى والحق، أن يثنيه عن الحق مطلب من مطالب العيش أو رغبة فى منصب مهما يكن جاهه، فأرسل إلى السلطان بأنه لابد من تنفيذ لفتواه لأنها كلمة الشرع وحق الإسلام، وأنه سينادى على أولئك الأمراء بالبيع ويقبض ثمنهم، وإلا فإنه سيعزل نفسه من منصب القضاء، ويترك فتواه قائمة فى أقطار الإسلام يعول عليها المسلمون فى تصريف أمورهم.

وانكمش السلطان بجبروته أمام الشيخ فى إبائه وجرأته، وتلمس نائب السلطان بابا آخر لصرف الشيخ عن إصراره «فأرسل إليه بالملاطفة والملاينة والرجاء أن يراجع نفسه فى تلك الفتوى الجريئة وأن يتصرف بما يتفق ومكانة الأمراء بين الناس، ولكن الشيخ الذى كان لا يرهبه فى الحق شدة، كان من الأولى ألا تجدى معه فى الحق ملاطفة أو ملاينة.

وعظم الخطب على نائب السلطنة، وثار به الغضب ثورته، وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ الفقيه بالبيع ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنه بسيفى هذا «فما كان حكم الناس من شأن فقيه، ولا كانت أقدار الناس على ما يفتى به، ثم ركب فى جماعته ليثأر لنفسه ولجماعته بالسيف، وليضع حدًا لتطاوله عليهم وهم أمراء مصر وملوك الأرض!

ووقف نائب السلطنة على باب الشيخ ممتطيًا صهوة جواده، والسيف فى يده قائم كأنه متأهب لميدان حرب، وطرق الباب على الشيخ طرقات قوية عنيفة، فخرج ولد الشيخ يستطلع الأمر، فأذهله ما رأى من هيئة نائب السلطنة وجماعته وزاد من رعبه وفزعه أن سأله نائب السلطنة عن والده ليفتك به، وليتركه بدادًا بسيفه، وأسرع ولد الشيخ إلى داخل الدار فزعًا جزعًا ينبىء والده بالشر المتربص بالباب ويسأله أن يختفى، فلا يظهر نفسه حتى يدبر للهرب أو يؤذن الله بالفرج.

وابتسم الشيخ لما سمع، وهذا من روع ولده قائلاً: لا عليك يا بنى، فأبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله، ثم نهض إلى باب الدار، شامخًا كالطود، جريئًا كالأسد ثابتًا، يزيد من ثباته وهيبته إيمان قوى بالله، يتضاءل كل ما فى هذه الدنيا بجانبه، ووقف الشيخ الأعزل إلا من قوة الحق وصدق الأيمان أمام نائب السلطنة وهو فى سلاحه وعتاده وجنده، وما زاد الشيخ على أن أرسلها نظرة حادة نافذة، فإذا بنائب السلطنة يذعن أمام هيبة الشيخ، ويتضاءل فى سلاحه وجنده، وإذا به يسرع فيغمد سيفه، ويترجل من فوق جواده، ويهوى على يد الشيخ يقبلها، وأطرافه يمسحها، ويسأله أن يغفر له ما فرط منه، وأن يتجاوز عما ارتكب فى حقه، ويطلب منه الدعاء والرضاء «قائلا: ايش يا سيدى تريد أن تعمل».

قال الشيخ؟: أريـد أن أنادى عليكم وأبيعكم. قال: وماذا تصنع بثـمننا؟ قال: أصرفـه فى مصـالح المسلمين، قال: ومن يقـبض الثمن قـال: أنا أقبـضه وأتولى صرفه. قال: لك ما تشاء فى أمرنا.

وأصبح الصباح فى اليوم الثانى، وعقد مجلس كبير من رجالات الدولة يحضره السلطان، وحشد الأمـراء الأتراك بكامل عدهم فما تأخر نفـر منهم، وأخذ قاضى القضاة الشيخ عز الدين بن عبد السـلام ينادى عليهم بالبيع واحدًا واحدًا، ويغالى فى ثمنهم لأنهم أمراء.. ولأنهم مـلوك الأرض.. وغالى أكثر مـا غالى فى ثمن نائب السلطنة، ودفع السلطـان إلى الشيخ كل مـا اشتـرط من مال، فوزعـه على وجوه الخيـر ومصالح المسلمين، ثم أعتق الأمراء الأرقـاء، ومنحهم حق الحرية فى التصرف والبيع والشراء[1].

اعتنى الظاهر بيبرس[2] -كما قـدمنا- بأمر الأزهر فأعاد إليه خطبة الجـمعة فى الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٦٦٥هـ، وشجع العلم فـيه، وحذا حذوه كثير من الأمراء؛ فزاد الأميـر بيبك الخازندار مقصورة كبـيرة رتب فيها جماعـة من الفقهاء لقراءة الفـقه على مذهب الشافـعى. ورتب فيها مـحدثًا، وسبعة لـقراءة القرآن، ووقف على ذلك الأوقاف الدارة. وفـى سنة ٧٦١هـ أحب الأمير الطواشى سـعد الدين بشيـر الجامدار الناصرى عندمـا سكن بجوار الأزهر أن يؤثر فيه أثـرًا صالحًا فأنشأ فيـه مما أسداه إليه درسًا لفقه الحنفية يـلقى فى المحراب الكبير، ووقف على هذا الدرس أوقافًا كثيرة.

على هذا النحـو سار الأزهر فى عناية الممـاليك[2]، غيـر أنا نلاحظ أن الجامع الحاكـمى أخذ ينافس الأزهر بعد أن أصـلح من زلزال ٧٠٢هـ، فلقد جاء الأمـير ركن الدين بيبـرس الجاشنكير، فأنـشأ بالجامع الحاكـمى دروسًا أربعة لأقراء الفـقه على مـذهب الأئمة الأربعـة، ودرسًا لأقراء الحـديث النبوى، وجـعل لكل درس مدرسًا وعدة كثيرة من الطلبة، فرتب فى تدريس الشافعية قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى، وفى تدريس الحنفية قاضى القضاة شمس الدين أحمد

(١) المصرى ١٤/ ٩/ ١٩٥٤م- الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف.

(٢) الأزهر - مجلة المقتطف- الشيخ منصور رجب.

السروجى الحنفى، وفى تدريس المالكية قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، وفى تدريس الحنابلة قاضى القضاة شرف الدين الجوانى، وفى درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثى، وفى درس النحو الشيخ أثير الدين أبا حيان، وفى درس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفى، وفى التصدير لإفادة العلوم علاء الدين على بن إسماعيل القونوى، وفى مشيخة الميعاد والمسجد عيسى بن الخشاب، وأنشئت به مكتبة جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم، وعدة قراء يتناولون قراءته، ومعلمًا يقرىء أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل. وأوقفت على ذلك الأوقاف الدارة بناحية الجيزة، والصعيد، والإسكندرية[1].

وأصدر برقوق قراراً «بأن من مات من مجاورى الأزهر من غير وارث شرعى وترك موجوداً فإنه يأخذه المجاورون بالجامع».

وكان هذا لتقوية الأزهر بعد أن طغت عليه المدارس والجامع الحاكمى. ولم يكتف الظاهر برقوق بإصدار المرسوم، بل أمر بنقشه على حجر عند الباب الكبير البحرى ليكون بمثابة إعلان دائم.

نعرف شيئًا عن نظام الأزهر والعلوم التى كانت تدرس فيه، وبخاصة أيام المماليك الذين أنقذوه من اضطهاد الأيوبيين السنيين؟ بما ذكره المقريزى. فلقد رسم صورة لا بأس بها، نرى فيها شيئًا عن علومه ونظامه وعدد طلبته، وما كان يجرى فيه قال:

فى سنة ٨١٨هـ ولى نظر هذا الجامع مع الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب، فجرت فى أيام نظره عدة حوادث، لم يتفق مثلها، وذلك أنه لم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء، يلازمون الإقامة فيه، وبلغت عدتهم فى هذه الأيام ٧٥٠ رجلاً، ما بين عجم وزيالعة ومغاربة، ومن أهل ريف مصر، ولكل طائفة رواق يعرف بهم، فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقيه، والاشتعال بأنواع العلوم من الفقه التفسير والحديث والنحو، ومجالس الوعظ

---

(١) خطط المقريزى ج ٤ ص ٥٧.

وحلق الذكر، وصار أرباب الأموال، يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة إعانة للمجاورين فيه على عيادة الله تعالى، وكل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلويات لا سيما فى المواسم، فأمر هذا الناظر فى جمادى الأولى من هذه السنة بإخراج المجاورين من الجامع، ومنعهم من الإقامة فيه، وإخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن.

ومن هذا نرى أن الأزهر كان فى ذلك الوقت فوق كونه مدرسة لطلب العلم تدرس فيها العلوم المختلفة، ومسجداً للعبادة ومكانًا للوعظ، كان بجوار ذلك داراً للتصوف، وتروى دائرة المعارف الإسلامية عن ابن إياس أن ابن الفارض الصوفى كان مقيمًا بالأزهر. ويروى رشيد بن غالب صاحب شرح ديوان ابن الفارض أن والد عمر بن الفارض، حين امتنع أن يقبل وظيفة قاضى القضاة، ونزل عن حكم القاهرة ومصر بالنيابة عن الخليفة اعتزل الناس، وانقطع إلى الله تعالى بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر، ولعل ابنه كان يقيم معه بعد أن كان يعود من سياحته فى جبل المقطم؛ وعلى كل فقد كانت المساجد والمدارس فى ذلك الوقت مفتوحة للرياضة الروحية بجوار درس العلم، وكانت المدارس والمساجد تقبل طلاب التصوف كما كانت تقبل طلاب العلم، وتفتح صدرها لهؤلاء كما تفتح صدرها لأولئك. فمثلاً البدر العينى صاحب عمدة القارىء شرح صحيح البخارى حينما حضر إلى القاهرة مع شيخه العلامة السيرامى سنة ٧٨٨هـ، جعله الظاهر برقوق فى عداد صوفية البرقوقية.

ونرى الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى لما أنشأ مسجده جعل فيه عشرين صوفيًا، وأقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخًا لهم... ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل الأكمل والصوفية إليها وزاد عدتهم.

ويذكر صاحب خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر: إن الشيخ أحمد بن عيسى بن غلاب، المنعوت بشهاب الدين الكلبى المالكى، شيخ المحيا النبوى بالأزهر، أخذ التصوف عن الشيخ الشعرانى وجلس بالمحيا الشريف بعد والده، ووالده جلس بعد الشيخ البلقينى، وهو جلس بعد الشيخ صالح، وهو جلس بعد الشيخ نور الدين الشوقى المدفون بزاوية الشيخ عبد الوهاب الشعرانى.

٢- وقد أسهم الأزهر بنشاط كبير فى هذا العصر، فى شتى نواحى الحياة والعلم والثقافة.

وكان ابن الدمامينى (٧٦٣- ٨٢٧هـ) -الذى ولد بالإسكندرية، وفاق فى النحو والنظم والنثر، وشارك فى الفقه وغيره من العلوم، ومهر واشتهر ذكره- يتصدر بالجامع الأزهر لإقراء النحو[١].

وقد نبغ فى هذا العهد من العلماء الدمامينى، وابن عقيل المتوفى عام ٧٦٩هـ[٢]، وابن هشام المتوفى عام ٧٤٩هـ[٢]، وابن إياس المؤرخ المتوفى عام ٩٣٠هـ، وأبو حيان (٦٥٤- ٧٤٥هـ)[٣]، وابن مكرم صاحب لسان العرب (٦٣١- ٧٦١هـ)[٣]، والرضى النحوى المشهور المتوفى عام ٦٨٤هـ[٣]، وابن دقيق العيد (٦٢٥- ٧٠٢هـ)[٤] وتقى الدين السبكى (٦٨٣- ٧٥٦هـ)[٥]، وشيخ الإسلام البلقينى ٧٢٤هـ- ٨٠٥هـ[٦] والعينى[٧] ٧٦٢- ٨٥٥هـ، والشمنى[٨] ٨٠١- ٨٧٢هـ، وابن الهمام المتوفى عام ٨٦١هـ[٩]، والسيوطى (٨٤٩- ٩١١هـ)[١٠].. وكان من الصالحين عبد العال خليفة أحمد البدوى المتوفى ٧٣٢هـ[١١].

ولا شك أن كثيراً من هؤلاء وسواهم قد اتصلوا بالأزهر اتصالا علميًا، فجلسوا فى حلقاته متعلمين، وتصدروها معلمين.

وكان بجوار الأزهر كذلك مدارس مشهورة منها المدرسة الظاهرية القديمة التى بناها بيبرس عام ٦٦١هـ، ورتب بها لتدريس الشافعية تقى الدين بن رزين، ولتدريس الحنفية محيى الدين بن عبد الرحمن بن الكحال بن العديم، ولتدريس الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطى، ولتدريس القراءات كمال الدين القرشى.

---

(١) ٢٣١ ج ١ حسن المحاضرة.

(٢) ٢٣٠ ج ١ حسن المحاضرة.. ويذكر باحث أن ميلاده عام ٧٠٧ ووفاته كانت عام ٧٦١هـ (٢٢٨ الحركة الفكرية فى مصر لعبد اللطيف حمزة).

(٣) ٢٢٩ ج ١ حسن المحاضرة.

(٤) ١٢٨ ج ١ حسن المحاضرة.

(٥) ١٣٠ ج ١ حسن المحاضرة.

(٦) ١٣٥ ج ١ حسن المحاضرة.

(٧) ٢٠١ ج ١ حسن المحاضرة.

(٨) ٢٠٢ ج ١ حسن المحاضرة.

(٩) ٢٠١ ج ١ حسن المحاضرة.

(١٠) ١٤٠ ج ١ حسن المحاضرة.

(١١) ٢٢٥ ج ١ حسن المحاضرة.

ومنها المدرسة المنصورية التى بناها الملك المنصور قلاوون عام ٦٧٩هـ، ورتب فيها دروسًا للفقه على المذاهب الأربعة والحديث والتفسير ودروسًا كذلك للطب.

ومنها المدرسة الناصرية التى بناها الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٠٣، وعين بها المدرسين للمذاهب الأربعة.

ومدرسة السلطان حسن التى بناها السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٥٨هـ.

والمدرسة الظاهرية الجديدة التى فرغ من بنائها عام ٧٨٨هـ، وعين السلطان فيها مدرسين للفقه على المذاهب الأربعة وللحديث والقراءات، وكان الشيخ سراج الدين البلقينى مدرسا فيها للتفسير.

ولكن هذه المدارس كلها كانت عالة على الأزهر، تأخذ منه، وتستمد علماءها من خريجيه وأساتذته، ويوجهها الأزهر توجيها علميًا.

ومن أشهر من نبغوا فى هذا العهد من العلماء والأدباء والشعراء: الفيروزبادى صاحب القاموس المحيط المتوفى عام ٨١٧هـ، والقلقشندي صاحب صبح الأعشى المتوفى عام ٨٢١هـ، والنويرى صاحب نهاية الأرب المتوفى عام ٧٣٢هـ، وابن فضل الله العمرى المتوفى عام ٧٤٨هـ صاحب ممالك الأبصار، وتقى الدين ابن حجة الحموى (٧٦٧- ٨٣٧هـ) صاحب خزانة الأدب، وصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (٦٩٦- ٨٢٤)، وصفى الدين الحلى عبد العزيز بن على (٦٧٧- ٧٥٠هـ)، والشاب الظريف (٦٢١- ٦٨٨هـ) وابن الوردى (٦٨٩- ٧٤٩هـ)، والبوصيرى (٦٠٨- ٦٩٥هـ)، وابن دقماق المتوفى عام ٨٠٩ مؤرخ الديار المصرية، والمقريزى (٧٦٦- ٨٤٥هـ) ومحمد جمال الدين الوطواط المتوفى عام ٧١٨هـ والدميرى صاحب حياة الحيوان المتوفى عام ٨٠٨هـ، وهم كلهم إوجلهم أثر من آثار الأزهر العلمية.

وقد حضر ابن خلدون إلى مصر واشترك فى الحياة العلمية فيها، وزار حلقات الأزهر العلمية، وتصدر للتدريس فيه.

كما هاجر إلى مصر فى هذا العهد كثير من العلماء الدين جددوا شباب النهضة العلمية فى العالم الإسلامى.

وقد كان من العلماء من يعرف كثيراً من العلوم العقلية والطبية وغيرها زيادة على العلوم الدينية والعربية، وهؤلاء لا يحصون، نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى المتوفى سنة ١١٩٢ هجرية، فقد جاء فى سند إجازته ما ملخصه: أنه تلقى فى الأزهر العلوم الآتية، وله تآليف فى كثير منها، وهى: الحساب والميقات، والجبر والمقابلة، والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاماتها، وعلم الأسطولاب، والزيج والهندسة، والهيئة، وعلم الأرثماطيقى، وعلم المزاول، وعلم الأعمال الرصيدية، وعلم المواليد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن، وعلم استنباط المياه، وعلاج البواسير، وعلم التشريح، وعلاج لسع العقرب، وتاريخ العرب والعجم.

وممن تولى التدريس فيه الفخر البلبيسى الضرير أستاذ القراءات وإمام الأزهر، وتولى ابن حجر خطابة الأزهر حينًا آخر.

على أنه يوجد مع ذلك فى أنباء العصر ما يدل على أن الأزهر كان خلال هذه الحقبة يحتفظ بمكانته الخاصة، يعاونه فى ذلك اتساع حلقاته وأروقته، وتنوع دراساته، وهيبته القديمة، وما يلاقيه الطلاب فيه من أسباب التيسير فى الدراسة وأحيانًا فى الإقامة. وقد غدا الأزهر منذ أواخر القرن السابع أى مذ عفت معاهد ببغداد وقرطبة، كعبة الأساتذة والطلاب من سائر أنحاء العالم الإسلامى، وغدا أعظم مركز للدراسات الإسلامية العامة. ومنذ القرن الثامن الهجرى أخذ يتبوأ الأزهر فى مصر وفى العالم الإسلامى نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية. وفى أنباء هذا القرن ما يدل على أن الأزهر كان يتمتع فى ظل دولة السلاطين برعاية خاصة، وكان الأكابر من علمائه يتمتعون بالجاه والنفوذ، ويشغلون وظائف القضاء العليا، ويستأثرون بمراكز التوجيه والإرشاد. وكان هذا النفوذ يصل أحيانا إلى التأثير فى سياسة الدولة العليا، وأحيانا فى مصاير العرش والسلطان.

وربما كانت هذه الفترة فى الواقع هى عصر الأزهر الذهبى من حيث الإنتاج العلمى الممتاز، ومن حيث تبوؤه لمركز الزعامة والنفوذ.

وفى أواخر القرن التاسع أخذت الحركة الأدبية فى مصر الإسلامية فى الاضمحلال وذلك تبعًا لاضمحلال الدولة المصرية والمجتمع المصرى. وكانت دولة السلاطين قد شاخت وأخذت تسير نحو الانهيار بخطى سريعة، وتصدع بناء المجتمع المصرى وأخذ فى الانحلال والتفكك، واضطربت أحوال المعاهد والمدارس المصرية وتضاءلت مواردها، وفقدت كثيرًا مما كانت تتمتع به من رعاية السلاطين والأمراء، وأصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود. ولم يمض قليل على ذلك حتى وقعت المأساة المروعة فانهارت الدولة المصرية، وفقدت مصر استقلالها التالد وسقطت صريعة الغزو العثمانى سنة ٩٢٢هـ (١٥١٧م).

❁❁❁

جلال الدين السيوطى

ترجم الشيخ لنفسه ترجمة وجيزة فى كتابه (حسن المحاضرة)

قال عن والده: هو الشيخ كمال الدين أبو المناقب السيوطى، الذى توفى وسن ولده جلال الدين ستة أعوام. وقد تأثر الولد بسيرة أبيه ميتًا أكثر مما كان يتأثر بها حيًا.

اشتغل ببلده أسيوط وتولى القضاء قبل قدومه إلى القاهرة، وهذا يدلنا على أن مدرسة العلم فى هذه الحقبة لم تكن قاصرة على الأزهر وإنما كانت فى كثير من عواصم البلاد. كما هو الحال الآن، ثم ذكر لنا كيف كانت أحوال أبيه بعد قدومه إلى القاهرة. حيث درس على كبار الشيوخ علوم الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعانى والمنطق والحديث، ثم يقول (وأتقن علومًا جمة)، وبرع فى كل فنونه. وأقر له كل من رآه فى صناعة الإنشاء وأذعن له فيه أهل عصره كافة. بل كان شيخنا قاضى القضاة شرف الدين المناوى فى أوقات الحوادث يسأله فى إنشاء خطبة تليق بذلك ليخطب بها فى القلعة.. ثم يقول عن والده من الناحية الخلقية:

وكان على جانب عظيم من الدين والتحرى فى الأحكام وعزة النفس والصيانة، ويغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس.

ثم عدد تآليفه فقال:

«وله من التصانيف حاشية على شرح الألفية لابن المنصف، وحاشية على شرح العضد كتب منها يسيرًا، ورسالة فى الإعراب وأجوبة على اعتراضات ابن المقرى على الحاوى، وله كتاب فى التصريف، وآخر فى التوقيع».

هذه خلاصة وافية لما كتبه الشيخ جلال فى ترجمة والده، وقد أسلفت أنه تركه بالموت وهو فى سن السادسة. فكيف -وهذه هى الحال- كتب ترجمة أبيه المتوفى، وكيف تأثر بحياته؟

إنه لم يشاهد من حالات والده إلا حالة واحدة ساعده على مشاهدتها أنه كان يقوم بها فى منزله، أما غيرها فلم يشاهده فيها. هذه الحالة هى التى حدثنا عنها بقوله:

«. . . مواظبا على قراءة القرآن، يختم كل جمعة ختمة، ولم أعرف من أحواله شيئًا بالمشاهدة إلا هذا».

وقد وجد عند والده كل آثاره العلمية والأدبية فحببه ذلك فى الانقطاع لطلب العلم والأدب.

بيئة جلال الدين العلمية هى بيئة الأزهر الشريف بكل خصائصها الحقبة التى انتسب فيها جلال الدين إلى الأزهر هى منتصف القرن التاسع الهجرى. وكان فى الأزهر فى ذلك الوقت قد قطع فى بعثه الجديد أشواطًا فإنه بعد أن عطله عن الحياة حسًا ومعنى -السلطان صلاح الدين الأيوبى، ليزيل بذلك كل أثر للفاطميين. واستبدل به مدارس تدرس فيها المذاهب الأربعة -بعد هذا جاء عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة، فقد ولى هذا السلطان ملك مصر عام ٦٥٨ هجرية وكان -أول ما عنى به من الشؤون- بعث الأزهر بعثًا جديدًا بترميمه بعد التهدمة، وبإعداده ليكون معهدًا علميًا تدرس فيه العلوم الدينية، كما تدرس فيه العلوم العقلية مثل (المنطق -آداب البحث والمناظرة) أما علوم التاريخ والجبر والمقابلة والإنشاء والأدب، فلم يكن لها نظام معين تدرس به، فقد تدرس وقد لا تدرس، وإذا رغبها طالب لم يرغب فيها طلبة.

لم يكن هناك مناهج ولا أوقات تضبط الدروس وتحدد أوقاتها. كما أن الطلبة كانوا أحرارًا فى كل شىء: فى العلم الذى يختارونه. وفى الشيخ الذى يحضرون عليه، هذه الحرية فى التحصيل هى التى مكنت الرعيل الذى كان فيه السيوطى من الإجادة والإتقان والتبحر فى مختلف أنواع العلوم والفنون فكانوا أعلاما نابهين. أمثال السيوطى، والعز بن عبد السلام، والقرافى، وابن هشام والسبكى وأبناؤه، وزكريا الأنصارى وغيرهم:

كما كان الزهد فى المال، طابعًا للطلبة يقول العلامة ابن دقيق العيد:

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة ... وقعت بها فى حيرة وشتات

فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى ... وإن لم أبح بالصبر خفت مماتى

وأعظم به من نازل بملمة ... يزيل حيائى أو يزيل حياتى

وتحدث السيوطى عن قوة حافظته فقال:

«فحفظت القرآن ولى دون ثمان سنين. ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك» حفظ كل هذه المحفوظات قبل أن ينقطع إلى طلب العلم بالأزهر كما حدثنا.

وتحدث عن تبحره فى العلوم وتعمقه فى فهمها:

«ورزقت التبحر فى سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع. . . والذى اعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة -سوى الفقه- والنقول التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه، ولا وقف عليه أحد من أشياخى، فضلاً عمن هو دونهم. . . ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفًا بأقوالها وأدلتها العقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله. . .»

ويقول أيضًا: «وقد كملت عندى آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى».

ثم يقول فى مقدمة كتابه (المزهر فى علوم اللغة).

«هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه، واخترعت تنويعه وتبويبه. وذلك فى علوم اللغة وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الأحاديث فى التقاسيم والأنواع، وأثبت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك، ويعتنى فى تمهيدها ببيان المسالك، غير أن المجموع لم يسبقنى إليه سابق، ولا طرق سبيله قبلى طارق».

هذ ما كتبه الشيخ متفرقا فى ترجمته لنفسه، وفى مقدمات بعض كتبه.

●●●

ويقول السيوطى -«وقد بلغت مؤلفاتى للآن ثلثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه».

ومن هذا العدد الكبير نعرف أنه كان سريع الكتابة إلى حد كبير، وهو فى ذلك يشبه إمامنا الجاحظ فى السرعة لا فى إشراق الأسلوب، ولا فى متانة التعبير، ولا فى إجادة الإنشاء.

إن الثلثمائة كتاب التى ألفها السيوطى تدور فى مدار العلوم الآتية كما ذكرها هو بتعبيراته:

١- فن التفسير وتعلقاته والقراءات.

٢- فن الحديث وتعلقاته.

٣- فن الفقه وتعلقاته.

٤- الأجزاء المفردة (وهى المؤلفات التى يتناول كل منها مسألة واحدة).

٥- فن العربية وتعلقاته.

٦- فن الأصول والبيان والتصوف.

٧- فن التاريخ والأدب.

هل درس السيوطى كل هذه العلوم فى الأزهر؟ إذا صح أنه درس التفسير والحديث والأصول واللغة العربية وبقية ما عرف من العلوم الأزهرية فى وقته، فهل درس أيضًا التاريخ والأدب على الصورة التى رسمها لنا فى تعداد الكتب التى ألفها، أنه لم يترك طبقة من الطبقات إلا ألف فيها كتابًا: (الصحابة - الحفاظ- النحاة كبرى ووسطى وصغرى- المفسرين- الأصوليين- الكتاب- الشعراء- الخلفاء).

كما أنه ألف فى التاريخ العام والخاص والرحلات كتبًا كثيرة مثل (حسن المحاضرة -رفع الباس عن بنى العباس- ياقوت الشماريخ فى علم التاريخ- رفع شأن الحبشان. . . الرحلة الدمياطية).

فهل درس الطبقات والتاريخ وكتب اللغة والأدب فى الأزهر فأهلته المدارسة ليؤلف فيها بهذه الغزارة كما ألف فى العلوم الأزهرية؟

أن السيوطى كانت له صوفية علمية تجعله يدرس التاريخ والسير والمغازى على نفسه، ولم يكن فى الأزهر حلقات لمثل هذه العلوم.

لقد شبهت جلال الدين السيوطى بالجاحظ فى سرعة الأداء والكتابة، ولكننى فرقت بينهما من حيث طلاوة الأسلوب، وإشراق الديباجة. والآن أشبه مرة أخرى السيوطى بالجاحظ فى كثرة الاطلاع ومتنوع الدراسات، فلقد كان الجاحظ يستأجر دكاكين الوراقين ليطلع على ما فيها من كتب وربما كان يقضى فيها الليالى بأكملها لنهمه فى القراءة والاطلاع. وكذلك الشيخ السيوطى فإنه لم يترك كتابًا فى زمانه إلا قرأه واستفاد به.

وقد كانت له رحلات، ولكنه لم يكشف لنا عن الدافع إليها، فقد قال فى ترجمته.

«وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور» وهى رحلات بعضها شاق طويل، وأى رحلة أبعد من الهند؟ وأى متاعب أقسى فى زمنه منه الجمع بين الرحيل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والغرب والتكرور؟ إنه طوف فى ذلك بأكثر اجزاء نصف الكرة الشرقى.

وقد ولد السيوطى عام ٨٤٩ وانتقل إلى رحمة الله عام ٩١١ هجرية.

❀❀❀

الفصل السابع
الأزهر فى عهد الدولة العثمانية
٩٢٣- ١٢٢٠هـ

تمهيد:

خضعت مصـر للحكم العثمانى خضوعًا تامًا منذ عـام ٩٢٣، واستمرت ولاية عثمانية إلى أن وضع محمد على يده عليها عام ١٢٢٠هـ، وكان يتولى الحكم فيها الوالى التركى ومساعدوه، ويسنده الجيش والمماليك.

الحركة العلمية فى الأزهر:

فى أواخر القرن التـاسع أخذت الحركة العلميـة فى مصر الإسلاميـة تضمحل، وكانت دولة السـلاطين هى الأخرى فى طريقـها إلى الإنهيـار، واضطربت أحوال المجـتمع وتفككت عـراه، وأصـاب المدارس الركود، وأصـاب الأزهر ما أصـاب المعاهد الأخـرى من الذبول، وفقدت مـصر استـقلالهـا، وسقطت فى يد الأتراك العثـمانيين سنة ٩٢٢هـ (١٥١٧م) وتقلـص ظل الازدهار العلمى، وانصرف كثـير عن العلوم العقلية والفلسفة والرياضة والجغرافيا، وأخـذ القول بحرمتها يقوى شيئًا فشـيئًا، حـتى تركت هذه العلوم من الأزهر، وبقـيت مهجـورة ينظر إليهـا بعين السخط، حتى صدرت أخيرًا فتوى من شيخ الأزهر الإنبانى والشيخ محمد محمد البنا المفتى بجواز تعلمها وعدم حرمة تدريسها.

وفى الحق أن الفـتح العثـمانى قضـى على مظاهر النشاط الفكرى التـى كانت مزدهرة فى عهـد السلاطين. فقد عنى الغـزاة الأتراك عقب الفتح مباشـرة بتجريد مصـر الإسلاميـة من ذخائرها النفـسية فى الآثار والكتـب، وحمل كل ذلك إلى القسطنطينية، وقد قبض الغزاة على العلمـاء الأعلام والزعماء وقادة الفكر، وبعثوا بهم جميعًا إلى تركيا، وهكذا انهار صرح الحركة الفكرية الإسلامية، وتضاءل شأن العلوم والفنون، وانحط معيار الثـقافة، بعد أن كانت مصر موئل الثـقافة، ومحط

العلماء بعد سقوط بغداد على أيدى المغول، وانقضاء البقية الباقية من سلطان المسلمين فى الأندلس. بعد أن وجد العلماء من المماليك ما أملوا، ووجد الإسلام فيهم حماة يقفون له كما وقف الأيوبيون من قبل، وكان ردهم للمغول فى موقعة عين جالوت على يد قطز حدثا تاريخيًا حفظ الحضارة الإسلامية من معاول التتر، ورفع شأن مصر، وجعلها مهبط الثقافة الإسلامية، والأمينة على تراث الإسلام منذ ذلك التاريخ حتى اليوم.

وقد كان الفضل فى ذلك للأزهر. فقد اتسع صدره للواردين من العلماء والطلاب فى كافة البلاد، ومكن لهم من الدراسة الهادئة والبحث المنظم، مما أفاد الحضارة الإنسانية بأجزل الفوائد، بما أخرجوا من فرائد الكتب فى الفقه والحديث والتفسير واللغة.

وإذا كان الأزهر قد انطوى على نفسه فى العصر التركى وذوت آثاره العلمية، فقد استطاع بما له من نفوذ فى نفوس العامة والخاصة أن يحمل العناصر الاستعمارية على احترام مكانته وعلى اللجوء إليه فى الملمات، وكان يتوسط فيما ينشب بينهم وبين المصريين من خلاف، واستطاع الأزهر فى هذه الحقبة المظلمة من تاريخه أن يحفظ اللغة العربية، وأن يقاوم لغة الفاتحين، وأن يبقى بابه مفتوحا لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية مدى ثلاثة قرون، حتى انزاح عن صدره الكابوس التركى، وبدأ النور يبزغ من جديد فى أوائل القرن التاسع عشر يحمل فى طياته الأمل.. وقد تميز العصر التركى فى مصر بفتور الهمم عن التأليف والتدوين، وانصراف المؤرخين عن تناول الشؤون العامة والأمور النافعة إلى ملق الحكام والأكابر، وتدوين سيرهم الشخصية. وأما العلماء فقد استكانوا إلى الراحة، وظنوا أنه لا مطمع لهم فى الاجتهاد، فاقفلوا أبوابه، ورضوا بالتقليد، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم، وابتعدوا عن الناس، فجهلوا الحياة وجهلهم الناس، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث، وما جد فى الحياة من علم، وما جد فيها من مذاهب وآراء، فأعرض الناس عنهم، ونقموا هم على الناس، فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له.

ولما فترت همة المتأخرين من العلمـاء عن التأليف. عمدوا إلى مصنفات السلف الصالح رضوان الله عليهم وشرحوها، ثم عمـدوا إلى الشروح فشرحوها، وسموا ذلك حاشـية، ثم عمدوا إلى الحـواشى فشرحوها وسـموا ذلك تقريراً، فتـحصل عندهم متن هو أصل المصـنف، وشرح، وشـرح شـرح، وشرح شـرح الشـرح، وكـانت النتـيجـة أن تطرق الإبهـام إلى المعـانى الأصليـة، واضطربت المبـاحث، واختلت التراكيب، وتعقدت العبارات، واختفى مراد المصنف.

وورث الأزهر من هذا التعقـيد العناية بالمناقشة اللفظية، وتتـبع كلمات المؤلفين فى المصنفـات والشروح والحـواشى والتقـارير، وتغلبت هذه العناية اللفظيـة على الروح العلمية الموضـوعية، وصرفت الذهن عن الفكرة الأصلية إلى مـا يتصل بها من ألفاظ وعبارات.

واتجه العلمـاء إلى الاشتغـال بالفروض والاحتـمالات العقليـة التى لا تقع وما يتصل بهـا من أحكام، وعلى الأخص فى العبـادات والمعامـلات، وبدأوا يصنفون الرسائل فى هذه الفروض والاحتمالات؛ وبذلك انصـرفوا عن تنمية الفقه العملى الذى يحتاج إليه الناس فى معاملاتهم.

وانصرف الأزهر فى هذه الحقـبة المظلمة عن دراسة العلوم الرياضيـة والعقلية، ووجد فيه من ينادى بتحريمها؛ وهكذا بدت بوادر الانحلال فى الأزهر، وانقطعت صلتـه بماضيـه الزاهر، ووقـفت حركـة التـفكير العـلمى، وكادت هذه المدرسـة الإسلاميـة الكبرى أن تفقـد مميزاتها، من حرية الفكر والإنتـاج الخصب، لولا أن قيض الله لها مـصلحين أخذوا بيدها، وجنبوها عـواقب هذه الآفات والعلل حتى تجمعت فيها، وأثرت فى مجرى حياتها.

لقد نفى العثمانيـون العلماء المصريين إلى القسطنطينية[١]؛ وانتزعوا الكتب من المساجد والمدارس والمجـموعات الخاصة ليودعوها مـكتبات العاصمة التـركية. وما زالت منها إلى اليوم بقية كـبيرة فى مكتبات استانبول، ومنها مـؤلفات خطية لكثير

(١) يعقد ابن إياس مؤرخ الفـتح العثمانى فصلا خاصًا يذكر فيه أسماء مئات مـن الأكابر والعلماء المصريين الذين نفاهم السلطان سليم إلى القسطنطينية (بدائع الزهور ج ٣ ص ١١٩ وما بعدها).

من أعلام القرن التاسع الهجرى المصريين مثل المقريزى، والسيوطى، والسخاوى، وابن إياس، مما يندر وجوده بمصر صاحبة هذا التراث العلمى.

وهكذا انهار صرح الحركة الفكرية فى مصر عقب الفتح التركى، كما انهارت عناصر القوة والحياة فى المجتمع المصرى، وتضاءل شأن العلوم والآداب، وانحط معيار الثقافة، واختفى جيل العلماء الأعلام الذين حفلت بهم العصور السالفة، ولم يبق من الحركة الفكرية الزاهرة التى أظلتها دولة السلاطين المصرية سوى آثار دراسة، يبدو شعاعها الضئيل من وقت إلى آخر.

وقد أصاب الأزهر ما أصاب الحركة الفكرية كلها من الانحلال والتدهور، واختفى من حلقاته كثير من العلوم التى كانت زاهرة به من قبل، حتى إن العلوم الرياضية. لم تكن تدرس به فى أواخر القرن الثانى عشر، وقد لاحظ ذلك الوزير أحمد باشا والى مصر سنة ١١٦١هـ (١٧٤٨م)، فى نقاشه للشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الأزهر يومئذ وأنكره فى حديث أورده الجبرتى[١]، مما يدل على ما آلت إليه أحوال الدراسة بالأزهر خلال العصر التركى من التأخر والركود.

على أن الجامع الأزهر -كما يقول عنان- قام عندئذ بأعظم وأسمى مهمة أتيح له أن يقوم بها. فقد استطاع خلال المحنة الشاملة أن يستبقى شيئًا من مكانته، وأن يؤثر بماضيه التالد وهيبته القديمة فى نفوس الغزاة أنفسهم، فنجد الفاتح التركى يتبرك بالصلاة فيه غير مرة[٢]، ونجد الغزاة يبتعدون عن كل مساس به، ويحلونه مكانًا خاصًا، ويحاولون استغلال نفوذ علمائه كلما حدث اضطراب أو ثورة داخلية. وفى خلال ذلك صار الأزهر ملاذًا أخيرًا لعلوم الدين واللغة، وغدا بنوع خاص معقلا حصينا للغة العربية، يحتفظ فى أروقته بكثير من قوتها وحيويتها، ويدرأ عنها عادية التدهور النهائى، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ومقاومتها، وردها عن التغلغل فى المجتمع المصرى[٣].

---

(١) عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٣.

(٢) راجع ابن إياس فى بدائع الزهور ج ٣ ص ١١٦، ١٣٢.

(٣) كان بين الأساتذة الذين تولوا التدريس بالجامع الأزهر فى أوائل العصر العثمانى: نور الدين على البحيرى الشافعى المتوفى سنة ٩٤٤هـ والعلامة شهاب الدين ابن عبد الحق السنباطى المتوفى سنة =

وهكذا استطاع الأزهر فى تلك الأحقاب المظلمة أن يسدى إلى اللغة العربية أجل الخدمات. وإذا كانت مصر قد لبثت خلال العصر التركى ملاذًا لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية من سائر أنحاء العالم العربى والعالم الإسلامى، فأكبر الفضل فى ذلك عائد إلى الأزهر. وقد استطاعت مصر لحسن الطالع بفضل أزهرها أن تحمى هذا التراث نحو ثلاثة قرون، حتى انقضى العصر التركى بمحنه وظلماته، وقيض لها أن تبدأ منذ أوائل القرن التاسع عشر حياة جديدة يمازجها النور والأمل.

وربما كانت هذه المهمة السامية التى ألقى القدر زمامها إلى الجامع الأزهر فى تلك الأوقات العصيبة من حياة الأمة المصرية، والعالم الإسلامى بأسره، هى أعظم ما أدى الأزهر من رسالته، وأعظم ما وفق لإسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل.

نصيب الأزهر من التعمير فى هذا العصر:

فى عام ١٠٠٤هـ أيام ولاية الشريف محمد باشا على عمر الأزهر، وجدد ما خرب منه، ورتب فيه غذاء للفقراء.

وفى عام ١٠١٤ عمر الوزير حسن والى مصر مقام السادة الحنفية أحسن عمارة وبلطه بالبلاط الجيد، وقد تولى مصر من عام ١٠١٤- ١٠١٦هـ.

= ٩٥٠هـ وعبد الرحمن المناوى المتوفى سنة ٩٥٠هـ وشمس الدين الشيشينى القاهرى الشافعى، والإمام شمس الدين أبو عبد الله العلقمى المتوفى سنة ٩٦٢هـ والإمام شمس الدين الصفدى المقدسى الشافعى المتوفى فى حدود التسعين وتسعمائة (راجع فى تراجم هؤلاء العلماء، الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة -مخطوط بدار الكتب).

وكان منهم فى أواسط العصر العثمانى: عبد الباقى بن يوسف الزرقانى المالكى المتوفى سنة ١٠٩٩هـ والعلامة شاهين بن منصور بن عامر الأرمناوى المتوفى سنة ١١٠١هـ والعلامة شمس الدين محمد بن محمد الشهير بالشرنبابلى المتوفى سنة ١١٠٢هـ. والإمام العلامة إبراهيم بن محمد شهاب الدين البرماوى المتوفى سنة ١١٠٦هـ والشيخ حسن بن على بن محمد الجبرتى جد والد الجبرتى المؤرخ، وقد توفى سنة ١١١٦، والعلامة عبد الحى بن عبد الحق الشرنبلالى المتوفى سنة ١١١٧هـ (راجع فى تراجم هؤلاء العلماء عجائب الآثار للجبرتى، الجزء الأول).

وجدد اسماعيل بن إيواظ سقف الجامع الأزهر الذى كان آيلاً للسقوط، وقد مات اسماعيل عام ١١٣٦هـ ومن آثاره إنشاء مسجد سيدى إبراهيم الدسوقى ومسجد سيدى على المليجى.

وأنشأ الأمير عبد الرحمن كتخذا مقصورة فى الأزهر مقدار النصف طولا وعرضا يشتمل على خمسين عمودا من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت وسقف أعلاها بالخشب النقى، وبنى به محرابًا جديدًا، وأنشأ به منبرًا وأنشأ له بابًا عظيمًا جهة حارة كتامة المعروف بالدودارى وهو المشهور اليوم بباب الصعايدة وبنى بأعلاه مكتبًا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن الشريف وجعل بداخله رحبة متسعة وصهريجًا عظيمًا وسقاية للشرب، وعمل لنفسه مدفنًا بتلك الرحبة وجعل عليه قبة معقودة وتركيبة من رخام بديعة الصنعة منقوش عليها أسماء العشرة المبشرين بالجنة وكتابات أخرى.. وقد توفى الأمير عبد الرحمن كتخدا[1] عام ١١٩٠هـ[2]:

وبنى أمام المدفن المذكور رواقا مخصوصا بمجاورى الصعايدة المنقطعين لطلب العلم الشريف بالأزهر، وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب، وبنى بجانب ذلك الباب منارة، وأنشأ بابًا آخر جهة مطبخ الجامه وهو المشهور بباب الشوربة، وجعل أيضًا على يمينه منارة، وجعل فوقه مكتبًا، وبداخله على يمين الداخل ميضأة، وأنشأ لها ساقية، وصار الآن محل الميضة حجرة مكتبة إدارة الأزهر، وقد جاء هذا الباب الكبير وما بداخله من الطيبرسية والاقبغاوية من أحسن المبانى فى العظم والوجاهة والفخامة، وأرخ بعضهم ذلك بهذه الأبيات:

تبارك الله باب الأزهر انفتحا	وعاد أحسن مما كان وانصلحا
تقر عينًا إذا شاهدت بهجته	بإخلاص بأن له للعلم والصلحا
وادخل على أدب تلق الهداة به	قد قرروا حكمًا يزدانها رجحا
بالباب قد بدأ الأكوان أرخه	بعبد رحمن باب الأزهر انفتحا

---

(١) ٥-٨ جـ٢ الجبرتى.

(٢) وتوفى الأمير حسن بك رضوان عام ١١٩٢ وكان شاعر مجيدا (٣٨- ٥٠ جـ٢ الجبرتى) وكان الشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى شاعر الأمير على بك وكاتبه وتوفى عام ١١٩٣هـ (٥٤-٥٦ جـ٢ المرجع).

وجدد رواقا للمكاويين والتكروريين وزاد فى مرتبات الجامع، ورتب لمطبخه فى خصوص أيام رمضان فى كل يوم خمسة أرادب أرزا أبيض وقنطاراً من السمن ولحومًا وغير ذلك من المرتبات والزيت والوقود للطبخ، وزاد فى طعام المجاورين.

ولما مات هذا الأمير عام ١١٩٠هـ صلى عليه فى الأزهر، ودفن فى مدفنه الذى أعده لنفسه فيه.

وقد حدثت فى الأزهر فى هذا العهد، عدة حوادث مختلفة.. فلما توفى ثانى شيخ للأزهر وهو الشيخ النشرتى وقعت فتنة بالأزهر عام ١١٢٠هـ بسبب المشيخة والتدريس بالاقبغاوية وافترق المجاورون فرقتين فرقة تريد الشيخ أحمد النفراوى والأخرى تريد الشيخ عبد الباقى القلينى ولم يكن حاضراً بمصر، فتعصب له جماعة النشرتى، وارسلوا يستعجلونه للحضور، فقبل حضوره تصدر الشيخ النفراوى وحضر للتدريس بالاقبغاوية فمنعه القاطنون بها، وحضر القلينى فانضم إليه جماعة النشرتى، وتعصبوا له فحضر جماعة النفراوى إلى الجامع ليلاً ومعهم بنادق وأسلحة وضربوا بالبنادق فى الجامع، وأخرجوا جماعة القلينى وكسروا باب الاقبغاوية وأجلسوا النفراوى مكان النشرتى، فاجتمعت جماعة القلينى فى يومها بعد العصر، وكبسوا الجامع واقفلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفراوى، فقتلوا منهم نحو العشرة، وجرح بينهم جرحى كثيرون، وانتهبت الخزائن، وكسرت القناديل، وحضر الوالى، فأخرج القتلى، وتفرق المجاورون، ولم يبق بالجامع أحد، ولم يصل فيه ذلك اليوم وأمر النفراوى بلزوم بيته واستقر القلينى مكانه.

ولما قربت وفاة شيخ الإسلام الشيخ الدمنهورى الشيخ التاسع للأزهر، رغب الشيخ العريشى الحنفى فى المشيخة، إذ هى أعظم مناصب العلماء، فحضر إلى الجامع مع إبراهيم بك وجمع الفقهاء والمشايخ، وعرفهم أن الشيخ الدمنهورى أقامه وكيلاً وبعد أيام توفى الشيخ الدمنهورى فتعين هو للمشيخة بتلك الطريقة، وساعده الأمراء وكبراء الأشياخ وأبو الأنور السادات، وكاد أمره يتم، ومنع من ذلك اجتماع بعض الشافعية وذهابهم إلى الشيخ أحمد الجوهرى، حيث ساروا إلى بيت البكرى وجمعوا عليهم جملة من أكابر الشافعية مثل الشيخ أحمد العروسى والشيخ أحمد السمنودى والشيخ حسن الكفراوى، وكتبوا طلبًا للأمراء مضمونه أن

مشيخة الأزهر من مناصب الشافعية، وليس للحنفية فيها قديم عهد، وخصوصًا إذا كان آفاقيًا كالشيخ عبد الرحمن العريشى، وفى العلماء الشافعية من هو أهل لذلك علما وأنهم اتفقوا على أن يكون المتعين لذلك الشيخ أحمد العروسى، وختموا جميعًا على الطلب، وأرسلوه إلى إبراهيم بك ومراد بك، فتوقف الأمراء وشددوا فى عدم النقض، ورد الطلب للمشايخ فقاموا على ساق، وشدد الشيخ الجوهرى فى ذلك وركبوا بأجمعهم إلى جامع الإمام الشافعى وباتوا به ليلة الجمعة، فهرعت الناس ينظرون فيما يؤول إليه هذا الأمر وكان للأمراء اعتقاد فى الشيخ الجوهرى، فسعى أكثرهم فى انفاذ غرضه، وخافوا العطب أو ثوران فتنة، وحضر مراد بك للزيارة، فكلمه الشيخ الجوهرى، وقال له لابد من فروة تلبسها للشيخ العروسى، ويكون شيخًا على الشافعية، وذاك الشيخ على الحنفية كما أن الشيخ الدرديرى شيخ المالكية والبلد بلد الإمام الشافعى وقد جئنا إليه وهو يأمرك بذلك، فإن خالفت يخشى عليك فاحضر فروة وألبسها للشيخ العروسى، وذهب العروسى إلى بيته وأخذ شأنه فى الظهور، واحتد العريشى لذلك، وذهب إلى السادات والأمراء فألبسوه فروة وتفاقم الأمر وصاروا حزبين، وتعصب للعريشى طائفة الشوام والمغاربة، ومنعوا الطائفة الأخرى من دخول الجامع، واستمر الأمر نحو سبعة أشهر إلى وقوع حادثة بين الشوام والأتراك، واحتد الأمراء للجنسية، وأكدوا فى طلب الفصل فى الأمر وتصدى العريشى للذب عن الشوام، فانطلقت عليه الألسن، وانحرف عليه الأمراء وطلبوه فاختفى، فعزلوه عن الافتاء، وحضر الأغا وصحبته العروسى، للقبض على الشوام، ففروا فأغلقوا رواقهم وسمروه أيامًا، ثم اصطلحوا وثبتت مشيخة العروسى، وأمر العريشى بلزوم بيته، فاختلى بنفسه للعبادة، ومرض من الحزن، وتوفى سنة ١١٩٣هـ رحم الله الجميع.

وفى غرة رمضان سنة ١١٩٩ ثار فقراء المجاورين والقاطنون بالأزهر، وأقفلوا أبوابه، ومنعوا منه الصلوات، وكان ذلك يوم جمعة، فلم يصل فيه ذلك اليوم، وكذلك أقفلوا المسجد الحسينى، وخرج العميان والمجاورون، يسيرون فى الأسواق، ويخطفون ما يجدونه من الخبز وغيره، وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبازهم المعتادة، واستمروا على ذلك، حتى حضر سليم، أغا بعد العشاء فى

المدرسة الأشرفية، وأرسل إلى مشايخ الأروقة، وتكلم معهم والتزم لهم بإجراء رواتبهم... وفى سنة ١٢٠٠هـ قطعت أخبازهم ومرتباتهم، وفعلوا مثل ذلك، وحضر إليهم سليم أغا مثل الأول، والتزم ولم يوف، فضجت المجاورون فوق المنارات، فحضر ونجز لهم بعض المرتبات مدة، ثم انقطع، ثم التزم وتكرر الغلق والفتح مرارًا عديدة، مع منع المرتبات وإجرائها.

وفى أول جمعة من جمادى الأولى سنة ١٢٠٠هـ ثار جماعة من أهالى الحسينية بسبب ما حصل من حسين بك بشفت، فإنه تسلط على هجم البيوت فركب بجنده إلى الحسينية، وهجم على دار أحمد سالم الجزار المتولى، رياسة دراويش الشيخ البيومى، ونهبه حتى حلى النساء والفرش، فحضر أهل الحسينية إلى الجامع الأزهر، ومعهم طبول، وانضم إليهم كثير من العامة، وبأيديهم نبابيت ومساوق، وذهبوا إلى الشيخ الدردير فساعدهم بالكلام، وقال لهم أنا معكم فخرجوا من نواحى الجامع، وأقفلوا أبوابه، وصعد منهم طائفة على المنارات يصيحون ويدقون بالطبول، وانتشروا بالأسواق فى حالة منكرة، وأغلقوا الحوانيت، وقال لهم الشيخ الدردير: فى غدًا نجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة، ونركب معهم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء، أو ينصرنا الله عليهم، فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا ومحمد كتخدا الجلفى كتخدا إبراهيم بك، وجلسوا فى الغورية، ثم ذهبوا إلى الشيخ الدردير وتكلموا معه، وخافوا من تضاعف الحال، وقالوا اكتبوا لنا قائمة بالمنهوبات، ونأتى بها من محل ما تكون، وقرءوا الفاتحة على ذلك وانصرفوا، وركب الشيخ إلى إبراهيم بك، وأرسل إلى حسين بك، وأحضره وكلمه فى ذلك فقال: كلنا نهابون، أنت تنهب، ومراد بك ينهب، وأنا أنهب، ثم انفض المجلس وهدأت القضية.

وبعد حادثة أهل الحسينية السابقة بأيام قليلة تعصب مجاوروا الصعايدة فى الأزهر، وأبطلوا دروس المدرسين به، بسبب نهب سليمان بك الأغا سفينة لهم فيها تمر وسمن، مدعيًا أن له مالاً متأخرًا عند أولاد وافى فى الصعيد وأن ذلك مالهم، وليس كذلك بل هو مال مجاورى الصعايدة، فركب الشيخ الدردير

والشيخ العروسى والشيخ المصيلحى وآخرون إلى إبراهيم بك، وتكلموا معه بحضرة سليمان بك، كلامًا كثيرًا مفحمًا، فرد سليمان بك بعض ما أخذه.

وقد حدثت حوادث أيام مشيخة الشيخ الشرقاوى، منها أن طائفة المجاورين بالأزهر من الشرقاويين، كانوا قاطنين بالطيبرسية، وكانت لهم خزائن برواق معمر فوقع بينهم وبين أهل الطيبرسية مشاجرة، وضربوا نقيب الرواق، ومنعهم شيخ الطيبرسية منها، وكان ذلك سببًا لبناء رواق الشراقوة.

ومنها فى سنة ١٢٠٩هـ حضر أهل قرية بشرقية بلبيس، وذكروا أن أتباع محمد بك الألفى ظلموهم، وطلبوا منهم مالاً لا قدرة لهم عليه، فاغتاظ الشيخ الشرقاوى من ذلك، وحضر إلى الأزهر، وجمع المشايخ، وقفلوا أبواب الجامع، وذلك بعد أن خاطب مراد بك وإبراهيم بك، ولم يبديا شيئًا، وأمر الشيخ الناس بغلق الأسواق والحوانيت، ثم ركبوا ثانى يوم إلى بيت السادات، وتبعهم كثير من العامة، وازدحموا أمام الباب والبركة، بحيث يراهم إبراهيم بك، فأرسل لهم أيوب بيك الدفتردار فوقف بين أيديهم، وسألهم عن مرادهم، فقالوا نريد العدل وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها، فقال لا تمكن الإجابة إلى هذا كله، فإنا إن فعلنا ذلك لضاقت علينا المعايش، فقالوا ليس هذا بعذر عند الله، وما الباعث على الإكثار من النفقات والمماليك، والأمير يكون أميرًا بالإعطاء لا بالأخذ، فقال حتى أبلغ، وانصرف وانفض المجلس، وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر، واجتمع أهل الأطراف، وباتوا به، فبعث مراد بك يقول أجيبكم إلى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين: ديوان بولاق وطلبكم المتأخر من الجامكية، ثم طلب أربع من المشايخ عينهم بأسمائهم فذهبوا إليه بالجيزة، فلاطفهم، والتمس منهم السعى فى الصلح، وفى اليوم الثالث اجتمع الأمراء والمشايخ فى بيت إبراهيم بك، وفيهم الشيخ الشرقاوى، وانعقد الصلح على رفع المظالم ما عدا ديوان بولاق، وأن يكفوا أتابعهم عن مد أيديهم إلى أموال الناس ويسيروا فى الناس سيرة حسنة، وكتب القاضى حجة بذلك، ووقع عليها الباشا والأمراء، وانجلت الفتنة، وفرح الناس نحو شهر، ثم عاد الحال إلى أصله.

ويذكر ابن إياس أن السلطان سليم شاه العثمانى دخل الجامع الأزهر يوم الجمعة سنة ٩٢٣هـ فصلى به الجمعة وتصدق هناك بمبلغ كبير... وزار الأزهر

الشريف السلطان الأعظم عبد العزيز خان، وقد حظى بكثير من خيرات ملوك آل عثمان.

الأزهر والحركة العلمية فى هذا العهد:

نبغ من هذا العصر عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء، منهم: الشهاب الخفاجي المتوفى ١٠٦٩هـ، والبديعى المتوفى عام ١٠٧٣هـ، وعبد القادر البغدادى المتوفى عام ١٠٩٣هـ صاحب خزانة الأدب، والسيد مرتضى الزبيدى (١١٤٥-١٢٠٥هـ) مؤلف تاج العروس، والصبان المتوفى عا ١٢٠٦هـ.

ومنهم المحبى (١٠٦١- ١١١١هـ) مؤلف خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، والشعرانى المتصوف المتوفى عام ٩٧٣هـ، وعبد الله الشبراوى المتوفى عام ١١٧٢هـ، وسواهم.

وهؤلاء كانوا من غير شك ممن أفادوا من الأزهر، وتأثروا به.

وفى هذا العهد استمر الأزهر مدى القرون الثلاثة التى حكم العثمانيون فيها مصر، يجاهد لحفظ البقية الباقية من اللغة العربية والعلوم القرآنية التى أصبحت فى حال ذبول أو شبه جفاف، وكان له الفضل على كل حال فى الأبقاء على حشاشة هذا التراث الإسلامى، لقد صار الأزهر أشهر الجوامع فى التدريس على الإطلاق. وقصده طلاب العلم من كل ناحية حتى تركستان والهند وزيلع وسنار. ولكل طائفة منهم رواق باسمهم كرواق الشوام أو المغاربة أو العجم، أو الزيالعة، أو اليمنية أو الهندية، فضلاً عن أروقة الصعيد.

وبلغ عدد تلاميذ الأزهر فى أوائل القرن التاسع للهجرة -أى نحو عام ١٨١٨هـ- ٧٥٠ طالبًا من طوائف مختلفة، وكانوا مقيمين فى الجامع، ومعهم صناديقهم وخزائنهم يتعلمون فيه الفقه والحديث والنحو والمنطق، وزادوا فى عصر العثمانيين على ذلك زيادة كبيرة.

وفى كتاب التعليم العام فى مصر ما يفيد أن العلوم التى كانت تدرس غالبًا بالأزهر، حتى منتصف القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) هى الآداب والفقه والتوحيد.

وكانت تدرس أحيانًا بصفة استثنائية علوم الفلك، والعلوم الرياضية، والعلوم الطبيعية، والتجريبية، إجمالاً.

واشتدت المنافسة الفكرية التى كانت بين المذاهب فى الأزهر، والتى أدت إلى ظهور المذهب الشافعى على سائر المذاهب، حيث نرى منذ هذا الوقت المذاهب كلها تدرس سويًا بالأزهر، إلا أن المشيخة كانت فى الغالب للشافعيين. والمنافسة كما يدلنا التاريخ كانت شديدة على هذا المنصب، وكانت فى أكثر الأوقات تدور بين المذهبين الشافعى والحنفى، والمذهب الحنفى كان غالبًا مذهب الأمراء والولاة من الأكراد والمماليك والأتراك. ولا زلنا للآن نجد المذهب الحنفى فى صف السلطة القضائية فى هيئة الحكم، فعليه تسير المحاكم الشرعية فى قضائها، ويرى الأستاذ «فولر» أن وجود حدث الإمام الشافعى الطاهر فى مسجده المنيف، وكذلك سلطانه الروحى فى نفوس الأهالى، مما ساعدا على كثرة أتباعه. وقد يكون هذا صحيحًا، والواقع أن مرجع هذه المنافسة يعود إلى خلاف فى طبيعة المذهبين.

ومهما يكن من أمر، فالأزهر فى كل عصوره، حتى حكم محمد على، كان مركز التعليم الذى تدور حوله الحركة العلمية فى البلاد، ولهذا المركز الممتاز أدت هذه الجامعة خدمتين من أجل الخدمات؛ التى لها أثرها الواضح فى حياة مصر الاجتماعية والسياسية عامة: الأولى عمله على نشر اللغة العربية وتوطيدها بالبلاد المصرية، وشد أزرها ضد اللغة القومية التى غزاها الإسلام بلغته العربية العريقة. والثانية دعم أسس الديانة الإسلامية، ووقوفها تسند الإسلام بكل ما انبعث من المجهودات العقلية والروحية.

والخطة التى انتهجها الأزهر تتخلص فى أنه بعد زوال الدولة الفاطمية، وعمل صلاح الدين على إبادة آثارها، أدخلت المذاهب الأربعة فى الأزهر، وصارت سواسية فى التدريس فيه، وكان لكل مذهب شيخ، وله مطلق السلطة على الأساتذة والطلاب الذين ينضمون تحت لواء مذهبه.

وكان من آثار الأزهر فوق هذا أن جعل لمصر مكانة ممتازة وسلطانًا أدبيًا على شعوب الشرق، وأصبحت البلاد الشرقية تنظر إلى مصر نظرة الحائر إلى الهادى المرشد. وتعترف لها بالفضل والعلم.

وكان التـعليم فيه على ثلاث مـراحل: المرحلة الأولى يبدأ التلميـذ فيهـا بتعلم الهجاء والقـراءة والكتابة، ويحفظ ما تيسر مـن القرآن عن ظهر قلب، ليكون هذا الجزء المادة التى يستطيع أن يطبق التلميذ فيها عمليًا، ما أخذ من المعلومات النظرية فى تعلمه قـواعد الهجاء والكتابة، فـيطالب التلميذ بكتابـة هذا الجزء وقراءته، ثم ينتقل من هذا الجـزء إلى غيره كتـابة وقراءة وحفظًا، حـتى يتم القرآن، وهذه أول مراحل التعليم، ويكون التلميذ فيها قد تعلم القراءة والكتابة وتستغرق هذه المرحلة من سنتين إلى ثلاث.

ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية ويظل تحت إشراف أستاذه، يعطيه دروسًا فى القراءة والكتابة، وموضوعات إنشائية سهلة تتدرج فيها من السهولة إلى الصعوبة، متمشيًا فى ذلك مع النمو العقلى للتلميـذ، ويكون التلميذ فى هذه السن على أبواب دور المراهقة وكل ما استفاده من هذه البرامج تحصيله للقرآن الشريف، فالتلميذ يستطيع أن يستغل ما حـفظه منه فى تعمير حياته الروحيـة، وتلاوته تكون سلواه وأنيسه، ويتخير من الآيات ما يتفق ونفسه، فيستعملها فى دعائه وعبادته وصلاته كل يوم، وتكون قواه العـقلية بهـذا التمرين قـد نشطت بوجه مـا، ويكون لسانه قـد تقوم واكتسب اللهجة العربية الفصحى. . وأظهر ما يبدو فى هذا الأسلوب التعليمى أنه لا يبدأ بتعليم القـواعد والتعاريف والكليات فى اللغة إلا بعد أن يـكون التلميذ قد تذوق هذه اللغة بنفسه، وتكونت فى عقله ملكة وذوق.

وأغلب المتـعلمين كانوا يـقفون عند هذا الحـد، ويتخـرجون فى سن الثـانية عشرة، وبعضهم كان يخطو إلى المرحلة الثالثة، يدرسون فيها علوم الدين من فقه وحديث وتوحيد إلخ، وفى الأحوال الاستثنائية كان بعض الأفراد يدرسون العلوم الطبيعية والرياضية.

والمتخرج مـا كان يحصل على شهادة يعتـرف بها رسميًا، وإنما كان يعـتمد على مجـهوده الشخصى وشـهرته وكفـاءته فى إلزام الناس بالاعتراف بوجـوده ومنزلته، وكان لا يصـدر للتـدريس إلا من مارس الفنون المتداولة بالأزهر، وتلقـاها من أفواه المشايخ، وصار متأهلاً للتصدر، حلاَّلاً للمـشكلات ومعضلات المسائل، فلا يحتاج لاستئذان إلا على جهة الأدب والبركة، وإنما يعلم بعض المشايخ والطلبة، فيحضرون

دروسه، ويتـراكمون علـيه، وهو يتأنق فى الابتـداء، ويتهـالك فى طريق الإغراب والتوغل، وقد يتعـصب عليه بعض الحاضرين ويتعنت، والبـعض الآخر ينتصر له، وإذا تلعثم فى إجابته لسائل ربما أقاموه ومنعوه من التصدر، وإذا عاد ربما ضربوه.

ولم يكن للأزهر شيخ منذ أن أنشىء إلى القرن العاشر، وإنما كان يتولاه الملوك والأمواء الذين كـانوا يهتمون بشـأنه، ويكرمون أهله، حتى إذا كان الـقرن الحادى عشر الهجرى جعل للأزهر شيخ، ومما يجمل ذكره أن شيخ الأزهر كان بمثابة شيخ الإسلام فى دار الخـلافة، فكان يقوم بشؤون الأزهر، ويرعى أمـور أهله، ويفصل فى قضاياهم، ويضـبط مرتباتهم، ويمثلهم لدى الحكومة، ومنوط به إقـامة شعائر الدين فى أنحاء القطر قاطبة.

وأول من تولى المشيـخة -كمـا قاله الجـبرتى- هو الإمام مـحمد بن عـبد الله الخرشى المالكى، وقـد توفى سنة ١١٠١هـ، وتولى بعده الشـيخ محمـد النشرتى وتوفى سنة ١١٢٠هـ، وجاء بعـده الشيخ عبـد الباقى المالكى القلينى، فلمـا مات تقلد بعده الشـيخ محمـد شنن المالكى المتوفى سنة ١١٣٣؛ ثم تولى بعـده الشيخ إبراهيم بن مـوسى الفيومى المالكى المـتوفى سنة ١١٣٧هـ، ثم تولى بعـده الشيخ إبراهيم الشـبراوى الشافـعى وتوفى سنة ١١٧١هـ، فتـولى المشيـخة بعـده الشيخ الحفنى المتوفى سنة ١١٨١هـ، ثم تولى المشيخة بعـده الشيخ عبد الرؤوف السجينى وتوفى سنة ١١٨٢هـ، ثم تولى بعده الشيخ أحمد الدمنهورى المذاهبى وتوفى بمنزله ببولاق سنة ١١٩٢هـ، وبعد وفاته حصل نزاع فى تولى المشيـخة بين الشيخين عبد الرحمن بن عمر العـريشى الحنفى وأحمد العروسى الشافعى مدة سبـعة أشهر، ثم آلت إلى الثانى وتوفى سنة ١٢٠٨هـ، فانتقلت المشيخة إلى الشيخ عبد الله الشهير بالشرقـاوى وهو الذى أنشأ رواق الشراقوة، وقـد دخل الفرنسيون مصـر فى أيامه وانتخبوه عضواً فى الديوانين: العمومى والخصوصى.

الأزهر وتاريخنا القومى:

قاد الأزهر ثـورتين هامتـين تعتـبران من أسبـق الثورات الدسـتورية العـالمية، إحداهـما كـانت بقيـادة أكبـر علماء ذلك العـصر وهو الإمـام أحمـد الدردير،

والأخرى بقيادة شيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمهما الله تعالى.

فالثورة الأولى سبقت إشارة لها وخلاصتها أنه فى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠هـ (يناير عام ١٧٨٦م) نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى أحمد سالم الجزار بالحسينية جهاراً نهاراً ظلمًا وعدوانًا. فثارت ثائرة الأهالى، وتشاوروا فيما يجب عليهم أن يفعلوه، واتفقوا أخيراً على الالتجاء إلى أقوى العلماء شخصية وأوسعهم نفوذًا، وهو الإمام الدردير، فاجتمع الأهالى فى اليوم التالى للحادث، ويمموا شطر الجامع الأزهر، وقصدوا الشيخ وأخبروه بالواقعة، فغضب الشيخ لاستهتار الأمراء وتعسفهم، ونادى فى الجماهير غير هياب ولا وجل: أنا معكم، وغدا تجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيذانًا بالاستعداد للقتال، وترامت الأخبار بين الأهالى، فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراك فى المعركة، وكان أخبار الجماهير الهائجة قد وصلت إلى إبراهيم بك، وبلغه تصميم الإمام الدردير على قيادة الشعب ضد الأمراء، وكان يعلم مقدار ما للشيخ من نفوذ ومكانة على الأهالى، فخشى أن يستفحل الأمر، ويؤدى إلى ضياع سلطته فى مصر، فأرسل نائبه ومعه أحد الأمراء إلى الإمام الدردير، واعتذر له عما حدث، ووعد بأن يكف أيدى الأمراء عن الناس. كما قرر توبيخ حسن بك شفت على صنيعه، وطلب قائمة بجميع ما نهبه ليأمره برد ذلك إلى صاحبه، وهكذا وضع الإمام قاعدة دستورية هامة، وهى احترام الحكم لإرادة المحكومين[1].

والثورة الثانية[2] تتلخص كما تقدم فى أنه فى شهر ذى الحجة عام (١٢٠٩هـ-١٧٩٥م) اشتكى فلاحو قرية من قرى بلبيس إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى من ظلم محمد بك الألفى ورجالهم، فبلغ الشيخ الشرقاوى الشكوى إلى كل من مراد

---

(١) مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٧٢ الأستاذ أحمد عز الدين خلف الله -والجبرتى طبعة بولاق جـ ٢ ص ١٠٣- ١٠٤.

(٢) الجبرتى جـ ٢ ص ٢٥٨، والأستاذ خلف الله فى مجلة الأزهر.

بك وإبراهيم بك، وخاطبهما فى كف أذى محمد بك الألفى عن الفلاحين فلم يفعلا شيئًا، فما كان من الشيخ الشرقاوى رحمه الله تعالى إلا أن عقد اجتماعًا فى الأزهر، حضره العلماء، وتشاوروا فى الأمر، فاستقر رأيهم على مقاومة الأمراء بالقوة، حتى يجيبوا مطالبهم، وقرروا إغلاق أبواب الجامع الأزهر، وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت استعدادًا للقتال.

وفى اليوم التالى: ركب الشيخ الشرقاوى ومعه العلماء، وتبعهم الجماهير، وسار الجميع إلى منزل الشيخ السادات يستشيرونه فى بدء المعركة، وكان قصر إبراهيم بك قريبًا من قصرالشيخ السادات، فراعه احتشاد الجماهير هناك، وعلم باجتماع العلماء عند الشيخ السادات، فبادر بإرسال أيوب بك الدفتردار يسأل عن مرادهم.

فقالوا له: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها.

فأجابهم قائلاً: لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات. فقالوا له: هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس، وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك، والأمير يكون أميرًا بالإعطاء لا بالأخذ!.

فقال لهم: حتى أبلغ وانصر ولم يعد لهم بجواب.

صمم العلماء فى هذ المجلس على أن يخوضوا المعركة مع الأمراء، فإما أن يستشهدوا أو ينالوا حقوق الشعب كاملة. وأعلنوا أهالى القاهرة بعزمهم. فتقاطرت الجماهير صوب الأزهر، وباتوا هم والعلماء داخل المسجد وحوله.

هال إبراهيم بك ما بلغه من احتشاد الشعب ومرابطته مع العلماء استعدادًا للقتال، فأرسل إلى العلماء يعتذر إليهم، ويبرئ نفسه ملقيًا التبعة على شريكه فى الحكم مراد بك، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ يقول: «أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطرى ومرادى»، وأرسل مراد بك يستحثه لعمل شىء، ويخيفه عاقبة الثورة، التى توشك أن تنفجر.

وفى اليوم الثالث للثورة توجه والى مصر إلى منزل إبراهيم بك، واجتمع مع أمراء المماليك، وقرروا إيجاد حل سريع حاسم، قبل أن يفلت الزمام؛ فتشتعل

الثورة، وأرسلوا إلى العلماء ليحضروا الاجتماع، فحضر الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير، وطال الحديث بينهم، وكان مداره حول حقوق الشعب، ولم يستطع إبراهيم بك ولا مراد بك ولا الأمراء المكابرة فى هذه المرة، فقد كانت القاهرة تغلى كالمرجل، وكانت أشبه ببركان يوشك أن يثور، وكان الشعب المتكتل فى الخارج يلوح مهدداً متوعداً، وانتهى هذا المجلس التاريخى بموافقة الأمراء والوالى على القرارات الآتية:

أولاً: لا تفرض ضريبة إلا إذ أقرها مندوبو الشعب.

ثانيًا: أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم.

ثالثًا: ألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع.

وكان القاضى الشرعى حاضر فحرر (حجة) تضمنت هذه القرارات وقع عليها الوالى، وختم عليها إبراهيم بك، وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضًا، وانحلت الأزمة، ورجع العلماء يحيط بكل منهم موكب من الأهالى وهم ينادون: حسب ما رسمه سادتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس باطله من مملكة الديار المصرية.

ولو تأملنا فى هذا النص الذى ساقه مؤرخ مصر الجبرتى ودققنا النظر فى قوله «حسب ما رسمه سادتنا العلماء» لوجدنا أن هذه العبارة الظاهرة تحمل مبدأ دستوريًا هائلاً: وهو أن الأمة مصدر السلطات.

وقد توافق رأى أكثر المؤرخين الفرنجة على هذه الحجة بمثاب وثيقة إعلان حقوق الإنسان، سبقت بها مصر غيرها.

وقد طبق وكلاء الشعب ويمثلهم العلماء والأعيان هذا المبدأ -مبدأ الأمة مصدر السلطات- على والى مصر خورشيد باشا، حين عجز عن ضبط الأمر فى البلاد، إذ عقدوا مؤتمرًا وطنيًا يوم ١٣ صفر عام ١٢٢٠هـ، وقرروا عزل الوالى. ولما رفض الإذعان لهذا القرار، قام العلماء والأعيان والشعب بتنفيذ قرار الأمة، ودارت رحا الحرب بينهم وبين الوالى، وكانت الأوامر خلال المعركة تصدر باسم

السيد عمر مكرم والعلماء بصفتهم وكلاء الأمة، وأجبروه أخيراً على الإذعان لقرار الأمة فى ٢٩ جمادى الأولى عام ١٢٢٩هـ.

هذا وقد سجل التاريخ للعلماء السابقين مواقف مجيدة فى الدفاع عن حقوق الشعب نذكر منهم الإمام شمس الدين محمد الحنفى المتوفى عام ٨٤٧هـ، والشيخ شمس الدين الديروطى الواعظ بالأزهر الشريف والمتوفى عام ٩٢١هـ، وشيخ الإسلام الإمام محمد بن سالم الحنفى المتوفى عام ١١٨١هـ.

❁❁❁

الشهاب الخفاجى المصرى

٩٧٥ - ١٠٦٩هـ

والده هو محمد بن عمر الخفاجى المصرى الشافعى أحد علماء عصره، وأعلام دهره.

وكان من الفضلاء والأدباء البارعين، المتعمقين المحققين المتقنين، وأخذ عن كبار الشيوخ، وتصدر للإفادة، فانتفع به جماعة من كبار العلماء، من جملتهم ابنه الشاعر العلامة الشهاب الخفاجى صاحب طراز المجالس، وسواه من المؤلفات القيمة.

وتوفى الخفاجى عام ١٠١٩هـ بعد حياة حافلة، وخدمات جليلة أسداها للعلم والأدب واللغة[١].

أما الشهاب الخفاجى[٢]:

فمجال الحديث عنه واسع، والمراجع التاريخية والأدبية عنه وعن حياته وشعره كثيرة.

وسأتناول جوانب هذه الشخصية الكبيرة فى إيجاز:

يقول ابن معصوم فى «السلافة» عنه:

---

(١) ٤١١ جـ٧ دائرة المعارف للبستانى، وورد فى هذا المرجع أن وفاته عام ١٠١١هـ وهو غير صحيح إذ قد ذكر الشهاب فى الريحانة فى ترجمته لخاله أبى بكر الشنوانى أنه توفى هو ووالده فى وقت واحد [١١٦ الريحانة]؛ وقد توفى خاله سنة ١٠١٩هـ.

(٢) ترجم لنفسه فى الريحانة [٢٧٢ - ٣٠٩]. وترجم له المحبى فى الجزء الأول من تاريخ خلاصة الأثر [٣٣١ - ٣٤٣]. كما ترجم له ابن معصوم فى سلافة العصر [٤٢٠ - ٤٢٧]، وأشار إلى كتابه الريحانة فى ص ٨ وأثنى عليه. وله ترجمة فى مصباح تاريخ أداب اللغة العربية ص٢٨٧ جـ٣.
وترجم له الأستاذ محمود مصطفى فى تاريخ الأدب العربى. وفى الجزء الثانى من المفصل ترجمة له [٣٠٨ - ٣١١]. وترجم له فنديل فى اكتفاء القنوع ص٣٥١. وترجم له البستانى فى دائرة المعارف ٥٨٧ جـ١٠ - كما ترجم له كثير من علماء الأدب فى شتى المؤلفات وله ترجمة فى عقد الجواهر والدرر فى أخبار القرن الحادى عشر للشلى (ص١٧٧ من التراجم الملتقطة منه والملحقة بآخر طبقات الشافعية للأسدى رقم ٢٤٠ تاريخ - تيمورية) وله ترجمة من كتابى بنو خفاجه الجزء الثانى ص٥٩ - ٧٣.

أحد الشهب السيارة، والمقتحم فى بحر الفضل لجته وتياره، فرع تهدل من خفاجة[١] وفرد سلك سبيل البيان ومهد فجاجه[٢]، إلى آخر ما يقول:

ويقول فنديل فى كتابه «اكتفاء القنوع»:

والخفاجى يرجع نسبه إلى قبيلة «خفاجة»، وسكن أبوه فى قطعة أرض بقرب سرياقوس شمالى القاهرة[٣]، وهى قبيلة عربية كبيرة كان لها دولة فى العراق، ومنها أمراء كثيرون.

وإذًا فالشهاب يرجع فى نسبه إلى بنى خفاجة على وجه التحقيق، كما رأينا فى هذه المصادر، وكما ورد فى سوى هذه المصادر.

وإذا كان المحبى فى خلاصة الأثر لم يحقق هذه النسبة واكتفى بقوله: خفاجة هى من بنى عامر، فلعل أصل والده منهم[٤]، فذلك لأنه لم يكن من علماء الأنساب، وكانت حياته بعيدة عن الحجاز ونجد وصميم القبائل العربية، ولم يكن من العرب الخلص، وغير العرب الخلص لا يهتمون بالأنساب ومعرفتها اهتمامًا كبيرًا.

والشهاب هو شهاب الدين محمود بن محمد بن عمر الخفاجى.

ترجم لنفسه فى الريحانة، فقال ما ننقله عنها فى إيجاز «كنت بعد سن التمييز، فى مغرس طيب النبت عزيز، فى حجر والدى. ومقام والدى غنى عن المدح، فلما درجت من عشى، قرأت على خالى سيبويه زمانه علوم العربية[٥]، ونافست

(١) هى قبيلته العربية التى ينتمى الشهاب إليها.
(٢) ٤٢٠ السلافة.
(٣) ٣٥١ اكتفاء القنوع.
(٤) راجع خلاصة الأثر ٣٤٢ جـ ومقدمة الجزء الأول من حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ص٧ حيث صدر بذكر ترجمة المحبى للشهاب فى كتابه خلاصة الأثر.
(٥) خاله هذا هو أبو بكر إسماعيل بن شهاب الدين، شهاب الدين الشنوانى القطب الربانى، وجده الأعلى ابن عم سيدى على وفا الشريف الوفائى التونسى، وكان أبو بكر علامة عصره فى جميع الفنون وكان فى عصره إمام النحاة. ولد بشنوان، ودرس فى القاهرة على ابن قاسم العبادى وعلى محمد الخفاجى والد الشهاب وأخذ عن كثير سواهما، وتخرج عليه كثير من العلماء وانتهت من إليه الرياسة العلمية، ولازمه وتخرج عليه ابن أخته الشهاب الخفاجى وسواه من أكابر العلماء، ثم ابتلى بالفالج فمكث فيه سنين لا=

إخوانى فى الجد والطلب، ثم قرأت المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب الأثنى عشر ونظرت فى كتب المذهبين: أبى حنيفة والشافعى. ومن أجل من أخذت عنهم: شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام الشمسى الرملى، وأجازنى بجميع مؤلفاته ومروياته بروايته عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى [توفى ٩٢٦هـ] وعن والده، ومنهم أحمد العلقمى[١] أخذت عنه الأدب والشعر، والعلامة الصالحى الشامى[٢] والشيخ داود البصير أخذت عنه الطب»[٣].

ثم ارتحلت مع والدى للحرمين وقرأت هناك على ابن جاد الله وعلى حفيد العصام وغيره.

ثم ارتحلت إلى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين، واستفدت وتخرجت عليهم، وممن أخذت عنه الرياضيات وقرأت عليه اقليدس وغيره أستاذى ابن حسن، ثم انقرض هؤلاء العلماء فى مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر ولا وآل الأمر إلى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء وإهانتهم. ولما عدت إليها -أى القسطنطينية- ثانيًا بعدما وليت قضاء العساكر بمصر رأيت تفاقم الأمر وغلبة الجهل، فذكرت ذلك للوزير، فكان ذلك سبب عزلى وأمرنى بالخروج من تلك المدينة[٤].

«فإن أردت مالى من المآثر فمن تأليفى: الرسائل الأربعون، وحاشية تفسير القاضى فى مجلدات، وحاشية شرح الفرائض، وشرح الدرة، وطراز المجالس، وحديقة السحر، وكتاب السوائح، والرحلة[٥]، وحواشى الرضى، والجامى،

= يقوم من مجلسه إلا بمساعدة وله عدة مؤلفات، وله شعر رواه فى الريحانة (١١٥ الريحانة) وتوفى سنة ١٠١٩ عقب طلوع الشمس من يوم الأحد ثالث ذى الحجة وبلغ من العمر نحو الستين ودفن بمقبرة المجاورين [راجع ترجمته فى الريحانة (١١٤ - ١١٧) وفى الجزء الأول من خلاصة الأثر (٧٩ - ٨١)، وفى الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا فى الكلام على شنوان (١٣٨ - ١٤٣)].

(١) ترجم له فى الريحانة ص١٩٥.

(٢) هو محمد بن نجم الدين الصالحى الهلالى م ١٠١٢هـ ٣-١٦م وله ديوان شعر اسمه «سجع الحمام فى مدح خير الأنام طبع فى القسطنطينية سنة ١٨٩٨ (٣٩٣ اكتفاء القنوع).

(٣) راجع ٢٧٢ الريحانة وترجم له فى الريحانة ص٢٠٥.

(٤) راجع ٢٧٣ الريحانة.

(٥) قرأه عليه تلميذ للشهاب اسمه عبد القادر وأجازه الشهاب بماله من التآليف والآثار وما رواه من مشايخه =

وشرح الشفاء وغير ذلك: ولى من النظم ما هو مسطور فى ديوانى؛ ومن المنثور رسائل منها: الفصول القصار[١] والمقامة الرومية[٢] التى ذكرت فيها أحوال الروم وعلمائها»[٣].

وللشهاب عدة مقامات نسج فيها على منوال مقامات الحريرى منها: مقامة الغربة[٤]، والمقامة الساسانية[٥]، ومقامة عارض بها مقامة الوطواط[٦]، والمقامة المغربية[٧].

«وله كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، وكتاب ديوان الأدب فى ذكر شعراء العرب، ذكر فيه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين، وله كتاب طراز[٨] المجالس، وهو مجموع حسن الوضع جم الفائدة، رتبه على خمسين مجلسًا، ذكر فيه مباحث لغوية ونحوية، وأصولية وتفسيرية، وله رسائل كثيرة ومكاتبات وافرة لم يجمعها، ومقامات ذكر بعضها فى ريحانته[٩].

«وكان لما وصل إلى الروم فى رحلته الأولى ولى القضاء ببلاد «الروم ايلى» حتى وصل إلى أعلى مناصبها فى زمان السلطان مراد، حتى اشتهر بالفضل الباهر، فولاه السلطان قضاء سلانيك فاستفاد مالاً كثيرًا، ثم أعطى بعدها قضاء مصر وبعدما عزل عنها رجع إلى الروم، فمر على دمشق وأقام بها أيامًا ومدحه فضلاؤها بالقصائد واعتنى به أهلها وعلماؤها، ودخل حلب إثر ذلك، ثم رحل

= الأخيار (راجع ٢٨٦ الريحانة) وعبد القادر هذا هو عبد القادر البغدادى نزيل القاهرة وتلميذ الشهاب وصاحب خزانة الأدب وتوفى سنة ١٠٩٣ (٣٦٠ فنديك).

(١) نسج فيها على منوال ابن المعتز وذكر منها جزءًا فى الريحانة (٢٨١ - ٢٨٥).

(٢) راجعها فى الريحانة ٢٧٦ - ٢٨١.

(٣) ص ٢٧٦ الريحانة.

(٤) راجعها فى الريحانة (٢٨٦ - ٢٩٠) وذكر شرحًا موجزًا لبعض ما فيها من معانى غريبة (راجع ٢٩٠ - ٢٩٢).

(٥) راجعها فى الريحانة (٢٩٢ - ٢٩٥).

(٦) راجعها فى الريحانة (٢٩٥ - ٢٩٨).

(٧) راجعها فى الريحانة (٢٩٨ - ٣٠٠) وشرحها فى الريحانة (٣٠٠ - ٣٠٩).

(٨) طبع فى القاهرة ١٢٨٤.

(٩) ٣٣٣ ج١ خلاصة الأثر.س

إلى الروم وكان إذ ذاك مفتيها يحيى بن زكريا فأعرض عنه، فصنع مقامته التى ذكرها فى الريحانة وتعرض فيها للمولى المذكور، فكان ذلك سبب نفيه إلى مصر وأعطى قضاء فيها، فاستقر بمصر، يؤلف ويصنف، وأخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل الباهر، منهم: منهم: عبد القادر والحموى وأخذ عنه والدى وكتب عنه أصل الريحانة الذى سماه «خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا»[1]، «وأصل والده من سرياقوس قرية من قرى الخانقاه»[2].

«ومنى الشهاب بعدواة بعض شعراء عصره[3]» «وتوفى سنة ١٠٦٩هـ - ١٦٥٨م»[4] فى رمضان وعمره فوق التسعين»[5]. وإذا يكون ميلاده حوالى سنة ٩٧٥هـ.

مكانته العلمية:

«الشهاب الخفاجى الحنفى قاضى القضاة المصرى وصاحب التصانيف الكثيرة وأحد الأفراد المجتمع على إمامته وتفوقه وبراعته فى عصره»[6].

أجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصر نيلها وبالشام سيحانه، وأهدى لأرباب الأدب من رياض أدبه أطيب ريحانة[7].

وكان أحد أفراد الدنيا المجمع على تفوقه، وكان فى عصره بدر سماء العلم، ونير أفق النثر والنظم، رأس المؤلفين ورئيس المصنفين، سار ذكره مسير المثل، وطلعت أخباره طلوع الشهب فى الفلك، وكل من رأيناه أو سمعنا به ممن أدرك وقته معترفون له بالتفرد فى التقرير والتحرير وحسن الإنشاء، وليس فيهم من يلحق شأوه، ولا يدعى ذلك. وتآليفه كثيرة مقبولة، وانتشرت فى البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها، وأشعاره ومنشآته مسلمة لا مجال

(١) ٣٣٣، ٣٣٤ ج١ خلاصة الأثر.
(٢) ٣٤٣ ج١ خلاصة الأثر.
(٣) ٤٢٧ السلافة لابن معصوم.
(٤) ١١٥ فنديك.
(٥) ٥٨٨ ج١٠ البستانى.
(٦) ٥٨٧ ج١٠ البستانى.
(٧) ٤٢٠ السلافة لابن معصوم.

للخدش فيها. والحاصل أنه فاق كل من تقدمه فى كل فضيلة، وأتعب من يجىء بعده مع ما خوله الله من السعة وكثرة الكتب ولطف الطبع والنكتة والنادرة[١]».

وهذا يغنينا عن كل كلام فى بيان منزلة الشهاب الخفاجى فى عصره وبعد عصره.

ثقافة الشهاب:

أما ثقافة الخفاجى الأدبية فواسعة جدًا منها الريحانة وطراز المجالس أحد مؤلفاته ويدلنا عليها أيضًا شعره ومقامته؛ ولقد كان الخفاجى متضلعًا فى علوم اللغة والأدب والبلاغة إلى حد بعيد.

وأما ثقافته الدينية فقد أهلته لتولى عدة مناصب قضائية عظيمة منها منصب قاضى القضاة المصرى.

وأما ثقافته العامة الأخرى فواسعة جدًا كما تنبئنا عنها آثار الخفاجى، وكما ذكر فى ترجمته لنفسه، وكانت له مكتبة مشهورة، وذكر بعضهم أنه وجد فى مخلفاته عشرة آلاف مجلد.

نثره:

عاش الخفاجى فى آخر عصر المماليك حيث الملكات الأدبية فى اضمحلال وفناء، والإنتاج الأدبى فى الشعر والنثر سقيم مرذول؛ ولكن الخفاجى مع هذا كله سليم العبارة، قوى الملكة، حتى الأسلوب بليغ الأداء، يسير كلامه مع الطبع والذوق ولا تنبو عنه الإسماع ولا الأذواق، فهو فى نثره ورسائله ومقاماته وكتبه الأدبية التى زلفها -زعيم عصره فى هذا المذهب الأدبى المطبوع المقبول البعيد عن أثر الصنعة والتكلف أو الحوشية والإغراب أو السوقية والابتذال.

شعره:

للخفاجى ديوان شعر مفقود ذكره فى الريحانة وقد عثرنا بعد ذلك على نسخة خطية منه بمكتبة الأزهر (بنمرة ٥٠٥ خصوصية أدب) وله عدا ذلك شعر كثير جدًا ذكره فى كتابه الريحانة وفى كتابه طراز المجالس.

---

(١) ٣٢١، ٣٣٢ ج١ خلاصة الأثر للمحبى م ١١١١هـ وص٧ ج١ من حاشية الشهاب على البيضاوى.

وله مقصورة فى مدح النبى صلوات الله عليه عارض بها مقصورة ابن دريد وقصائد فى هذا المعنى ضمن مجموعة مخطوطة بدار الكتب (٧٦ مجاميع[١]) ومقصورته فى مدح النبى عارض بها مقصورة زهير بن أبى سلمى ضمن ترجمة له وعدة أشياء أخرى من آثاره ألحقت بكتاب خبايا الزوايا المخطوط[٢] وروى المحبى فى خلاصة الأثر بعض شعره، قال[٣]: ومن أجود شعره قصيدة دالية مشهورة:

قدحت رعود البرق زندا	أضرمن أشجانا ووجدا
فى فحمة الظلماء إذ	مدت على الخضراء بردا
حتى تثاءب نوره	وتمطت الأغصان قدا
وعلى الغدير مفاضة	سردت له النسمات سردا
وحبابه من فوقه	قد بات يلعب فيه بردا
فسقى معاهد بالحمى	قد أنبتت حبا وودا
تذر الليالى فى ثرى	من عنبر للمسك أهدى
عجبا لدر ناصع	أودعن فى مسك مندى
فى ظل عيش ناعم	بنسيم أسحار تردى
والدهر عبد طائع	أهدى لنا شرفا وسعدا
مازال أصدق ناصح	كم قال هزلا وجدا
سلم امرؤ عن طوره	فى كل حال ما تعدى
فالخطب بحر زاخر	فاصبر له جزرا ومدا
فى ذمة الأيام للأحـ	ـرار دين قد يؤدى

(١) راجع الجزء الثلث من فهرس دار الكتب حيث قال: «قصائد الخفاجى ١٠٦٩٢» وذكر فيها ميمته التى عارض بها معلقة زهير، ومقصورته التى عارض بها ابن دريد، وخمس قصائد أخرى فى مدح الرسول.

(٢) بالدار [٨٤ و١٣١٢، ٤٦٩٧] أدب.

(٣) ٣٣٦ وما بعدها ج١ خلاصة الأثر.

إن مـــــاطلــت فلـربما ... أنجـــزن بعـــد المطل وعـــدا

فـــــإذا رمى طـأطـىء لـه ... رأســـا تـراه عنـك عـــدى

أفـبــعـــد إخـــوانى الألى ... درجـــوا أخـاف اليـــوم نقـــدا

عـيـنى إذا اسـتـسـقت بـهم ... تـســقى بدمع العين خـــدا

لو كـــانت القطرات تجـمـــد ... نظـمت فى الجـيـــد عـقـــدا

قـــوم لـهـم يدعـــو الثنا ... مـن شـــاسع الأقـطار وفـــدا

كـم مـــن عـكـاظ نـديـهـم ... جلبـــوا لـهم شكـرا وحــمـــدا

لا يـشـــتـــرون بـذخـــرهـم ... إلا جـــمـــيل الـذكـــر نقـــدا

أبقـى لهـم حــســن الحــديث ... بـرغـم أنـف الــدهـر خـلـدا

ورثـوا المـكـارم كـــابـرا ... عـن كـــابر فـــرضـــا وردا

مـن كـل طـود شـــامـخ ... مـتـــســربـل براده مـجـــدا

أمـــست عـيـــونا كلهـــا ... ترنـو إلى الأعـــداء حــقـــدا

تـلـقـى الـورى بـنـديـهـم ... نكـس العـيـــون إذا تـبـــدَّى

لبـس الجـــلال على الجـمـــال ... فـــصـــد عنه الطـرف صـــدا

فـهـمـو بسـلطان التـقى اتخـذوا ... قـلـــوب الـنـــاس جـنـــدا

أمـســـوا بغـمـــد ريحــــهـم ... وبقـيـت مـثـل السـيف فـــردا

مـــالى أقـــيـم ببلـدة ... فـيـــهـــا بناء الـدين هـدا

ونهـــا الـشـهـــاب إذا ســمـــا ... يـخـــشـى مـن السـلطان طـردا

وستأتى نماذج صغيرة من شعره.

مؤلفات الخفاجى:

١- الريحانة واسمها «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» ويقـول فيها الـشهاب

ذخائر من «خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا»[١] وقد سار عليها هذا الإسم أيضًا[٢].

وهى تراجم أدبية واسعة لشعراء القرن الحادى عشر وأدبائه وعلمائه فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب، قسمها عدة أقسام:

فالقسم الأول فى تراجم أهل الشام ونواحيها.

والقسم الثانى فى تراجم العصريين من أهل المغرب وما والاها.

والقسم الثالث فى تراجم مكة ومن بحماها ذكر فيه الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والأعيان.

والقسم الرابع فى ترجمة أهل اليمن ممن بلغه خبره فى هذا الزمان ممن بقى بها من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد.

والقسم الخامس فى الترجمة لأدباء وعلماء مصر.

والقسم السادس فى الترجمة لنفسه.

وقد أثنى عليها كل العلماء ورجال الأدب ويقول فيها ابن معصوم:

«أهدى إلى من مكة المشرفة كتاب ريحانة الألبا تأليف العلامة النحرير. شهاب الدين الخفاجى وهو الشهاب الذى أضاء نور فضله فى هذا الزمن الداجى، فرأيته قد أجاد فيما ألف وتكفل بالمقصود وما تكلف فلله كتابه من ريحانة تنفست فى ليلها البارد وعطرت معاطس الإسماع بطيب نشرها الوارد حتى خاطبها كل كلف بالأدب راح لعرفها منتشقًا إلخ»[٣].

«وقد بنى الخفاجى الريحانة على التراجم ولكنه توسع فى تراجم الشعراء فشرح أقوالهم ونقد ما يستحق النقد منها وهو كتاب أدب وتاريخ جليل الفائدة»[٤].

---

(١) ص٦ من الريحانة.

(٢) ولكن للشهاب آخر بهذا الاسم سنذكره عما قليل.

(٣) ص ٨ من السلافة.

(٤) ٢١٠ ج٢ الأدب العربى لمحمود مصطفى.

وقـد ذيلها المحـبى صـاحب خلاصـة الأثر م ١١١١هـ بكتـاب سمـاه «نفحـة الريحانة» وقـد طبعت الريحـانة فى مصـر سنة ١٢٩٤هـ فى ٣٢٨ صفـحة وهذه الطبعة المذكورة هى التى نقلنا منها ما ذكرناه عن الشهاب ثم طبعت مرة أخرى سنة ١٣٠٦هـ فى ٤٣٢ صفحة.

٢- حديقة السحر أشار إليه الشهاب فى الريحانة[١].

٣- الفصول القصار وأشار إليه الشهاب فى الريحانة[٢].

٤- الشهب السيارة[٣].

٥- طراز المجالس كتاب أدب ولغة بناه على خـمسين مجلسًا (أى درسًا) بحث فيها كثيرًا من موضوعات البلاغة والنقد والأدب واللغة والتفسير والحديث والتاريخ وسواها وقد طبع فى القـاهرة سنة ١٢٨٤ وطبع بطنطا طبعة أخرى وقـد أشار إليه الخفاجى فى الريحانة[٤].

٦- خبـايا الزوايا فـيمـا فى الرجال من البـقايا، وهو من كـتب الأدب ولكنه متضمن تراجم من أهل عصره فيهم شيوخه وشيوخ ابنه وعددهم يزيد على سبعين ومنه عدة نسخ خطية بدار الكتب[٥]؛ وهو خمسة أقسام وخاتمة: الأول فى رجال الشام والثانى فى رجـال الحجاز والثالث فى رجال مصـر والرابع فى رجال المغرب والخامس فى رجال الروم[٦].

٧- شفـاء الغليل بما فى كلام العرب من الدخـيل، صدره بمقدمة فى التـعريب وشروطه ثم أورد الكلمات المعربة مرتبة على حروف المعجم وبين أصلها فى لغاتها الأولى وكـان يأتى بين هذه الألفاظ بكـثيـر من المحرف والمولد مع الإشـارة إلى

---

(١) راجع ص٢٠ و٣٨ و٣٧٦.

(٢) راجع ٢٧٦ و٢٨١.

(٣) راجع ١١٩ الريحانة.

(٤) راجع ص٢٧٦.

(٥) ٣/٣١٠ الأدب العربى لمحمود مصطفى، ٣/٩٢ فهرس الدار (وهى بنمرة [٨٤ و١٣١٢، ٤٦٩٧ أدب بدار الكتب].

(٦) والخاتمة فى نظم المؤلف وشعره، وقد فرغ من تأليفه فى ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٠٤٢ ويليها ترجمة للمؤلف وقصيدة نوبية عارض بها معلقة زهير.

أصلهمـا والكتاب نافع عظيم الفـائدة فى بابه[١] وقد طبع الشـفاء فى مـصر سنة ١٢٨٣ فى ٢٤٥ صفحة ثم طبعته دار الكتب أخيرًا فى مجلد كبير الحجم.

٨- شرح درة الغواص فى أوهام الخواص، وهو نقد شديد للحريرى تعقبه فى كل ما أورده فى «درة الغواص»، ورد عليه بحـجج وشواهد قوية، وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة الجواكب بالقسطينطينية من مدة كبيرة[٢].

٩- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى سماها «عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى» طبعت فى ثمانية أجزاء ببولاق سنة ١٢٨٣هـ، فالجزء الأول والثانى فى تفسير البقرة، والثالث والرابع إلى آخر التوبة.

والخامس والسادس إلى آخر الفرقان.

والثامن هو نهاية هذا الكتاب.

وقد طبع بتصحيح محمد الصباغ فى عهد الخديوى إسماعيل عام ١٢٨٣هـ وفى آخر الجزء الثامن قصيدة للسيد عبد الهادى نجا تقريظًا للكتاب.

وفى مقدمة الجزء الأول منه تقريظ للشيخ محمد الدمنهورى.

١٠- وللخفاجـى شرح للشفاء سمـاه «نسيم الرياض فى شرح شفـاء القاضى عياض» وقد طبع فى أربعة أجزاء فى القسطنطينية سنة ١٢٦٧هـ.

١١- ومن مؤلفاته: كتـاب الرحلة، وكتاب السوانح[٣] وكتاب حديقة السحر، وكتاب الرسائل الأربعون، وكتاب حاشـية شرح الفرائض، وكتاب حواشى الرضى والجامى؛ مما ذكرناه سابقًا.

١٢- وللخفـاجى ديوان شعر، وله عدة مـقامات ورسـائل أوردها فى الريحانة وقد ذكر جورجى زيدان أن فى الخزانة التيمـورية نسخة من ديوان الشهاب فى نحو ٣٠٠ صفحة بخط المؤلف على الأرجح.

---

(١) راجع ٣٠٨/ ٣، الأدب العربى لمحمود مصطفى.

(٢) وللألوسى م ١٢٧٠ ه مفتى بغداد كـتاب على الدرة سماه كشف الطرة عن الغرة أخذ فيـه كثيرًا عن شرح الخفاجى ووافقه فى كثير من نقده للحريرى.

(٣) ومنه نسخة خطية بمكتبة الأزهر [نمرة ٦٥٣ خصوصية أدب]، وفى المكتبة أيضًا نسخة خطية من ديوانه [بنمرة ٥٠٥ خصوصية أدب] وستتولى نشرهما بمشيئة الله ونشر كتابه وخبايا الزوايا» وذلك إذا وفق الله وأراد.

وله قصائد مختلفة فى برلين والمكتبة الخديوية.

وله كتاب ريحانة النار أو ذوات الأمثال يتضمن كل بيت مثلاً وهو فى باريس.

وقد ذكرنا أن له ابنا ترجم الشهاب لشيوخه فى كتابه خبايا الزوايا، وليس لدى الآن شيء عن تاريخ ابنه، وقد بقيت ذرية الشهاب فى شنوان حتى العصر الحديث، فقد جاء فى الخطط التوفيقية فى الكلام عن[1] شنوان ما يأتى:

ومن ذرية الشيخ شهاب الدين المتقدم ذكره عبد الفتاح أفندى صبرى (الخفاجى) تربى بالمهند سخانة الخديوية، ثم نقل من هذه المدرسة فى أواخر سنة ١٢٦٩ إلى آلاى المهندسين للحصول على التعليمات والفنون الحربية، ثم ترقى إلى ملازم ثانى بآلالاى المذكور، ثم نقل إلى هندسة الاستحكامات بقلعة القناطر، وبلغ فيها رتبة اليوزباشى، والآن -أى سنة ١٢٩٢هـ هو رئيس هندسة القناطر الخيرية برتبة صافول أغاشى.

ووالده أصله من سرياقوس، وكل ما أستنتجه من هذا، أن أم الشهاب كانت من شنوان[2] وهى إحدى قرى المنوفية وأقام بأرض له بجوار سرياقوس، وإن الشهاب كان له ذرية كبيرة بقيت إلى العصر الحديث.

وأخيراً فإن التراث العلمى والأدبى للشهاب الخفاجى كبير ضخم وعظيم خالد وهو فى حاجة إلى البحث عنه والعناية به.

رحم الله الخفاجى وطيب ذكراه وأكرم مثواه فلقد خدم الدين والعلم والأدب أجل الخدمات.

---

(١) ١٣٨ - ١٤٣ ج٢ الخطط.

(٢) لشنوان حديث فى المجد والتاريخ طويل وقد ذكر الجبرتى عنها فى حوادث سنة ١٢٢٣هـ أن منها الفقيه العلامة محمد الشنوانى الشافعى الأزهرى شيخ الإسلام بعد موت الشيخ الشرقاوى وقد تولى المشيخة عام ١٢٢٧هـ وتوفى فى ٢٤ من المحرم سنة ١٢٣٣هـ [١٣٥ - ١٣٧ كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر] وقد يكون هذا الإمام العالم العظيم من أحفاد الشهاب ومن شنوان خرج أيضًا كثير من العلماء والأدباء والشعراء.

نماذج من شعره:

١- أرح طف عين جفاها الهجوع   فإن عناء الجفون الدموع

حسيت كؤوس الهوى سحرة   وساقى المنى لمرادى مطيع

إلى حين غابت نجوم الهدى   فكان لها فى عذارى طلوع

تقنعت بالوصل من طيفه   وكل محب لعمرى قنوع

ولى عنده حاجة للهوى   وليس لها غير ذلى شفيع

رهنت فؤادى على حبه   فما باله لفؤادى يضيع

تقيل المحاسن فى ظله   وماء الجمال عليه يشيع

٢- قلت للندمان لما   مزقوا برد الدياجى

قتلتنا الراح صرفا   فاقتلوها بالمزاج

٣- ومن شعره

لا وغصن راق للطرف ورق   وعليه حلل الظرف ورق

وشموس لم تغب عن ناظرى   والشعور الليل والخد الشفق

وعيون حرمت نومى وما   حللت لى غير دمعى والأرق

وله أيضًا

ما احمرار الراح إلا خجل   من رضاب سكرت منه الحدق

فجعلت أيام الوصال قصيرة   ولبست ليلا للهموم طويلاً

٤- وله[1]:

سلا بانة الوادى لدى المنزل الرحب   متى فقدت غر المناقب من صحبى

فهل لى فى حماها نفحة عنبرية   فقد استودعتها الريح من نفس الركب

وهل بين أطلال الرسوم ونؤيها   حمائم بان فى الربى طيرت لبى

---

(١) ١٢٤ الريحانة.

وهل من عـهـود قـد تـقـضت بقـيـة يوفى بهـا حـقى ويقضى بـهـا نحـبى

سـقى الله عـــهـداً للأحـبـة صـيـبـا من الطرف تغنيـه عن الوابل السكب

وهيف غـصون جـادها هاطل الغنى فـتنبت أوراقًـا من الشـجـر القـضب

وكل خـليل رقـرق الـود صـافـيـا فكل مـلام فى مـحـبـتـه يصـبى

أصــدق فـيــه الظن من ضنـتى به على كل شىء قد عرفت سوى قلبى

ومـا ذاك مـن سـوء الفـعـال جـبلة فكم جاء سـوء الظن من شدة الحب

وبعد: فـشعر الخفـاجى كثيـر، وقوى الأسلوب، واضح المعنى، كثـير ألوان الخيال، ينم عن ثقافة صاحبه وعقليتـه وشخصيته؛ والخفاجى ولا شك بين شعراء القرن الحادى عشر الهجرى زعيم الشعر والشعراء.

❁❁❁

الفصل الثامن
الأزهر بعد الحكم العثمانى

الأزهر والغزو الفرنسى لمصر:

بعد دخول نابليون بونابرت القاهرة جمع العلماء، وطلب إليهم اختيار عشرة مشايخ لتأليف ديوان منهم، فوقع اختيارهم على هؤلاء المشايخ العشرة: عبد الله الشرقاوى، خليل البكرى، مصطفى الصاوى، سليمان الفيومى، محمد المهدى الكبير، موسى السرسى، مصطفى الدمنهورى، أحمد العريشى، يوسف الشبراخيتى، محمد الدواخلى، ثم اختار هؤلاء رئيسًا لهم الشيخ الشرقاوى، واحتفل بونابرت بافتتاح الديوان وأكرم أعضاءه، وأمر المصورين بأخذ صورة كل منهم على حدة. وهذه الصور ما تزال محفوظة فى معرض فرساى، وهو أول ديوان وطنى، ويعتبر فاتحة السلطة النيابية الانتخابية.

وفى ثورة القاهرة على الفرنسيين ضرب الأزهر بالمدافع، وتتابع الرمى من القلعة وتلال البرقية، حتى تزعزعت الأركان، وهدمت حيطان الدور، فركب المشايخ إلى كبير الفرنسيين، ليرفع عنهم هذا النازل، ويكف عسكره عن الرمى، فعاتبهم فى التقصير فاعتذروا إليه، فقبل عذرهم، ورفع عنهم الرمى، وقاموا من عنده ينادون بالأمان فى المسالك والطرقات.

وبعد الحادثة السابقة ثارت فتنة بين أهل الحسينية والعطوف وبين الإفرنج وتراموا، ولم يزل الرمى بين الطائفتين حتى فرغ من الطائفة الأولى بالبارود، فأثخنهم الفرنج بالرمى المتتابع، وبعد هجعة من الليل دخل الفرنج المدينة، ومروا فى الأزقة والشوارع، وهدموا ما وجدوا من المتاريس، وانتشروا فى الطرقات، وتراسلوا رجالاً وركبانًا. ثم دخلوا الجامع الأزهر راكبين على خيولهم، وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة، وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة، ونهبوا أمتعتهم، ودشتوا الكتب والمصاحف، وطرحوها على الأرض، وداسوها بأرجلهم ونعالهم، وبالوا عليها وتغوطوا فيه،

وجردوا كل ما وجدوه به وأخرجوهم وأصبحوا مصطفين بباب الجامع، وكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا، ونهبوا بعض الدور التى بالقرب من الجامع، وخرج سكان تلك الجهة يهرعون للنجاة بأنفسهم، وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع، وبقى الأمر كذلك يومين قتل فيهما خلائق لا تحصى، ونهبت أموال لا تستقصى، فركب المشايخ بأجمعهم، وذهبوا إلى بيت سر عسكر الفرنساوية وطلبوا منه الأمان، فوعدهم مع التسويف، وطلب منهم بيانًا بمن تسبب فى إثارة الفتنة من المعممين فغالطوه، فقال لهم على لسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد، فرجوه فى إخراج العسكر من الجامع الأزهر، فأجابهم لذلك وأمر بخروجهم وأسكن منهم نحو السبعين فى الخطة، ثم فحصوا عن المتهمين، فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان، والشيخ أحمد الشرقاوى، والشيخ عبد الوهاب الشبرواى، والشيخ يوسف المصيلحى، والشيخ إسماعيل البراوى، وحبسوهم ببيت البكرى، ثم ركب الشيخ السادات والمشايخ إلى بيت سر عسكر وتشفعوا فى المسجونين، فقيل لهم: لا تستعجلوا، وبعد أيام حضر جماعة من عسكر الفرنسيين إلى بيت البكرى نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين عند سر عسكر ليتحدث معهم، فذهبوا بهم إلى بيت قائمقام بدرب الجماميز، وهناك جردوهم من ثيابهم، وطلعوا بهم إلى القلعة فسجنوهم إلى الصباح، ثم أخرجوهم وقتلوهم بالبنادق وألقوهم خلف القلعة.

ولما توجه بونابرت إلى الشام بعد استيلائه على مصر؛ استولى على مدينة العريش وغزة وخان يونس، وورد الخبر إلى مصر، فعمل الفرنساويون حصارًا وضربوا عدة مدافع من القلعة والأزبكية، وحضر عدة منهم راكبين الخيول، وبعضهم مشاة، وعلى بعضهم عمائم بيض، ومعهم نفير ينفخون فيه، وبيدهم بيارق كانت عند المسلمين بقلعة العريش، إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر واصطفوا ببابه رجالاً وركبانًا، وطلبوا الشيخ الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر، وأمروه برفع تلك البيارق على منارات الجامع الأزهر، فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبير ذات الهلالين وعلى منارة أخرى بيرقًا وضربوا عدة مدافع بهجة وسرورًا، وكان ذلك ليلة عيد الفطر، وعند الغروب ضربوا مدافع إعلامًا بالعيد.

وفى افتتاح محرم سنة ١٢١٥هـ وقعت حادثة عجيبة، وهى أن سر عسكر الفرنساوية كليبير كان واقفًا فى بستان داره بالأزبكية، وفى صحبته أحد خواصه فدخل شخص يوهم أن له حاجة وضربه بخنجر فشق بطنه وفر هاربًا، ففتشوا عليه حتى أخرجوه من بئر فوجدوه شاميًا، فسألوه فخلط فى كلامه فعاقبوه، وحرقوا يديه بالنار فقال لهم لا تظلموا أهل مصر، فأنا من جملة جماعة بعنا أنفسنا للموت، واتفقنا على قتل رؤسائكم، فقيل له أين كنت تأوى فقال عند فلان وفلان برواق الشوام بالأزهر، ولا يدرون حالى، فأحضروا الشيخ الشرقاوى والعريشى، وألزموهما بإحضار الذين كان يأوى إليهم وهم أربعة، ثم ركبوا إلى الأزهر، وصحبتهم أغوات الانكشارية، وقبضوا على ثلاثة، ولم يجدوا الرابع، ثم أخذوا المقتول وألبسوه برنيطة، ووضعوا معه الخنجر الذى قتل به، وحملوه على عربة إلى تل العقارب، حيث القلعة التى بنوها هناك، وضربوا له المدافع، واحضروا القاتل وضربوا رقاب الشوام الثلاثة المظلومين، وحرقوا جثثهم، ورفعوا رؤوسهم على خوازيق، ثم وضعوا قتيلهم فى تخشيبة، وضعوا عندها عسكرا يتناوبون ليلاً ونهاراً وخلفه مينو وأظهر أنه أسلم وتسمى بعبد الله، وحضر قائمقام والأغا إلى الأزهر وشقوا فيه وفى أروقته، وأرادوا نبش أماكن للتفتيش على السلاح، وأخذ المجاورون فى نقل أمتعتهم وإخلاء الأروقة، ونقلوا كتب الوقف، ثم أنهم كتبوا أسماء المجاورين فى قائمة، وأمروهم أن لا يأووا آفاقيًا مطلقًا، وأخرجوا منه الأتراك بالكلية، وفى اليوم نفسه توجه الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى إلى عسكر مينو، واستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره، فتكلم بعض القبط، وقال هذا لا يصح فحنق عليه الشيخ الشرقاوى، وقال اتركونا يا قبط واكفونا شر دسائسكم، وقصد الشيخ منع الريبة، فإنه ربما دسوا من يبيت به، واحتجوا بذلك على إنجاز أغراضهم ولا يمكن الاحتراس من ذلك لكثرة أبواب الجامع واتساع زواياه، فأذنوا لهم بذلك وسمروا أبوابه، وكذا سمروا مدرسة محمد بك المقابلة له، وأخرجوا منها الأتراك واستمرت الشدة والازعاج إلى أن أخذ الفرنساويون فى الجلاء من الديار المصرية. . وفى غاية محرم سنة ١٢١٦هـ فتح الجامع الأزهر، وكذلك المدرسة وفرح الناس فرحًا شديدًا وهنأ بعضهم بعضًا.

وفى صفـر سنة ١٢١٩هـ فرض على أرباب الحرف والصنائع خـمسمـائة كيس فضجـوا مع ما هم فيه من وقف الحال، وأصبـحوا لم يفتحوا الدكاكـين، وحضر منهم طائفة إلى الجامع الأزهر، ومر الأغا والوالى ينادون بالأمان وفتح الدكاكين، وفى ثانى يوم تجمع الكثير من غوغاء العامة والأطفال ومعهم طبول، وصعدوا إلى منارات الجـامع الأزهر يصـرخـون ويطبلون، وتحلقـوا بمقـصورة الجـامع يدعـون ويتضرعون، ووصل الخـبر إلى الباشا، فأرسل إلى السيد عـمر مكرم النقيب يقول إنا رفعنا عن الفقـراء فقال السيد عمر إن هؤلاء الناس وأربـاب الحرف كلهم فقراء وكفاهم ما هم فيه من القـحط ووقف الحال، فكيف تطلب منهم مغارم الجوامك؟ فرجع الرسول بذلك، ثم عـاد بفرمان يتضمن رفع الغـرامة عن المذكورين، ونادى المنادى بذلك فاطمأن الناس، وتفرقوا إلى بيوتهم، وخرج الأطفال يفرحون.

وفى صفر سنة ١٢٢٠هـ أكلت العسكر الدلانية الزرع، وخطفوا ما صادفهم من الفلاحين والمارين، وأخذوا النساء والأولاد بلا فساد، فـحصر سكان مصر القديمة نساء ورجـالاً إلى الجامع الأزهر يستـغيثون ويخـبرون أن الدلاتية أخـرجوهم من ديارهم، وأخذوا أمتـعتهم ونساءهم، فـخاطب المشايخ الباشـا فى أمرهم، فكتب للدلاتية بتـرك الدور لأهلها، فلم يمتثلوا، فـاجتمع المشايخ بالأزهـر وتركوا قراءة الدروس وخرجت الأولاد الصـغار يصرخون فى الأسـواق، فأرسل الباشا كـتخدا إلى الأزهر، فلم يجد به أحدًا، وكان المشايخ انتقلوا إلى بيوتهم، فذهب إلى بيت الشرقـاوى، وحضر هناك السـيد عمر مكرم وخـلافه، فكلموه وأوهمـوه، ثم قام وانصرف فرجمه الأولاد بالحجارة، وبقى الأمر على السكون أيامًا.

لقد قـاد الأزهر الحركـة الوطنية ضـد الفرنسـيين والطغـاة، وكانت له زعـامة الشعب، وقيادة الحركة العقلية والعلمية فى البلاد.

جهاد الأزهر الوطنى فى الحملة الفرنسية وما بعدها:

مرت مصر[١] خلال هذه الفترة بأحداث مثيرة، استدعت بذل ضروب عالية من التضـحية، وقـد خاض الأزهر غمـار هذه الحوادث، واسـتجاب زعـماؤه لداعى الوطن، باذلين ما فى وسعهم من تضحيات فى سبيله.

---

(١) راجع الأزهر عدد ربيع الأول ١٣٧٣ – الأستاذ أحمد عز الدين خلف الله.

فلم تكد تستقر الحملة الفرنسية فى القطر المصرى فى صفر ١٢١٣هـ (يوليه ١٧٩٨م)، حتى نفر الشعب وزعماؤه دفاعًا عن كرامة الوطن وحريته، فقامت الثورات فى جميع أنحاء القطر، لطرد المستعمرين من البلاد. وكانت القاهرة مركزًا لثورتين مهمتين: الأولى فى جمادى الأولى ١٢١٣هـ (أكتوبر ١٧٩٨) وعلى رأسها الشيخ السادات، وكان رئيسًا لمجلس الثورة. والثانية فى ٢٣ شوال ١٢١٤هـ (٢٠ مارس ١٨٠٠) وعلى رأسها زعيم العلماء فى ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف. وقد استعمل الفرنسيون جميع أنواع القسوة لكبت الشعور القومى والقضاء على المقاومة الأهلية، ولكنهم لم ينجحوا فى خطتهم، وانتهى الأمر بفوز المقاومة الأهلية، وجلاء الغاصبين عن أرض الوطن.

فبعد ثورة القاهرة الأولى فى ٩ جمادى الأولى ١٢١٣ (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨) وجه نابليون نظره إلى الأزهر، إذ كان يعلم أنه المعسكر العام للثورة، فقبض على زعماء الحركة، وأصدر أمره إلى الجنرال بون قومندان القاهرة بأن يأخذهم ليلاً إلى شاطئ النيل -ما بين مصر القديمة وبولاق- حيث يعدمهم، ثم يلقى بجثثهم فى النهر. وبهذه الطريقة خفى علينا تاريخ كثير من المجاهدين الذين استشهدوا فى هذه الثورة.

أما الذين حوكموا رسميًا من العلماء باعتبارهم من زعماء الثورة فهم:

الشيخ إسماعيل البراوى والشيخ أحمد الشرقاوى وكانا يقومان بالتدريس فى الأزهر، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى، وكان يقوم بقراءة كتب الحديث كالبخارى ومسلم فى المشهد الحسينى، والشيخ يوسف المصيلحى وكان يقوم بالتدريس فى جامع الكردى، والشيخ سليمان الجوسقى وكان من العلماء المشهورين بشدة السطو والبأس، وكانت محاكمتهم سرية وقد حكم عليهم بالإعدام فى يوم ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ (٣ نوفمبر ١٧٩٨).

وفى الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٨ جمادى الأولى (٤ نوفمبر) أخرجوا من سجنهم إلى القلعة حيث تلى عليهم الحكم، ثم أعدموا رميا بالرصاص، ولم يعلم لهم قبر بعد مقتلهم، ويروى الجبرتى أن الفرنسيين ألقوهم من السور خلف القلعة بعد تنفيذ الحكم.

وقد نشرت صحيفة (كورييه دليجبت) بالعدد الصادر فى ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨م (غرة جمادى الآخرة ١٢١٣هـ) نبأ إعدامهم، وأضافت إلى الأسماء التى ذكرها الجبرتى اسم (السيد عبد الكريم) الذى لم يوقف له على ذكر.

وكان الشهداء من العلماء خلال هذه الثورة أكثر من هذا العدد، إذ قرر الشيخ عبد الله الشرقاوى فى تاريخه «تحفة الناظرين» أن الفرنسيين قتلوا ثلاثة عشر عالمًا، ويؤيد ذلك ما رواه المعلم نقولا الترك فى كتابه «ذكر تملك الفرنساوية للديار المصرية» إذ قرر أن نابليون أمر بإعدام اثنين من العلماء كانا من أعضاء المجلس العالى.

وعلى الرغم من أن نابليون كان يعلم تمام العلم أن الشيخ السادات كان رئيسًا لمجلس الثورة إلا أنه لم يمسسه بسوء نظرا لمكانته فى نفوس المصريين المستمدة من نسبه الشريف، وقد طلب الجنرال كليبر من نابليون أن يقبض عليه فأجابه بأن إعدام مثل هذا الشيخ الجليل، لا يفيد الفرنسيين بل يؤدى إلى عواقب وخيمة.

أما ثورة القاهرة الثانية التى حدثت فى ٢٣ شوال سنة ١٢١٤هـ إلى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢١٤هـ (٢٠ مارس -٢١ أبريل سنة ١٨٠٠م)، فتتلخص أحداثها فى أن نابليون غادر القطر المصرى تاركًا قيادة الحملة الفرنسية للجنرال كليبر الذى لم يلبث أن واجه أعنف ثورة قامت بها القاهرة، ويرجع عنف هذه الثورة إلى أن رأسها المفكر كان زعيم علماء ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف، ولولا خيانة المماليك لكان لهذه الثورة الوطنية الجارفة شأن آخر. أما العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين بعد إخمادها فهم:

الشيخ مصطفى الصاوى وقد فرضت عليه غرامة ٢٦٠ ألف فرنك، الشيخ محمد الجوهرى وأخوه فتوح، وقد فرضت عليهما غرامة قدرها ٢٦٠ ألف فرنك.

وكان الشيخ السادات معروفًا لدى الجنرال كليبر بوطنيته منذ تزعم الثورة الأولى، ولكنه لم يتمكن من النيل منه لمعارضة نابليون، فانتهز فرصة اشتراكه فى هذه الثورة لينكل به تنيكلاً، إذ فرض عليه غرامة قدرها ثمانمائة ألف فرنك، وسجن فى غرفة قذرة بالقلعة، حيث كان ينام على التراب ويتوسد

بحجر، مع ضربه ضربًا مبرحًا. ثم سمح له بالنزول مخفورًا إلى داره، ليسعى فى سداد الغرامة المفروضة عليه، فجمع ما فى منزله من المال، وقوم الفرنسيون ما وجدوه من مصاغ وملابس ومتاع فبلغت قيمة ذلك كله ١١٢ ألف فرنك، ولم يكتف الفرنسيون بذلك بل جاسوا خلال الدار، وحفروا الأرض بحثا عن الخبايا، حتى أعياهم البحث ولم يجدوا شيئًا، ثم نقلوه إلى السجن وصاروا يضربونه خمس عشرة عصا فى الصباح ومثلها فى الليل، وجدوا فى البحث وراء زوجته وابنه حتى قبضوا أخيرًا على تابعه محمد السندوبى الذى عذبوه حتى أقر على مكانهما، فقبضوا عليهما، وسجنوا زوجته معه، وصاروا يضربونه أمامها زيادة فى التعذيب، فشفع فيها كبار العلماء لنقلها من السجن، فأصدر الجنرال كليبر أمرا بتاريخ ٢٢ مايو بنقلها إلى منزل الشيخ سليمان الفيومى. وصودرت املاك الشيخ السادات ومرتباته وأوقاف أسلافه، وبقى معتقلاً حتى أفرج عنه فى عهد قيادة الجنرال مينو فى ٢٥ صفر سنة ١٢١٥ (١٩ يولية سنة ١٨٠٠)، وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس، وألا يركب دون إذن من القيادة الفرنسية، وقد بقى رهن المراقبة فى داره حتى اعتقل للمرة الرابعة فى أواسط شوال ١٢١٥ (أوائل مارس سنة ١٨٠١) بعد وصول الحملة الإنجليزية العثمانية إلى مصر، وقد اتخذ الفرنسيون هذا الإجراء خوفًا من أن يثير عليهم الشيخ السادات الأهالى، وقد توفى ابنه أثناء اعتقاله فأذن له بتشييعه مخفورًا، ولما انتهى ذلك أعيد إلى سجنه بالقلعة.

ويقول نابليون فى مذكراته تعليقًا على اضطهاد الشيخ السادات: أن تعذيبه كان من أهم الأسباب التى أدت إلى مصرع الجنرال كليبر فى ٢ صفر ١٢١٦ (١٤ يونيه سنة ١٨٠٠).

وكان السيد عمر مكرم الرأس المفكر لثورة القاهرة الثانية، واليه يرجع الفضل فى تعبئة القوات الوطنية تعبئة قلما تتوفر فى ثورة من الثورات، ولم يستطع الفرنسيون القبض عليه عقب إخماد الثورة، إذ تمكن من الفرار من القاهرة تاركًا أملاكه عرضة للنهب والمصادرة، ولم يدخل القاهرة بعد ذلك حتى جلاء الفرنسيين عن عاصمة البلاد فى ربيع الأول سنة ١٢١٦ (يولية ١٨٠١).

وقد اختارت الزعامة الشعبية ممثلة فى السيد عمر مكرم والشيخ عبد الله الشرقاوى محمد على واليًا على مصر بشرط أن يحكم بمشورة وكلاء الشعب. ولكن محمد على كان يميل إلى الحكم المطلق، وسرعان ما ضاق ذرعا برقابة وكلاء الشعب خصوصًا السيد عمر مكرم زعيم العلماء، الذى أخذ يحاسب محمد على باشا على جمع الضرائب التى فرضها، وبلغ من حماسته فى الدفاع عن حقوق الشعب أن عقد مجلسًا عاما من العلماء فى (أواسط جمادى الأول سنة ١٢٢٤- أول يولية سنة ١٨٠٩)، وقد أقسم المجتمعون على ألايلينوا حتى يجيب الوالى مطالبهم التى تتلخص فى عدم فرض ضرائب جديدة وإلغاء الضرائب المستحدثة، وقد ازدادت العلاقات توترًا حينما رفض السيد عمر مكرم أن يوقع الميزانية السنوية. كما يريدها محمد على، وأن من المعتاد أن يوقع على الميزانية وجوه المصريين قبل إرسالها إلى السلطان العثمانى.

تنكر محمد على للسيد عمر مكرم، وأخذ يسعى فى التخلص منه، حتى سمحت له الفرصة فى رجب ١٢٢٤ (أغسطس ١٨٠٩)، فقرر خلعه من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط، وقد تلقى السيد عمر مكرم هذا النبأ بقوله: «أما منصب النقابة فإنى راغب عنه وزاهد فيه وليس فيه إلا التعب، وأما النفى فهو غاية مطلوبى لأرتاح من هذه الورطة، ولكنى أريد أن أكون فى بلدة لا تدين لحكم محمد على».

مكث السيد عمر مكرم أربع سنوات فى دمياط، نقل بعدها إلى طنطا التى استمر بها حتى عام ١٢٣٣ (١٨١٨)، ثم أذن له بالعودة إلى القاهرة، ولكن استقبال الشعب الرائع لزعيمه أثار شكوك محمد على مرة أخرى، فأمر بنفيه إلى طنطا عام ١٣٣٧ (١٨٢٢) حيث توفى فى نفس العام.

وقام الأزهر بتأييد القوات الوطنية فى جهادها ضد الإنجليز عام ١٨٠٧هـ، وأفتى زعماؤه فى المؤتمر الوطنى المنعقد فى الأزهر بوجوب الجهاد الوطنى، وقام العلماء ببذل مجهود كبير فى سبيل الدفاع عن الوطن سواء بالتطوع أو إمداد الجيش بالمؤن والذخائر أو الدعوة إلى الجهاد.

عمر مكرم الأزهرى الزعيم المصرى الخالد:

وكان عمر مكرم من أرفع أسماء المصريين ذكرًا فى القرن الثامن عشر، قضى حياته فى خدمة الشعب وتحقيق أمانيه، ورفع الحيف عنه والسعى إلى تحريره وإعلاء كرامته، وقد حفزته عاطفته الوطنية المشبوبة إلى مناهضة الفرنسيين توطئة لإخراجهم من مصر.

كانت بيوت البكرى والسادات ومكرم هى البيوتات المعروفة فى غضون القرنين السابع عشر والثامن عشر، فإذا ألم ظلم بأفراد الشعب من الحكام العثمانيين، أو المماليك أو رجال الحملة الفرنسية؛ لجأوا إلى هذه البيوت يستظلون بحماها، ويستعدون أربابها، ويطلبون المشورة ودفع الحيف عنهم.

وكان أول ظهور عمر مكرم فى ميدان السياسة فى عام ١٧٩٥ حين اضطربت الأمور فى القاهرة، وفزع الناس من طغيان إبراهيم ومراد من أمراء المماليك، فقد أبى الشعب وعلى رأسه العلماء ونقيب الأشراف أن يترك الطاغية يحكم على هواه، وألزموه بشروط يعدها المؤرخون وثيقة حقوق الإنسان الأولى التى سبقت فى تاريخها إعلان حقوق الإنسان فى فرنسا فى أعقاب ثورة سنة ١٧٩٨، وفى هذه الوثيقة الاجتماعية الكبرى أعلن الأمراء المماليك أنهم يتعهدون بالعدل، ويتوبون عن المظالم، ويعدون بالقيام بالواجبات التى يفرضها عليهم القانون والعرف: من صرف الأموال على مستحقيها، ورفع الضرائب الإضافية، ويتكفلون بكف أتباعهم عن امتداد أيديهم بالأذى، وبأن يسيروا فى الحكم سيرة حسنة.

ومضت عدة أعوام حتى إذا كان يوم ٣ يوليه عام ١٧٩٨ هبطت قوات الحملة الفرنسية مدينة الإسكندرية تغزو البلاد، وكان شعب القاهرة فى حالة فزع واضطراب، فهل فى وسع المماليك أن يدافعوا ويكافحوا ويردوا الغزاة الفاتحين؟ وتمثلت هذه المحنة فى خاطر عمر مكرم بأنها امتداد للحروب الصليبية، ولذلك أذاع نداء على الشعب يحثه على الجهاد الدينى، فخرج الرجال والشبان ولم يبق سوى الضعفاء والأطفال والنساء، وجاد كل منهم بما يملك من دراهم، وابتاعوا السلاح والذخيرة والخيام. وهبط مكرم من القلعة

إلى ساحل بولاق يحمل علمًا يسميه العامة «البيرق النبوى»، والناس حوله ألوف مؤلفة، وفى أيديهم السلاح الساذج من سيوف ومدى وهراوات، ومعهم الطبول، والزمور، ووقفوا على غير نظام، يشدون أزر جيش المماليك الذى كان يقاتل على الضفة الأخرى للنيل.

كان مكرم يحسب أن الأمراء المماليك من طراز بيبرس وقلاوون والناصر الذين صدوا جحافل التتار والصليبيين، ولكن موقعة النيل بددت أحلامه، فقد هزموا فى ساعات معدودات، مما جعله يؤمن بأن مماليك أيامه لا يحاكون فى شىء المماليك الأول، فهم جبناء، عتاة، ظالمون.

وعلى الرغم من أن مكرم لادراية له بفنون الحرب ولا أساليب القتال، إلا أنه شهد بعينيه فرار قوات المماليك، وزحف القوات المغيرة على القاهرة، واحتلال أطرافها، وأبت عليه كرامته أن يقبل هذا الهوان، فخرج إلى الشام وأقام فى جنوبها يرقب الأحداث التى تجرى فى وطنه عن كثب، فلما كان نابليون بونابرت فى يافا حرص على أكرام من وجدهم من المصريين هناك. . وأكبر فى عمر مكرم عاطفته المشبوبة ورأسه المرفوع، وكرامته التى يذود عنها، فيسر له سبيل العودة إلى وطنه.

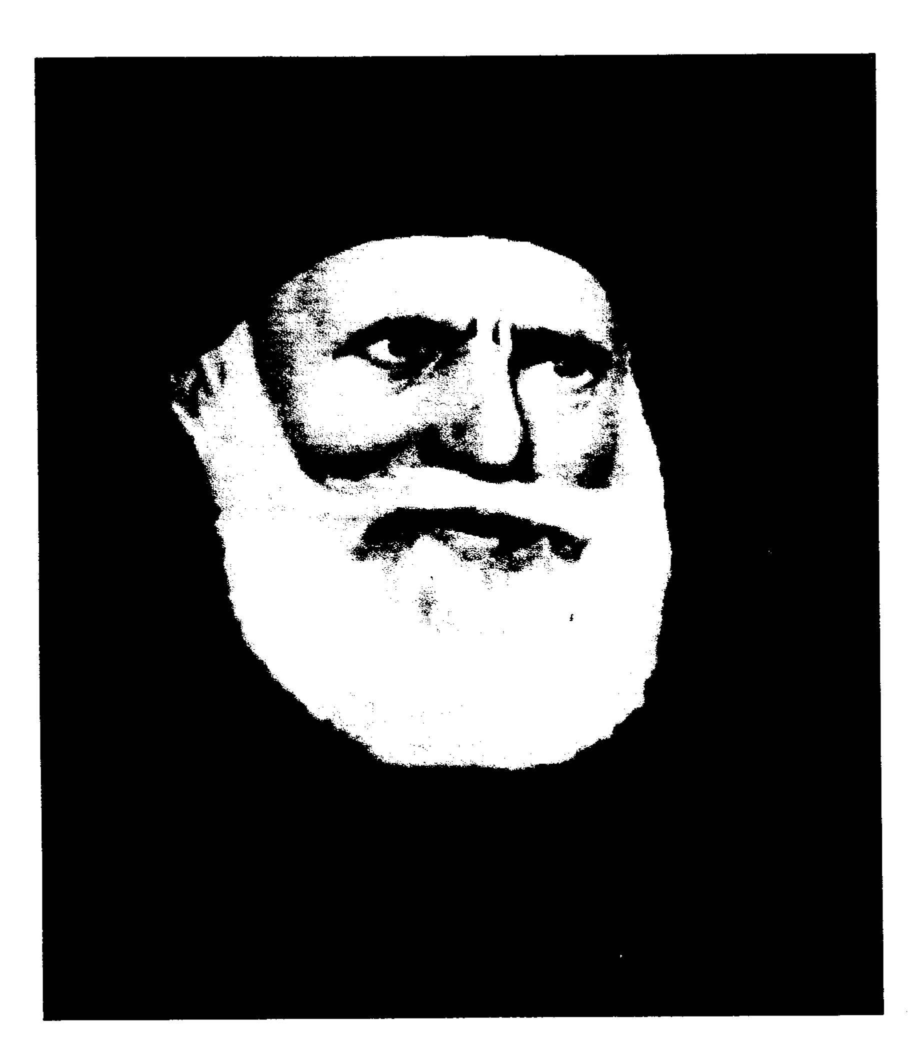
وكانت القاهرة فى غضون الفترة التى عاد فيها مكرم تغلى كالمرجل، والثورة على الأبواب. كانت فى حالة ثورة نفسية كامنة، وكان تحرير الوطن من نير الأجنبى قبلة الجميع، فلما شرع الزعيم يدعو أفراد الشعب إلى الخروج والجهاد ولقاء الغاصب المحتل، أقبل الناس على تلبية دعوته، فأقاموا المتاريس وحفروا الخنادق وتحصنوا فى الجوامع، وانشأوا معملاً للبارود، وجاءوا بالصناع والعمال، واحتالوا فى صنع آلات القتال من بنادق وذخائر، وأشرف مكرم على جمع التبرعات لتمويل الحركة، وأخيرًا بدأ النضال عنيفًا سافرًا بين المحاصرين والمدافعين، وشهد الفرنسيون ببسالة المصريين واقتحامهم المخاطر والأهوال، ولكن المقاومة انتهت بتغلب المحتلين لتفوقهم فى معدات القتال، وفرضوا على السكان

غرامة مقدارها عشرة ملايين من الفرنكات، ولجأوا إلى أحط وسائل العسف والقسوة فى تحصيلها، ونقموا على زعيم الحركة، فأمروا بنفيه إلى مدينة دمياط.

جلت الحملة الفرنسية وعادت مصر إلى حكم العثمانيين، وفى خلال السنوات الخمس المتعاقبة تولى الحكم خمسة من الولاة، قتل منهم اثنان وطرد الباقون بعد أن سجنوا فى القلعة.. كان آخر هؤلاء الولاة أحمد خورشيد، وكان رجلاً ضيق الأفق، من بقايا الارستقراطية العثمانية، يدعى السيادة على كل شىء، ولكن دولته كانت تخذله فلا تمده بالمال والرجال.. كان فى موقف حرج، فخزائنه خاوية من المال لدفع المرتبات للجند، والمماليك يغيرون على القرى ويتولون تحصيل الضرائب والاستيلاء عليها، وطبقات الشعب متذمرة من الكلف الفادحة المفروضة عليهم. فاحشدت فى الأزهر جموع من التجار والصناع وطلبة العلم وجاهروا بالتمرد والعصيان، ثم أغلقوا المتاجر والمصانع والمنازل، حتى بدت القاهرة كمدينة مهجورة.

وانتهز محمد على أحد قواد الفرقة الألبانية غير النظامية فرصة تذمر طبقات الشعب، فصار يتودد إلى مكرم بوصفه زعيم الشعب، ويزوره سرًا فى الليل ويستميله بشتى الوعود، ويقسم له الإيمان الكاذبة بأنهم أن مكنوه من الحكم، فإنه يسير حسب نصوص الشرع، والإقلاع عن المظالم، ولا يبرم امرا إلا بمشورة العلماء، وأنه إذا خالف هذه الشروط عزلوه، وأخرجوه من الحكم.

وصدق عمر مكرم هذه الوعود، وأخذ على عاتقه إقناع العلماء بمشاركته فكرته، وأذاع نداء على الشعب بالاجتماع أمام المحكمة الشرعية. فلما كان اليوم التالى خرج الأفراد والجماعات من دورهم ومصانعهم ومتاجرهم، وأقبل المزارعون من الضواحى حتى احتشدت بهم الطرق والمسالك المؤدية إلى المحكمة، وكانوا جميعًا يهتفون بقولهم: «يا رب يا متجلى أهلك العثمانلى»، وهم يقصدون طبعًا الوالى العثمانى، ثم أقبل السيد عمر مكرم، فاقترح المناداة بعزل خورشيد وإسناد الولاية إلى محمد على.



محمد علي باشا

وكان الشعب قد ضاق ذرعا بالاعتداءات المتكررة وبالضرائب الفادحة التى يطلب إليها دفعها صاغراً. كان فى حاجة إلى مصافحة أى يد تمتد إليه، لعل فيها خلاصه مما يعانيه من الكروب والمحن، ولذلك وافق على الاقتراح الذى تقدم به السيد مكرم، لا حبا فى القائد الألبانى، وإنما كرها فى الوالى العثمانى.

وطلب العلماء وعلى رأسهم مكرم إلى الوالى النزول عن الحكم طوعًا لإرادة الشعب، فأبى مستكبرًا وأجابهم بأننى معين بأمر السلطان فلا أنزل بإرادة الفلاحين.

واستشاط العلماء غضبًا من هذه الإهانة الموجهة إلى الشعب، واتفقت كلمتهم على محاصرة الوالى فى القلعة لإرغامه على التنازل عن الحكم، وبدأ النضال سافرًا، وشرع أفراد الشعب فى تكوين فرق شبه عسكرية تتولى إقامة المتاريس وحفر الخنادق وحراسة مداخل المدينة ومد المساعدة إلى الجنود وتسليح الشعب بالأسلحة البيضاء والهراوى، ومنعوا الماء والغذاء والمدد عن الوالى فى القلعة.

وكان مكرم فى غضون فترة الحصار حركة لا تهدأ، كان ينتقل بين الصفوف، ويستثير الهمم والنخوة القومية ويشجع المحاصرين، وبرزت إلى جانبه أسماء زعماء من الشعب: كابن شمعة وحجاج الخضرى الذى تمكن من أسر قافلة من الإبل محملة بالذخائر والمؤن كانت فى طريقها إلى القلعة لتموين الوالى، وقدم هذه القافلة غنيمة باردة إلى القائد المرشح للولاية.

وانتهى النزاع طوعًا لإرادة الشعب، فنزل الوالى المعزول عن الحكم، وأسندت الولاية إلى الحاكم الجديد، وبذلك انتصرت إرادة الشعب.

ثم وفدت بعد عامين حملة عسكرية بريطانية لاحتلال مصر وتمكنت من أن تسيطر على مدينة الاسكندرية دون مقاومة تذكر، بتأثير خيانة الضباط العثمانيين فى المدينة، ثم سارت الحملة إلى رشيد، فقاومها أهل رشيد فى بسالة وبطولة وتمكنوا من قهرها وحملت رؤوس القتلى على أسنة الرماح إلى القاهرة وعلقت بأبوابها، وسيق الأسرى من الضباط والجنود الإنجليز وطيف بهم فى شوارع العاصمة.

وشرع مكرم فى حفز همم سكان القاهرة لمقاومة المعتدين إذا ما حاولوا اقتحام العاصمة، فجمع الجموع وحصن المداخل وأقام المتاريس فى الشوارع، وكون فرقًا نظامية سلحها بالأسلحة الخفيفة، وكان محمد على فى غضون ذلك فى آرباض أسيوط يقاتل المماليك، فلما وفد على القاهرة وأفضى إليه مكرم بما اعتزمه الشعب من الكفاح والنضال لرد غارة المعتدين، صدمه محمد على فى عواطفه بأن قال له: عليكم بالمال وبمعدات الحرب وعلى أنا وحدى مقاتلة المغيرين.

كان الوالى الجديد لا يفتأ يلجأ إلى مكرم لأنه يدرك قوة زعامته الشعبية فى نفوس العلماء وقادة الرأى وجميع الطبقات، ولكن لما استولى على مقاليد الأمور أخذ يقلب له ظهر المجن، ويقصيه عن الاشتراك فى المسائل العليا للدولة وفى مهمة الدفاع عن الوطن.

وكان الوالى كلما أعوزته الحاجة إلى المال، مال إلى أموال الأوقاف، فاغتصب منها ما هو فى حاجة إليه، فضج العلماء بالشكوى لأن هذه الأموال مرصودة على تعمير بيوت الله وإنفاقها فى وجوه البر، وكان أن اجتمع عمر مكرم بالمشايخ ورجال الدين، واحتجوا على مسلك الوالى احتجاجًا مرا فكان جوابه:

- أنا وحدى الى ينتفع بالضريبة، وأما أنتم فتبهظون كاهل الأمة بأثقل الأعباء، إنكم تعقدون الاجتماعات فى المساجد، وتتكلمون عنى بلهجة تكاد تكون لهجة الأمر، وهذه نزعة باطلة لا يمكن قبولها بغير الازدراء والاستخفاف، وإننى على استعداد لأن أرمى عنق كل من يستظل بلواء المعارضة فى وجه سياستى.

وبادر مكرم بأن جمع العلماء وقال لهم:

- أن هذا الحاكم محتال وإذا تمكن فسيصعب إزالته فلنعزله من الآن.

ونمى ذلك إلى محمد على فأسرع إلى نفى مكرم تحت الحراسة، وكان أن أجاب على هذا الأمر بشجاعة: أن النفى غاية ما أتمناه. غير أننى أريد العيش فى بلد لا يدين بحكم محمد على.

ورأى مكرم بعين الحسرة أن الآمال التى كان يعلقها على قيام دولة جديدة يشترك فيها المصريون قد تبخرت وذهبت فى الهواء.

وفى يوم ١٣ أغسطس عام ١٨٠٩ احتشدت على ساحل بولاق طوائف مختلفة من الشعب، يودعون زعيمهم الراحل، وهو يبحـر فى مركبه إلى دمياط وانهمرت الدموع من مـآقيهـم وهم يودعون الرجل الذى وقف حيـاته فى سبـيل الدفاع عن حقوقهم ورد المظالم عنهم.

وبنفى مكرم اختفت الزعامة الشعبية من الميدان، وخلا جو المعارضة أمام الوالى الذى رفعـه الشعب إلى منصـة الحكم بعد أن أخذ عليـه العهود والمواثـيق ليحكم بالعدل والمحبة فتخلى عن هذه العهود والمواثيق.

***

فحول العلماء فى قرنين

وهؤلا أعلام من فحول علماء الأزهر فى القرنين: الثانى عشر والثالث عشر الهجرى... نذكر أسماءهم فى إيجاز:

الشيخ محمد البنائى: طلب العلم فى الأزهر. وحضر دروس الشيخ الصعيدى والدردير وغيرهم حتى مهر وأنجب ودرس ومات سنة ١١٨٦هـ عن ثلاثين سنة[١].

الشيخ حسن الشبينى، رحل من بلدته فوة إلى الجامع الأزهر، فطلب العلم وأخذ من الشيخ الديربى فجعله ممليًا عليه فى الدرس[٢] وتوفى عام ١١٨٣هـ.

الفقيه الشيخ الحماقى الحفنى من كبار علماء الشافعية. وتصدر للإقراء والتدريس بالأزهر عدة سنين. ثم تولى مسشخة إفتاء الحنفية بعد موت الشيخ حسن المقدسى[٣] وقد توفى عام ١١٨٧هـ.

المحدث المقرى شمس الدين محمد بن قاسم البقرى شيخ القراء والحديث بصحن الجامع الأزهر[٤].

والشيخ المحدث منصور بن عبد الرزاق الطوخى الشافعى إمام الجامع الأزهر[٥].

شيخ الإسلام البراوى الشافعى الأزهرى. ورد الجامع الأزهر وهو صغير، فقرأ العلم على مشايخ عصره، وتفقه على الشيخ مصطفى العزيزى، وحضر دروس الملوى والجوهرى والشبراوى، وشهد له بالفضل أهل عصره وأحدقت به الطلبة، واتسعت حلقته وقد صلى عليه فى الأزهر فى مشهد حافل[٦] ودفن عام ١١٨٢هـ.

---

(١) ٣٧٥ج١ الجبرتى.
(٢) ٣٣٨ج١ الجبرتى.
(٣) ٤٠٨ج١ الجبرتى.
(٤) ٨٨ج١ الجبرتى.
(٥) ٨٨ج١ الجبرتى.
(٦) ٣١٢ج١ الجبرتى.

الفقيه الصالح الشيخ أحمد بن أحمد السنبلاوى الشافعى الأزهرى، كان عالمًا مواظبًا على تدريس الفقه والمعقول بالجامع الأزهر، ولازم على قراءة ابن قاسم بالأزهر كل يوم بعد الظهر، وكان يحترف بيع الكتب -توفى سنة ١١٨٠هـ[١].

الشاعر الكاتب محمد بن رضوان السيوطى الشهير بابن الصلاحى.

الفقيه (١١٤٠- ١١٨٠هـ)[٢] المحدث شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن الحسن الخالدى الشافعى الأزهرى الشهير بالجوهرى (١٠٩٦هـ- ١١٨٢هـ). وقد اشتغل بالعلم، وجد فى تحصيله حتى فاق أهل عصره، ودرس بالأزهر وأفتى نحو ستين سنة، ومات فصلى عليه بالأزهر[٣] عام ١١٨٢نـ.

الشيخ عبد الؤوف بن محمد البشبيشى ولد ببشبيش من أعمال المحلة الكبرى، وقد تصدر لتقرير العلوم الدقيقة والنحو والمعانى والفقه، وانتفع به غالب مدرسى الأزهر. وتوفى سنة ١١٤٣[٤].

الشيخ أبو الحسن البكرى خطيب الأزهر[٥]

شيخ مشايخ الإسلام عالم العلماء الأعلام الشيخ على العدوى المالكى (١١١٢- ١١٨٩هـ). وهو من بنى عدى، ومن مشهورى العلماء، صلى عليه فى الأزهر بمشهد عظيم، ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى[٦] عام ١١٨٩هـ.

المفتى الفقيه الشيخ إبراهيم الشرقاوى. وكان لا يفارق محل درسه بالأزهر طول النهار[٧]، وتوفى عام ١١٨٥هـ.

الشيخ على الشاور المالكى مفتى فرشوط قرأ بالأزهر العلوم. وقدم إلى مصر ومات بها وصلى عليه فى الأزهر[٨] عام ١١٨٥هـ.

الشيخ على العدوى المالكى الأزهرى (١١٠٠- ١١٨٥هـ) تلقى العلم فى الأزهر، ثم درس بالأزهر ونفع الطلبة[٩].

---

(١) ٢٨٥ج١ الجبرتى.
(٢) ٢٦٥- ٢٨٤ج١ الجبرتى.
(٣) ٣٠٩- ٣١٢ج١ الجبرتى.
(٤) ١٥٧ج١ الجبرتى.
(٥) ١٦١ج١ الجبرتى.
(٦) ٤١٥ج١ الجبرتى.
(٧) ٣٦٩ج١ الجبرتى.
(٨) ٣٦٧ج١ الجبرتى.
(٩) ٣٦٧ج١ الجبرتى.

الشيخ مصطفى الصاوى، وقد تعلم فى الأزهر، ولازم الشيخ البراوى وتخرج به وأقرأ الدروس، وكان شاعراً لطيفًا وكاتبًا مجيداً. وتوفى عام ١٢١٦هـ(١).

الشيخ محمد الخالدى الشافعى (١١٥١- ١٢١٥هـ)، وقد كان من مشهورى علماء الأزهر فى عهده.. وله كتب كثيرة، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل، رحمه الله(٢).

السيد مصطفى الدمنهورى الشافعى من العلماء المشهورين المذكورين، تفقه على أشياخ العصر، ولازم الشيخ الشرقاوى الذى صار شيخ الأزهر، وكان يكتب على الفتاوى على لسان الشيخ الشرقاوى ويتحرى الصواب... ومات فى عهد الفرنسيين مقتولاً(٣).

الشيخ عبد الرحمن الأجهورى المالكى، من علماء الأزهر الشريف، درس ودرَّس بالأزهر مدة فى أنواع الفنون فى الدين واللغة، وتوفى سنة ١١٩٨هـ(٤).

الشيخ محمد بن على الصبان الشافعى الأزهرى، صاحب المؤلفات الذائعة المشهورة التى خلدت ذكره، وتوفى سنة ١٢٠٦هـ(٥).

الشيخ أحمد العروسى الشافعى الأزهرى (١١٣٣- ١٢٠٨هـ) حضر فى الأزهر على شيوخه وعلمائه(٦).

الشيخ شهاب الدين السمنودى المحلى الشافعى، العالم الأزهرى، وقد قرأ بالجامع الأزهر، وتوفى عام ١٢٠٨٩هـ(٧).

الشيخ أحمد السماليجى الشافعى المدرس بالمقام الأحمدى بطنطا.. توفى عام ١٢٠٩هـ(٨).

الشيخ عبد الرحمن النحراوى الأجهورى، درس بالأزهر وأفاد الطلبة وتوفى عام ١٢١٠هـ(٩).

---

(١) ٢١٣- ٢١٧ج٣ الجبرتى.
(٢) ١٦٥ج٣ الجبرتى.
(٣) ٦٧ج٣ الجبرتى.
(٤) ٨٥ وما بعدها ج٢ الجبرتى.
(٥) ٢٢٧- ٢٣٣ ج٢ الجبرتى.
(٦) ٢٥٢- ٢٥٤ج٢ الجبرتى.
(٧) ٢٥٩ج٢ الجبرتى.
(٨) ٢٦٠ج٢ الجبرتى.
(٩) ٢٦٢ج٣ الجبرتى.

وفى هذه السنة أيضًا توفى الشيخ حسن الهوارى المالكى شيخ رواق الصعايدة[١].

الشيخ عثمان بن محمد الحنفى المصرى الشهير بالشامى، وتوفى عام ١٢١٠[٢] وكذلك الشيخ شمس الدين الفرغلى الشافعى[٢] وله شعر عذب.

الشيخ أحمد محمد السجاعى الأزهرى قدم الأزهر صغيراً فتمهر ودرس وأفتى وألف، وترك آثار علمية مشهورة توفى عام ١١٩٠هـ[٣].

الشيخ عطية الأجهورى الشافعى، العالم الأزهرى؛ وقد توفى عام ١١٩٠هـ[٤].

الشيخ إبراهيم بن خليل الصبحانى الغزى الحنفى العالم الأزهرى، وقد ولد بغزة وورد إلى الأزهر فتعلم فيه ثم عاد إلى غزة وتولى فيها الإفتاء، وارتحل إلى دمشق وتولى أمانة الفتوى. توفى عام ١١٩٠هـ[٥].

الشيخ محمد العوفى المالكى كان شاعراً ماجنًا، ومع ذلك كانت حلقة درسه فى الأزهر تزيد على الثلثمائة. مات سنة ١١٩١هـ[٦].

الإمام الشيخ أحمد بن عيسى الزبيرى الشافعى البراوى من علماء الأزهر، ولد بمصر وبها نشأ وحضر دروس مشايخ الوقت، ولما توفى والده أجلس مكانه فى الأزهر وقد توفى بطنطا عام ١١٩٢هـ، وصلى عليه بالأزهر، ودفن بتربة المجاورين[٧].

الشيخ محمد العدوى من علماء الأزهر، درس فى الأزهر، ودرَّس فيه، وتوفى عام ١١٩٣[٨].

الشيخ شهاب الدين أحمد السجاعى الشافعى الأزهرى، من علماء الأزهر، ولد بمصر، ونشأ بها، وتصدر للتدريس فى حياة أبيه، وبعد موته، درّس فى مواضعه، وصار من أعيان العلماء. وتوفى عام ١١٩٧هـ[٩].

---

(١) ٢٦٣ج٢ الجبرتى.
(٢) ٢٦٣ج٢ الجبرتى.
(٣) ٣ج٢ الجبرتى.
(٤) ٤ج٢ الجبرتى.
(٥) ٤ج٢ الجبرتى.
(٦) ١٥ و١٦ج٢ الجبرتى.
(٧) ٣٥ج٢ الجبرتى.
(٨) ٥٨ج٢ الجبرتى.
(٩) ٧٥ج٢ الجبرتى.

الشيخ عبد الله بن أحمد المعروف باللبان الشافعى الأزهرى. توفى عام ١١٩٨هـ[١].

ومن مشهورى العلماء الشيخ محمد بن حسن الشافعى الأحمدى الأزهرى المتوفى عام ١١٩٩هـ[٢].

الشيخ محمد الخشنى الشافعى وكان من خيار شيوخ الأزهر[٣] وتوفى سنة ١٢٢١هـ.

والشيخ سليمان البجيرمى الشافعى من علماء الأزهر المشهورين[٤].

الشيخ أحمد البرماوى الشافعى (١١٣٨- ١٢٢٢هـ).. وكان من الشيوخ الأجلاء[٥].

الشيخ إبراهيم الحريرى مفتى السادات الحنفية كوالده، وقد توفى عام ١٢٢٤هـ[٦].. وتوفى فى هذا العام الشيخ عبد المنعم العماوى المالكى وهو من كبار الشيوخ[٧].

الشيخ محمد أحمد بن عرفة الدسوقى المالكى الأزهرى من علماء البلاغة، تصدر للإقراء والتدريس بالأزهر وإفادة الطلبة، وكان فريداً فى تسهيل المعانى وتوفى عام ١٢٣٠هـ ودفن بتربة المجاورين[٨].

الشيخ محمد الأمير المالكى الأزهرى (١١٥٤- ١٢٣٢هـ) من كبار الشيوخ الأجلاء فى الأزهر[٩].

الشيخ محمد الأشمونى الشافعى (١٢١٨- ١٣٢١هـ) تعلم فى الأزهر وصار مدرسًا فيه (٥٠- ٥٢ تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر لأحمد تيمور ط ١٩٤٠).

---

(١) ٧٥ج٢ الجبرتى.
(٢) ٨٤ج٢ الجبرتى.
(٣) ٩٤- ٩٥ج٢ الجبرتى.
(٤) ٢٤ج٢ الجبرتى.
(٥) ٢٤ج٤ الجبرتى.
(٦) ٧٦ج٤ الجبرتى.
(٧) ١٠٤ج٤ الجبرتى.
(٨) ٢٣١ج٤ الجبرتى.
(٩) ٢٨٤ج٤ الجبرتى.

الشيخ أحمد الرفاعى المالكى، تعلم ودرس فى الأزهر وحضر عليه محمد عبده والشيخ بخيت والشيخ أبو الفضل وسواهم، وقد رشح للمشيخة بعد استقالة الشيخ سليم عام ١٣٢٠هـ، ولكن لم يقدر الله له ذلك، وقد توفى عام ١٣٢٥هـ (٦٤- ٦٦ المرجع).

الشيخ حسين الطويل المالكى (١٢٥٠هـ- ١٣١٧هـ) من مشهورى العلماء، حضر ودرس فى الأزهر، وأول درس قرأه بالأزهر عام ١٢٨٣هـ، وتتلمذ عليه الكثيرون، وعين مفتشًا ثانيًا للغة العربية بوزارة المعارف، ثم مدرسًا بدار العلوم[1].

الشيخ أحمد خطوة الحنفى (١٢٦٨- ١٣٢٤هـ)، من جلة العلماء، وحضر ودرس فى الأزهر، وكان أكثر اشتغاله فى المعقول على الشيخ حسن الطويل، وكان ابتداؤه للتدريس فى الأزهر سنة ١٢٩٦هـ، وقد عين مفتيًا للأوقاف، ثم نقل عضوًا فى المحكمة الشرعية العليا[2].

❁❁❁

(١) ١٢٠- ١٢٩ أعيان القرن الثالث عشر لأحمد تيمور، وله ترجمة فى مجلة الضياء ج١ ص ٦٩٠.

(٢) له ترجمة فى مجلة المقتبس ج١ ص ٥٥١، وراجع ص ١٣٠- ١٣٢ تراجم أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور.

الباب الثانى

تاريخ الأزهر الحديث

الفصل الأول

القوة الشعبية بعد الحملة الفرنسية ممثلة فى الأزهر

بعد خروج الفرنسيين من مصر تنازعت الوطن أياد قوية؛ كل يد تعمل على الاستئثار بحكم مصر، وكان من هؤلاء الطامعين فى العرش طامع من رعايا خلافة تركيا هو محمد على القوللى رئيس إحدى الفرق العسكرية التى أرسلتها تركيا إلى مصر لطرد الفرنسيين منها.

وتودد محمد على إلى شعب مصر وإلى علماء الأزهر الشريف، ودس أعوانه فى وسط الشعب لينادى به حاكمًا على مصر، واستجاب علماء الأزهر لرغبة الشعب، ورأوا فى تولية مثل محمد على حكم مصر دفعًا لأخطار الحكام الأتراك المتغطرسين، فتوجهوا وعلى رأسهم شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمد المهدى المفتى، والشيخ محمد الأمير من كبار العلماء، والشيخ سليمان الفيومى، والسيد عمر مكرم نقيب الإشراف، والسيد محمد السادات شيخ مشايخ الطرق الصوفية، والشيخ العريشى القاضى، وغيرهم من الشيوخ والعلماء، إلى قصر محمد على وأفضوا إليه برغبتهم فى المناداة به واليًا على مصر لإجماع الشعب على ذلك، وخرج العلماء من عنده إلى الجامع الأزهر لرسم الخطة ومتابعة الحوادث. غير أن الانتظار لم يطل، فما كاد يعلن نبأ تولية «محمد على» ولاية «جدة» واستعداده للرحيل، حتى خرج أهل القاهرة عن حد الاحتمال فالتفوا حول شيوخ الأزهر، وطالبوا بوضع حد لسوء الحال، وانتهوا إلى المطالبة بعزل الوالى، والمناداة بمحمد على واليًا على مصر: وكان عدد المحتشدين من الشعب فى الأزهر يربو على الأربعين ألفًا. ولم يجد العلماء إزاء هذا الموقف بدا من تحقيق رغبة الشعب، فاتجهوا إلى دار المحكمة فى بيت القاضى، وحولهم هذا البحر الزاخر من الشعب الهائج يهتف بسقوط الوالى، وفى المحكمة حضر الجميع واتفقوا على كتابة عريضة بمطالب الشعب، عددوا فيها المظالم التى وقعت

بالناس من مصادرة الحريات وفرض الضرائب، وطالبوا برفع هذه المظالم، وكان ذلك فى يوم الأحد ١٢ من صفر سنة ١٢٢٠هـ (١٢ مايو سنة ١٨٠٥م). ولما وصلت هذه القرارات إلى الوالى استدعى العلماء لمقابلته، ولكنهم رفضوا، لأنهم علموا أنه دبر مؤامرة لاغتيالهم فى الطريق والقضاء على هذه الحركة الشعبية، فلما امتنعوا عن الذهاب رفض الوالى إجابة مطالبهم، فاجتمع وكلاء الشعب من العلماء فى يوم الاثنين ١٣ من صفر سنة ١٢٢٠هـ (١٣ مايو سنة ١٨٠٥م) بدار المحكمة وقرروا عزل خورشيد باشا وتنصيب محمد على واليًا على مصر.

وعقب إصدار القرار فى المحكمة توجهت الجموع إلى محمد على، وفى طليعتهم علماء الأزهر على رأسهم: الشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر، ونقيب الأشراف السيد عمر مكرم «وذهبوا إلى محمد على وقالوا له: إنا لا نريد هذا الباشا حاكمًا علينا ولا بد من عزله من الولاية. فقال: ومن تريدونه أن يكون واليًا؟ قالوا: لا نرضى إلا بك، وتكون واليًا علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير. فامتنع أولاً، ثم رضى. وأحضروا له كركا وعليه قفطان. وقام إليه شيخ الإسلام الشيخ الشرقاوى والسيد عمر فألبساه إياه، وذلك وقت العصر، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة».

وفى ١١ من ربيع الثانى سنة ١٢٢٠هـ (٩ من يوليه سنة ١٨٠٥م) وصل مرسوم الدولة، ومضمونه الخطاب لمحمد على والى جدة سابقًا ووالى مصر حاليًا، من ابتداء ٢٠ من ربيع الأول، حيث رضى بذلك العلماء والرعية.

هذه هى رواية الجبرتى ونحن لا نكاد نسلم بها، فإن محمد على عندما علم بنبأ وصول الوحدات البحرية التركية بقيادة قبودان باشا يحمل أمر السلطان بعزل محمد على وتولية موسى باشا، سارع إلى الالتجاء إلى القلعة مستعدًا للمقاومة وجمع فيها ما استطاع أن يجمعه من معدات الحرب والعمال والاجناد، وفى هذه الأثناء علم أن محمد بك الألفى المتحصن فى البحيرة قد اتصل بالأتراك واتفق معهم. فرأى أن المقاومة لن تجدى ما دام الشعب لا يظاهره، وأن أعوانه فى المقاومة هم قواد الجيش الذين اجتمع بهم وشاورهم فأيدوه فى المقاومة «لأنه ما من أحد منهم إلا وصار له عدة زوجات وعدة بيوت والتزام بلاد (جمع ضرائبها)

وسيادة لم يكن يتخيلها ولم تخطر بذهنه أن ينسلخ عنها والخروج منها ولو خرجت روحه».

ووصلت الأنباء أن الألفى بعث إلى قبودان هدية فيها ٣٠ جوادًا و ٤٠٠٠ رأس من الغنم والبقر والجاموس ومائة جمل بالذخيرة ونقود وثياب وأقمشة.

وهنا التجأ محمد على إلى زعيم مصر الكبير السيد عمر مكرم نقيب الأشراف وبعض الأعيان، وعرض عليهم الموقف وما فعله الأمراء والمماليك واتفاقهم مع السلطان، وطلب منهم دراسة الموقف فتركوه وانصرفوا.

حدث هذا فى يوم الجمعة ولو أن الشعب المصرى كان متعلقًا بمحمد على لا يرضى عنه بديلاً، كما صوره المؤرخون، لما استدعى بحث الموقف طويلاً، بل كان الرد أن الشعب سيقف بجانب محمد على فى موقفه ومقاومته ولا يحتاج إلى تفكير. ولكن الذى حدث فعلاً أن البحث والدرس وتقليب الموقف استمر بين الزعماء المصريين أيامًا. فمضى السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء دون أن يتلقى محمد على ردًا، وهنا قرر محمد على اتخاذ إجراء حاسم.

بعث باثنين من رجاله هما مدير مكتبه ورئيس التراجمة، وقد فاجئا السيد عمر مكرم فى داره صباح الخميس، وقدما إليه صورة التماس كتبه ديوان محمد على، على لسان المشايخ إلى الباب العالى لتثبيت محمد على لولاية مصر.

ولو أن المصريين كانوا متمسكين بمحمد على لوقع الزعماء -الذين دعاهم السيد عمر النقيب إلى داره لبحث هذا التطور الجديد فى الموقف- الالتماس دون مناقشة، ولكن الذى حدث هذه المرة أيضًا أن الاجتماع استمر اليوم كله.

وفى اليوم التالى، السبت، حمل هذا الالتماس إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى ومعه أمر بتنظيم «العرضحال» وترصيعه «وتوقيعه» بتوقيعات المشايخ وبصمه بأختامهم ليرسله الباشا إلى الدولة، فلم تسعهم المخالفة»... وقد تم هذا فعلاً.

وهذا الالتماس رغم طوله لم يخرج عن كونه مدحا للسلطان، ثم تحقير أعمال الأمراء المماليك، ثم رفع شأن محمد على وتبرير لبعض تصرفاته التى أنكرها عليه السلطان وينتهى بطلب إبقائه واليًا.

وسارع محمد على، بطبيعة الحال، بإرسال العريضة إلى تركيا، ولكن حدث مساء الاثنين أن وصل إلى القاهرة رسول من قبودان باشا ليبلغ المسؤولين عن الشعب وهم الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والأئمة قرار السلطان بعزل محمد على. ولما كان الأمر قد خرج من أيدى هؤلاء الزعماء بعد توقيع الالتماس، فقد ذهبوا إلى محمد على يعرضون الأمر فأمرهم بالعودة إلى منازلهم على أن يرسل إليهم فى اليوم الثانى صورة التماس جديد ينسخونه ويوقعونه.

وفى هذا العرضحال يبدى الزعماء خضوعهم وامتثالهم لقرار السلطان، ولكنهم يبدون تخوفهم من الجند ألا يمتثلوا للأوامر بسبب رواتبهم. وكان محمد على قد احتاط بتدبير هذه المؤامرة بالاتفاق مع قواد الجند الذين يهمهم البقاء فى مصر.

وانتهز محمد على الفرصة وما طل فى تنفيذ أمر السلطان، وهنا وجد قبودان باشا مركزه حرجًا، وأن الاعتماد على الأمراء المماليك لا خير فيه، وسيؤدى إلى ضياع هيبته، فاستقر رأيه أن يتصل بمحمد على الذى انتهز الفرصة، فعرض العروض الباذخة، وتعهد أن يؤدى ضعف ما تعهد الأمراء بتأديته لقبودان: بعضه معجل والآخر مؤجل.

واتفق قبودان مع محمد على أن يعود إلى استكتاب الزعماء كتابًا آخر يرسله إليه مع ولده شخصيًا. على أن يتضمن أن محمد على حامى الإقليم وحافظ ثغوره ومؤمن سبله، وقامع المعتدين، وأن الكلية من الخاصة والعامة راضية بولايته وأحكامه وعدله، وأن الشريعة مقامة فى أيامه، ولا يرتضون خلافه، لما رأوا فيه من عدم الظلم.. إلخ الفضائل والصفات التى اتفق قبودان باشا مع محمد على، على نسبتها إلى مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ مصر!!..

وقد انتهت هذه المساعى كلها بإلغاء أمر النقل، وتثبيت محمد على، على ولاية مصر.

وهذه هى حقيقة مطالبة المصريين بولاية محمد على عندما عزله السلطان، فى المرة الثانية.. وهذا هو موقف الزعماء المصريين، الذين لم يطالبوا بتثبيت محمد على إلا بحد السيف الذى سلطه عليهم.

ولكن ماذا فعل محمد على وأولاده بهذه الثقة الغالية؟ لقد قرر محمد على منذ اللحظة الأولى أن يستبد بالأمر، ويبعد الشعب وزعيمه عن الميدان . .

وأخذته الغيرة من زعيم المصريين عمر مكرم، وأنكر منه أن يتحدث إليه عن آلام الشعب مما فرضه عليهم من الضرائب بسبب الاستعداد للحملة الوهابية . . ثم أراد أن يأخذ إمضاء السيد عمر على حساب غير مضبوط أعده، ليرسله إلى الدولة . . فأبى السيد عمر مكرم ذلك قائلاً:

أن الضرائب المعتادة كانت تكفى لكل ما قام به الباشا من الأعمال العامة . . وإنى لا أستطيع أن أشهد بغير ما أعتقد أنه حق . . .

فقرر محمد على التخلص من عمر مكرم . . وأراد أن يحتال عليه، وطلب إليه أن يذهب لمقابلته فى الديوان، فأجاب السيد عمر مكرم قائلاً:

إن الباشا إذا أراد مقابلتى، فلينزل من القلعة لمقابلتى فى بيت السادات، لتكون المقابلة على سواء.

وكان محمد على يجمع من الضرائب أكثر مما ينفق . . ويحتجز الأموال لنفسه، فاحتج عمر مكرم، وقال كلامًا كثيراً جاء فيه:

أما ما صرفه الباشا فى سد الترعة فإن الذى جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه أضعافًا كثيرة، وأما غير ذلك، فكله كذب لا أصل له، وإن وجد من يحاسبه على ما أخذه من القطر المصرى من الفرض والمظالم لما وسعته المظالم . .

فقرر محمد على نفيه من القاهرة، فابتسم الشيخ عمر مكرم وقال:

أما منصب النقابة فإنى راغب عنه وزاهد فيه، وليس فيه إلا التعب: وأما النفى فهو غاية مطلوبى، وأرتاح من هذه الورطة، ولكن أريد أن أكون فى بلد لم تكن تحت حكمه، فإذا لم يأذن لى فى الذهاب إلى أسيوط، فليأذن لى فى الذهاب إلى الطور أو إلى درنة.

فأخبروا الباشا بذلك، فلم يرض إلا بذهابه إلى دمياط.

وخرج عمر مكرم زعيم الشعب إلى منفاه فى ١٣ أغسطس ١٨٠٩ .

وهكذا أخرج محمد على الشعب المصرى من الميدان، وقرر أن يستبد بأمر مصر وحده.

وهكذا أنكر فضل هذا الشعب عليه، وأخذ طريق المستبدين، وخلفه أبناؤه فساروا فى طريقه، ووضعوا أيديهم فى يد أعداء البلاد.. وزاد أمرهم سوءًا، وأحاطت بهم الأزمات..

وتقدم شعب مصر ليعينهم، فمكروا به، وسخروا منه، إلى أن حدث ما لم يكن لهم فى حسبان.

الأزهر يسير فى حياته العلمية:

وقد سار الأزهر فى حياته العلمية يائسًا من الحكام والولاة، واهتم علماؤه بإصلاحه وصدر أول قانون لذلك فى سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧٢م) وقد نظم هذا القانون طريقة نيل الشهادة العالمية، وبين مواد امتحانها، وقسم الناجحين فيها إلى ثلاث درجات: (أولى، ثانية، ثالثة) على أن تصدر بذاك براءة ملكية بتوقيع ولى الأمر: وعنى الغيورون بالأزهر، وحرصوا على أن ينهض. وقد كان لهذا التنظيم الذى بدىء فى عهد إسماعيل أثره فى حفز الهمم على الإصلاح، فتوالت القوانين المنظمة للأزهر، وكان أهمها القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١، إذ قسم الدراسة بالأزهر إلى مراحل، وجعل لكل مرحلة نظامًا وموادًا للدراسة، وحدد اختصاص شيخ الجامع الأزهر، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر تسمى المجلس الأعلى للأزهر، وأوجد هيئة كبار العلماء وجعل لها نظامًا خاصًا، وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة التى تدرس فى الأزهر شيخًا، ونظم مجالس إدارات المعاهد، ووضع نظامًا للمدرسين والموظفين فى التعيين والترقية، ووضع للطلاب شروطًا للقبول، ونظم الامتحانات والشهادات.

وحدث فى هذا العهد عدة أحداث: منها أن بعض الشوام والصعايدة تزاحموا فى الجلوس فى الدرس وتضاربوا، فجاء جملة من الشوام بالعصى، وساقوا الصعايدة سوقًا عنيفًا إلى رواق الصعايدة، فحضرت طائفة من الصعايدة بعصيهم ووقعوا بالشوام ضربًا وهموا وراءهم بقوة شديدة حتى ادخلوهم رواق الشوام وحاصروهم

به، ولم يسع الشوام إلا قفل باب الرواق، بل تسور لهم بعض الصعايدة من فوق السطح، واستمروا كذلك، حيث ذهب الشيخ محمد الرفاعى إلى بعض الأعيان من تجار الشوام وأخبرهم، وذهبوا جميعًا إلى خير الدين باشا ضابط مصر، فأرسل جملة من عساكر الأرنؤود وخلافهم، فدخلوا الأزهر بصورة شنيعة، وتطاولوا على كل صعيدى بلا تحقيق، فأخذ الصعايدة فى الذب عن أنفسهم، حتى أخرجوا العساكر من الأزهر، ولم يلبثوا أن جاءت عساكر جهادية وأتراك بكثرة من طرف الضابط، لما بلغه من التهويل، فدخلوا الأزهر بأسلحتهم ونفيرهم وطبلهم لابسين أحذيتهم فقبضوا من الصعايدة على نحو ثلاثين وسجنوهم بالمحافظة، ثم أخذوا ثلاثة من مشايخهم وعوقوهم هناك قليلاً، وبعد مدة أطلقوهم، وبقى المجاورون فى السجن وكان إذ ذاك سعيد باشا فى الأرض الحجازية، فسعى بعض المشايخ عند وكلائه فى الإفراج عنهم، فأفرج عنهم بعد نحو عشرين يومًا، وحصل الكلام فى طريقة يسير عليها الأزهر، حيث أن شيخه أقعده الكبر، واجتمع الرأى على توكيل أربعة من العلماء، وصدر الأمر بذلك، وكان فى مشيخته الشيخ الباجورى.

حادثة الشوام:

وقد حدثت هذه الحادثة المفجعة فى ١٩ من ذى الحجة سنة ١٣١٣ بالأزهر الشريف فى مشيخة شيخ الأزهر حسونة النواوى بسبب وباء ذلك العام، وتفصيلها أنه مرض برواق الشوام مجاور بالطاعون، وحضرت الحكومة لنقله بالعربة السوداء للمستشفى، وكان من أخذ بها لا يرجى له أن يشم هواء الدنيا، فأبت رفقته من طلبة الأزهر تسليمه، حيث كان قد أخذ آخر، ولم يوقف له على أثر، فاشتد الجدال بين الفريقين، وأبلغ الأطباء الحكومة أنهم أهينوا، فحضر إلى الجامع الأزهر المحافظ ومعه وكيل الحكمدارية، وشرذمة من العساكر، فخيل للمجاورين الشوام أنهم مأخوذون لا محالة، فتطاولوا على المحافظ ورجموه ومن معه ببعض الحجارة، فأصاب وكيل الحكمدارية رمية فجرح، وكانت الشوام أغلقت باب الشوام، فطلب قوة عسكرية أخرى فحضرت وعملوا حصاراً على الجامع الأزهر، وأمر الحكمدار العساكر بكسر الباب وإطلاق الرصاص على الطلبة داخل الجامع فانقضوا عليه حتى خلعوا عقب إحدى أبوابه، ثم بدأ الحكمدار يطلق بندقيته

واتبعته العساكر بإطلاق الرصاص، فتفرق الطلبة فى جميع نواحى الجامع، ثم دخل الضباط والعساكر واشتغلوا بضبط من بالأزهر مع الإهانة من غير تمييز بين طالب وعالم، فقبضوا على ٨٢ من الشوام و ٢٣ من المصريين وفيهم بعض المدرسين، وأصيب بالرصاص خمسة مات بعضهم فى الحال، وبعضهم بعد ذلك، ثم أفرج عن المقبوضين، وانحصرت التهمة فى ١٤ تقريبًا من الشوام، ونفى البعض وسجن البعض، وأقفل رواق الشوام سنة كاملة، واستاء لذلك الخديوى وشيخ الأزهر وانصدعت لذلك قلوب الشعوب الإسلامية.

جهاد الأزهر فى الثورة العرابية:

قام الأزهر بنصيب[١] كبير فى إذكاء الحماسة ونشر التعليم وإعداد النفوس لتلبية نداء الحرية، فقد قام رجاله وعلى رأسهم الشيخ عبد الله الشرقاوى منذ أوائل القرن التاسع عشر بإعلان حقوق الشعب وإلزام الوالى باحترام هذه الحقوق، ثم ظهر بعد ذلك رجال أفذاذ سجلوا للأزهر صفحات خالدة فى تاريخنا مثل رفاعة رافع والسيد عبد الله النديم والشيخ محمد عبده.

فالأول كان زعيمًا لنهضة العلم والأدب فى عصره، ومن أهم أعماله تأسيس مدرسة الألسن التى خرجت نخبة من العلماء والأدباء والشعراء، كما قام بترجمة الدستور الفرنسى، وعلق على الترجمة تعليقات تدل على فهم صحيح لأحكامه ومبادئه، وميل فطرى إلى[٢] النظم الحرة، وترجم القانون المدنى الفرنسى ونشر رحلته فى فرنسا وسماها «تخليص الإبريز»، ولم يقتصر نشاطه على التأليف والترجمة والتدريس، بل خدم الأدب، وله قصائد شعرية تدل على وطنية صادقة وتفان فى محبة الوطن، وبلغ من حماسته أنه عرَّب نشيد المارسلييز الفرنسى الذى يعتبر من أجمل الأناشيد الحماسية القومية، حتى لا يحرم أبناء وطنه من تذوق هذا النشيد.

وأما السيد عبد الله النديم، فقد حاول أن ينفث فى الأمة الحماسة، كى يستيقظ الشعب من غفوته، ونادى بضرورة تعليم أبناء الوطن تعليمًا نافعًا، وفى سبيل

(١) مجلة الأزهر ١٣٧٢ -الأستاذ أحمد عز الدين خلف الله.

(٢) تاريخ الحركة القومية الرافعى ج ٣ ص ٤٧٩.

تحقيق أغراضه أسس «الجمعية الخيرية الإسلامية»، ونحانحوا جديداً لنشر أفكاره، فألف مسرحيتين إحداهما (الوطن وطالع التوفيق) والأخرى (العرب)، مثلهما هو وتلاميذه على مسرح زيزينيا بالإسكندرية. وقد بين فى مسرحيته الأولى جميع الأمراض والعلل التى تهدد الأمة فى وجودها.

وبينما كان صوت النديم يجلجل بالإصلاح، ويمهد للثورة فى نفوس المثقفين كان الشيخ محمد عبده يبث تعاليم السيد جمال الدين الأفغانى فى دروسه، ويعالج الشئون العامة للبلاد فى صحيفتى الأهرام والوقائع الرسمية.

ورأس الثورة المفكر أحمد عرابى (باشا) تلقى علومه فى الأزهر مدة أربع سنوات، وكان لهذه المدة على ضآلتها أثر كبير فى تكوين شخصية عرابى كزعيم ثورى، إذ جعلت منه خطيبًا مفوها يستولى على عقول سامعيه ويهز مشاعرهم.. ووسط هذا النضوج الذهنى اندلع لهيب الثورة.

وفى ٢٥ مايو عام ١٨٨٢ قدمت كل من انجلترا وفرنسا مذكرة يطلبان فيها إبعاد عرابى (باشا) وإرسال كل من: على (باشا) فهمى وعبد العال (باشا) حلمى إلى أية جهة داخل القطر المصرى، واستقالة وزارة البارودى، فرفض مجلس الوزراء مطالب الدولتين، واجتمع أحمد عرابى ومحمود سامى البارودى وكبار الضباط فى قشلاق عابدين واتفقوا فيما بينهم على أن يكونوا يدًا واحدة فى الدفاع عن البلاد، وارسلوا إلى الشيخ محمد عبده ليضع لهم صيغة يمين الثورة فوضعها لهم، وتلاها عليهم، فرددوها فى صوت واحد.

واستقالت وزارة البارودى يوم ٢٦ مايو عام ١٨٨٢ ، وأراد الخديوى توفيق أن يبث التفرقة فى صفوف الزعماء، فعقد اجتماعًا يوم ٢٧ مايو حضره من العلماء الشيخ محمد الإنبابى شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد عليش والشيخ حسن العدوى والشيخ أبو العلا الخلفاوى وحضره شريف باشا وكبار النواب والضباط وعرض الخديوى على المجتمعين تشكيل وزارة برياسته، وقبول المذكرة الإنجليزية الفرنسية. فأجاب طلبة باشا عصمت على كلام الخديوى قائلاً «إننا مطيعون لجناب السلطان الشاهانى وللجناب الخديوى. ولكن هذه اللائحة يستحيل علينا تنفيذها،

ولا حق للدولتين فى طلب تنفيذها، فهى تتعلق بمسائل من اختصاص الباب العالى أن ينظر فيها ويستحيل علينا قبول أحد رئيسًا للجهادية خلاف رئيسنا أحمد عرابى»، ووافق على قوله الشيخ عليش والعلماء جميعًا. ثم غادر طلبة باشا مجلس الخديوى بدون استئذان وتبعه الضباط والعلماء.

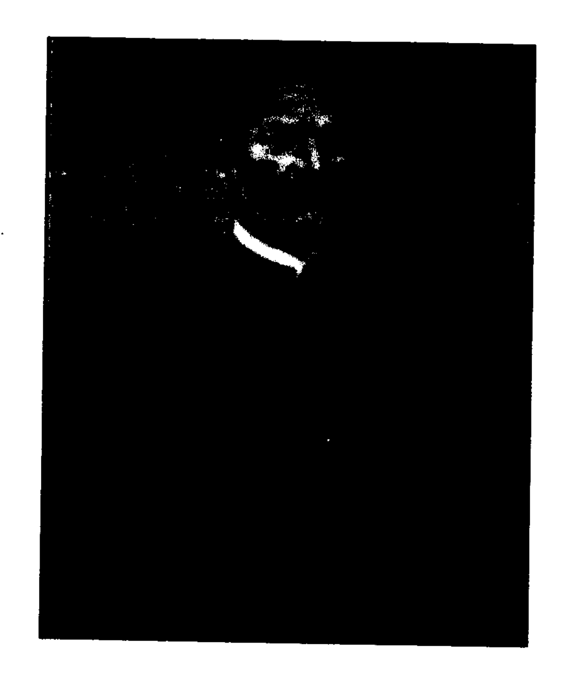
وبعد ضرب الإسكندرية فى ١١ يولية عام ١٨٨٢ هب عرابى باشا للدفاع عن البلاد، فأصدر الخديوى أمر بعزله فى ١٠ يولية، وبناء على ذلك اجتمع المؤتمر الوطنى للمرة الثانية فى ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ ليقرر موقف الأمة من الخديوى الذى أعلن بتصرفاته انضمامه إلى الإنجليز. وتلا الشيخ محمد عبده على أعضاء المؤتمر أوامر الخديوى التى تثبت إدانته ومنشورات عرابى باشا التى تدعو إلى الدفاع عن الوطن. ثم ألقى على باشا الروبى خطبة ندد فيها بموقف الخديوى المزرى إزاء قضية البلاد، ثم تليت فتوى شرعية أصدرها العلماء بمروق الخديوى عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده، فأصدر المؤتمر الوطنى قراره التاريخى بعزل الخديو ووقف أوامره وتكليف عرابى بالدفاع عن البلاد، وتكليف المجلس العرفى بتبليغ هذه القرارات للسلطان، ووقع الحاضرون على ما قرره المؤتمر الوطنى وكان من بين العلماء الموقعين على ذلك: الشيخ محمد الإنبابى شيخ الجامع الأزهر، الشيح حسن العدوى، الشيخ عبد الله الدرسناوى مفتى الحنفية، الشيخ محمد عليش مفتى المالكية، الشيخ يوسف الحنبلى مفتى الحنابلة، مفتى الأوقاف؛ الشيخ عبد الهادى الإبيارى، الشيخ محمد الأشمونى الشيخ خليل العزازى، الشيخ مسعود النابلسى، الشيخ محمد القلماوى، الشيخ زين المرصفى، الشيخ حسين المرصفى، الشيخ سليم عمر القلعاوى، الشيخ عثمان مدوخ، الشيخ عبد الرحمن السويسى، ومن رجال القضاء الشرعى: الشيخ أبو العلا الخلفاوى الشيخ عبد القادر الرافعى، الشيخ عبد القادر الدليشانى، الشيخ أحمد الخشاب.

الأزهر يغذى ثورة عرابى:

ولقد كان البارودى ومحمد عبده وسعد زغلول ومحمد نديم قادة التفكير والقلم فى هذه الثورة، واستأنفت الحركة الفكرية سيرها الذى قطعته الحوادث، وبدت طلائع نهضة جديدة فى الآداب العربية، وظهر فى الإنتاج الأدبى يومئذ



الزعيم سعد زغلول



الزعيم أحمد عرابى

عنصر قوى من الأدب المبتكر، وأخذت فى نفس الوقت عناصر الثقافة الجديدة تحدث أثرها فى إنتاج الجيل الجديد. ويعود الفضل فى ذلك كله إلى الأزهر، وظهرت طائفة من المؤلفات والكتابات القومية التى تحررت من اغلال القديم سواء فى اللفظ أو المعنى، وحملت هذه الروح الجديدة فى طريقها كل شيء، وغدت أقوى دعامة فى صرح النهضة.

قويت الحاجة إلى الصحافة وظهر عبد الله نديم بجريدته «التنكيت والتبكيت»، إلا أن النديم ابدل الأسم فى آخر لحظة باسم الطائف تيمنا باسم مدينة الطائف فى الحجاز، وبالنسبة إلى أنها تطوف بأرجاء الدنيا، كما كانت «الجواكب» التى يصدرها أحمد فارس الشدياق باستامبول تجوب أرجاء العالم. واتخذ رجال الثورة «الطائف» لسان حالهم، فكانت تذيع المنشورات والأوامر وتحض على الجهاد، وكانت تطبع من داخل معسكر كفر الدوار.

والى جانب الطائف صدرت عدة صحف للثورة منها: المفيد للسيد أمين الشمسى والزمان، والاعتدال وغيرها.

وقام الشعراء فى القاهرة وفى الإسكندرية يلقون الأشعار الحماسية والقصائد الوطنية، فمن ذلك ما نظمه أحد علماء الأزهر من قصيدة مطولة له يقول فيها:

لعمرك ليس ذا وقت التصابى ... ولا وقت السماع على الشراب

ولا وقت الجلوس على القهاوى ... ولا وقت التغافل والتغابى

ولا وقت التشبب فى سليمى ... ولا وقت التشاغل بالرباب

ولكن ذا زمان الجد وافى ... وذا وقت الفتوة والشباب

ووقت فيه الاستعداد فرض ... إقامة بالقلاع وبالطوابى

ووقت فيه الاستعداد فرض ... لتنفيذ الأوامر من عرابى

وقولوا يا عرابى دم رئيسًا ... لحزب النصر محفوظ الجناب

ومن قصيدة أخرى لشاعر آخر جاء فيها:

نوال المعالى طعان الكتائب ... ونيل الأمانى من ثمار المتاعب

وظهـر الأعـادى بالتـدبر أولاً — وبعد بإشهار السيوف القواضب
ومن كعرابى فى البرايا وحزبه — أولى العزم أصحاب القنا والقواضب

وقام الخطباء يحضون الشعب على مقاومة أعداء الدستور، والأخذ بناصر زعماء الثورة، وكان عبد الله نديم خطيب الثورة لا يفتأ يخطب فى كل ناد ومجتمع ومسجد، فمن ذلك خطبته التى خاطب بها جنود الجيش:

حماة البلاد وفرسانها. من قرأ التاريخ، وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل، عرف مقدار ما وصلتم إليه من الشرف، وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات، فقد ارتقيتم ذروة ما سبقكم إليها سابق، ولا يلحقكم فى إدراكها لاحق، ألا وهى حماية البلاد وحفظ العباد وكف يد الاستبداد عنهما، فلكم الذكر الجميل والمجد المخلد يباهى بكم الحاضر من أهلنا، ويفاخر بأثركم الآتى من أبنائنا فقد حبا الله الوطن بحياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقى، فإن الأمة جسد والجند روح، ولا حياة للجسم بلا روح، وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم.

وكانت خطبة الجمعة فى المساجد تحض على الجهاد، فمن ذلك خطبة الشيخ على المليجى فى مسجد أسيوط حيث كان يحض المصلين على الغزو والجهاد والتطوع فى سبيل نصرة الجيش، إذ قال:

إن الانجليز قد طاشت عقولهم، وعميت بصائرهم، فلم يحسنوا الضروريات، فساموا بسوق أموالنا وديارنا نفيسها، وساقوا إلينا من زيف المعارضات خسيسها. وقابلوا عيشنا بخداع، وفتشوا أكتافنا لغدر أضمروه ليوم النزاع، ونحن لما جبلنا عليه من محاسن الإيمان. وفينا لهم بعقد الذمة والأمان. فعاملناهم بالحسنى، وجبرنا ما كان منهم ضعفا ووهنا، فلما صحت أبدانهم، وعمرت أوطانهم، لم يقنعوا، فعاد عليهم سوء الحال بالانقلاب، فخربوا بيوتهم بأيديهم من غير زعزعة منا ولا اضطراب وهكذا خاتمة أهل السوء والفحشاء.

وقد بذل العلماء جهودًا كبيرة، فى سبيل الدفاع القومى، فدعوا إلى التطوع فى صفوف الجيش المصرى وإمداده بالمؤن والتبرعات. وكان من أبرزهم الشيخ محمد

عبده، والشيخ حسن العدوى، والسيد عبد الله النديم الذى كان لسان الثورة الناطق والذى كان يستدعى للخطابة بالبرق، حتى لقب بخطيب الثورة، بل (خطيب الشرق).

وبعد انتهاء الثورة العرابية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدموا للمحاكمة وهذا بيان بالعلماء الذين قبض عليهم والأحكام التى صدرت ضدهم، وأمام كل منهم اسم البلد التى اختارها لمنفاه[١]:

الشيخ عبد الرحمن عليش، وقد نفى خمس سنوات خارج القطر المصرى بالآستانة.

الشيخ عبد القادر قاضى مديرية القليوبية، وقد نفى أربع سنوات خارج القطر المصرى ببيروت.

الشيخ محمد الهجرسى، وقد نفى أربع سنوات خارج القطر المصرى بمكة المكرمة.

الشيخ أحمد عبد الجواد القاياتى، وقد نفى أربع سنوات خارج القطر المصرى ببيروت.

الشيخ محمد عبد الجواد القاياتى، وقد نفى أربع سنوات خارج القطر المصرى ببيروت.

الشيخ يوسف شرابة، وقد نفى أربع سنوات خارج القطر المصرى بغزة.

الشيخ محمد عبده، وقد نفى أربع سنوات خارج القطر المصرى ببيروت.

هذا مع تجريدهم من الرتب والإمتيازات والمناصب وعلامات الشرف.

وحكم على العلماء الآتية أسماؤهم بتجريدهم من جميع رتبهم وعلامات شرفهم وامتيازاتهم:

الشيخ حسن العدوى وابنه الشيخ أحمد العدوى -الشيخ أحمد المنصورى- الشيخ محمد السملوطى- الشيخ أحمد البصرى- الشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى

(١) الثورة العرابية الرافعى صفحة (٩٤٠) وما بعدها.

العضو الأول بالمحكمة الشرعية- الشيخ عبد الوهاب عبد المنعم قاضى إسنا سابقًا- الشيخ محمد أبو عائشة قاضى بورسعيد سابقًا- الشيخ على الجمال نقيب الأشراف بدمياط- الشيخ أحمد عبد الغنى- الشيخ محمد عسكر- الشيخ أحمد مروان- الشيخ محمد جبر قاضى المنصورة سابقًا- الشيخ عبد البر الرملى قاضى العريش سابقًا- الشيخ أحمد صلى نائب محكمة المنصورة سابقًا- الشيخ محمد غزالى قاضى مركز البحيرة.

وقد استدعى الشيخ حسن العدوى من السجن لمحاكمته يوم الثلاثاء (١٤ محرم سنة ١٣٠٠- ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢)، فنطق بالحق غير هياب ولا وجل، ولا مكترث بالحكم الذى سيصدر عليه، ونقتبس هنا طرفا من محاكمته: سئل رحمه الله تعالى: هل ختم على عزل الخديوى وإسناد أمر الدفاع عن البلاد إلى عرابى باشا برغبته ورضاه، أم لسبب آخر؟. فأجاب «ختمت تابعًا للعلماء الذين ختموا قبلى مثل شيخ الإسلام ومفتى الجامع الأزهر وشيخ الجامع وغيرهم، وكان ختمى برغبتى ورضائى للمدافعة الواجبة شرعًا وسياسة، وما كان ينبغى لأحد أن يمتنع عن الختم. ولما سئل: هل علم المجلس أنك أفتيت بعزل الجناب الخديو فهل هذا الحقيقة أم لا؟ أجاب: بأنه: لم تصدر منى فتوى فى ذلك، ولم أسأل فى هذه المادة. ومع ذلك فإن جئتمونى الآن بمنشور فيه هذه الفتوى فإنى أوقعه، وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديوى توفيق مستحق للعزل لأنه خرج عن الدين والوطن.

وقد وقفنا على قصيدة لحضرة الفاضل الشيخ محمد النجار جمعت ما جمعت من وصف الحال فى الثورة العرابية، والدعاء لاستنهاض الهمم واستثارة الحمية، وجاء فيها:

بالنصر قد جاء الكتاب مشيرا	وبه أتى هادى الأنام بشيرا
يا أحمد المرجو لمصر ومن غدا	فينا أمينا للجيوش أميرا
بشراك بالنصر المبين فثق به	وكفى بربك هاديا ونصيرا
فازحف بجيشك يا مظفر ضاربا	فى الإنجليز وقاتلن سيمورا

واقطع بسيفك أمة قد أمروا | أنثى عليهم إذ عدمن ذكورا
قوم تربوا فى الثلوج فطبعهم | يهوى البرود ولا يطيق حرورا
يا يوم قد خرجوا وجر وبورهم | رمما وجرحاهم تمج بحورا
رجعوا ويوم السبت مبغوض لهم | إذ لم يروا فى يوم سبت نورا
قد أحرقوا قتلاهم من ظلمهم | حتى لقد ظلموا بذاك سعيرا
ضربوا مدافع حزنهم أسفا على | من مات منهم خاسئا وحسيرا
ندبوا رؤوسهم وقد هلكوا وما | بالبحر إلا من رأيت صغيرا
وكتبوا لسيدة لهم أن جهزى | غنما لعيد المسلمين كثيرا
وتغيبوا عنا زمانا وانثنوا | مثل الفراش فدمروا تدميرا
يا إنجليز ومن ينادى ميتا | يخطى وكيف أخاطب المقبورا
بالثغر جئتم بغتة وضربتمو | من غير وعد أولا وأخيرا
واسكندرية قد ضربتم دورها | ما الحرب ضربكم البنا والدورا
ما عندنا إلا رجال ذكرهم | يسمو على مر الزمان دهورا
ما عندنا إلا أسود عساكر | وقفت لتنحر بالسيوف نحورا
أنسيتمو أرضا حبتكم ثروة | وسكنتموها جنة وقصورا؟
ورأيتم فيها رجالا أمرهم | فى حفظهم لكم غدا مشهورا
أنسيتم أرضا دخلتم روضها | وجنيتم ثمرا به وزهورا؟
ذوقوا رصاصًا من بنادق هيئة | لكم لتشرح فى الصدور صدورا
وخذوا مدافع بالقنابل أرسلت | لكم لتأخذ جسمكم وتطيرا
هذا جزاؤكم على كفرانكم | نعماء ولا يرضى الإله كفورا
نحن الألى كنا نياما حيث لا | عدل وكان أميرنا مأمورا

نمنا كأهل الكهف دهرا ليتنا قد كان حافظ أمرنا قطميرا
نحن الألى كنا ضعافا حيث لا شرع وكان كتابنا مهجورا
حتى فقدنا قوة العرب الألى فتحوا البلاد وأحسنوا التدبيرا
واليوم نبهنا الزمان وجاءنا حامى حمى القطر السعيد مجيرا
يا طالما كذبت جرائدكم على أولاد مصر واقترفتم زورا
وبعثتم أولادكم ونساءكم وسقيتم أهل الفساد خمورا
كنا ضعافا حيث لا حرية فينا ولم نعرف لذاك غيورا
واليوم قام لأحمد الجيش الذى وافى وأصبح جيشه منصورا
وأتته من أهل البلاد إعانة وعساكر ضربوا لذاك نفيرا
عرب التقى أهل التقى من خيلهم سبقت لتنزل فى العدو صقورا
وعساكر هجموا أسوداً فى الوغى ولدى اصطفاف الصف صاروا سورا
ورجال دين حيث قد خافوا على ذرية من بعدهم تكفيرا
خافوا على أعراضهم من أمة خانت وكم فضحت وفضت حورا
خافوا على أوطانهم وبلادهم خافوا على جعل الغنى فقيرا
خافوا على جعل المساجد مربطا للخيل أو جعل الرجال حميرا
خافوا على الكتب التى قد دونت ولكم حوت علما يزيدك نورا
خافوا على آل الرسول وبيته والله فضلهم عليك كثيرا
خافوا على الدين القويم وأهله من أشبهوا فى الاهتداء بدورا
خافوا على مفتاح بيت الله والبقع التى قد طهرت تطهيرا
خافوا على ترك الفروض وقطعنا جهر الأذان وهجرنا التكبيرا
يا مسلمون استبشروا فعدوكم ولى، وأصبح جيشه مكسورا

ولسوف يعلو قدركم ومقامكم ... يعلو وامركم يكون شهيرا

يا أيها الشجعان هذا وقتكم ... فأروا العدا عزما لكم مشهورا

أن الحياة مع المذلة موتة ... وبها نرى عذب المذاق مريرا

كونوا كما أنتم عليه وجاهدوا ... حق الجهاد وحاذروا التأخيرا

بيضتم صحف التواريخ التى ... فاحت بذكركم الزكى عبيرا

لا كان أخذ الانكليز بلادنا ... أبدا ولا قد كان ذا مقدورا

والله لو رحنا جميعا ما نرى ... تسليمنا تلك البلاد يسيرا

أرض سقيناها دموع عيوننا ... وبها جرى النيل السعيد غزيرا

أرض عليها استشهدت أجدادنا ... فعلام لا يرث الصغير كبيرا؟

إن عاش منا واحد يا سعده ... أو مات لاقى جنة وحريرا

وطن بأيدينا زرعنا أرضه ... فغدا نضيرا ينبت الاكسيرا

يا آل مصر ألا فقووا عزمكم ... واستغنموا بيد الجهاد أجورا

يا آل مصر ألا أعينوا جيشكم ... إذ قام يحفظ بالدفاع ثغورا

إذ قام بحفظ أرضكم وبلادكم ... ونساءكم وصغيركم وكبيرا

يا آل مصر ألا اتركوا من عضدوا ... قوما لقد خانوا فكانوا بورا

هم خائنو الوطن الذى شبوا به ... وفقيرهم منه لقى تنكيرا

هم خائنو الرتب التى قد نقصت ... بهم فكانوا للعباد شرورا

آل النفاق علام تبغون العدا ... ألكم بهم نسب غدا مستورا؟

أم أنهم لا كنتم أحبابكم ... ولديهم صار اسمكم مسطورا

فى بورسعيد وغيره قد خنتم ... وفعلتم للانجليز أمورا

بور لكم، وسعيد طالع وقتنا ... ولكم بذا يوم يكون عسيرا

من لم يكن فيه لمسقط رأسه خير رأى فى غيره التحقيرا

سأرى بسعد الفال شعرى ناطقا ولرب أشعار تكون ثبورا

عما قريب سوف يظفر جيشنا ويجى عرابينا لنا مسرورا

ونرى الألى حملوا لواء النصر فى حفظ البلاد وأنجزوا المأمورا

ويسرنا تقبيل مسك وجوههم فلقد بنوا لحمى الشريعة سورا

ونرى بهذا القطر أعظم زينة فرحا بما قد ناله وسرورا

ونرى لمصر سعادة أبدية ويكون من فيها بذاك فخورا

وتكون للسلطان أعظم قوة ولها يكون معضدا وظهيرا

وهى صورة للشعر الوطنى فى الثورة القومية الوطنية التى قام بها عرابى وإخوانه.

✿✿✿

قوانين الأزهر

ومنذ عام ١٨٧٢م (١٢٨٨هـ) وضعت للأزهر عدة قوانين لتنظيمه وإصلاحه من أهمها.

١- قانون بتنفيذ قانون التدريس -٣ من فبراير ١٨٧٣.

٢- قانون امتحان من يريد التدريس بالجامع الأزهر -٢٤ من مارس ١٨٨٥.

٣- قرار بضبط عدد أهل الجامع الأزهر -١٥ أكتوبر ١٨٨٥.

٤- قانونه بامتحان التدريس -١٩ يناير ١٨٨٨.

٥- قانون بتشكيل مجلس إدارة الأزهر -٣ يناير ١٨٩٥.

٦- قانون بامتحان من يريد التدريس فى الأزهر -١٧ يناير ١٨٩٥.

٧- قانون صرف المرتبات بالأزهر -٢٩ يونيو ١٨٩٥.

٨- قانون كساوى التشريفة العلمية -أول فبراير ١٨٩٦.

٩- قانون الجامع الأزهر -٨ محرم ١٣١٤- أول يوليو ١٨٩٦.

✿✿✿



الخديوى إسماعيل باشا

الفصل الثانى

بعد الثورة العرابية

واصل الأزهر سيره العلمى بعد الثورة، وعنى الإمام محمد عبده والمصلحون من علماء الأزهر بالدعوة إلى تجديد الدراسة فى أروقة الأزهر ومعاهدة.

وقد صدر عام ١٣٢٩هـ، ١٩١١م قانون بإصلاح الأزهر الشريف، كان له أثره الكبير فى حياته العلمية، وجاء فى المادة الأولى منه أن الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر: والمعاهد الأخرى هى: معهد مدينة الإسكندرية: معهد مدينة طنطا: معهد مدينة دسوق: معهد مدينة دمياط. . وكل معهد يؤسس فى القطر المصرى بإرادة سنية، وكذا كل معهد أهل يتقرر إلحاقه بالجامع الأزهر أو بأحد المعاهد الأخرى بالشروط والأوضاع التى تبين فى لائحة يضعها المجلس الأعلى ويصدق عليها بإرادة سنية.

وجاء فى المادة الثانية: أن الغرض من الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى هو القيام على حفظ الشريعة الغراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الأمة وتخريج علماء يوكل إليهم أمر التعاليم الدينية ويلون الوظائف الشرعية فى مصالح الأمة ويرشدونها إلى طرق السعادة.

وفى المادة الثالثة: تكون مدرسة القضاء الشرعى قسما ملحقًا بالجامع الأزهر وتبقى حافظة لنظامها المقرر لها فى قانون ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٧، ويحل مجلس الأزهر الأعلى محل ناظر المعارف العمومية فى جميع الاختصاصات التى له الآن بمقتضى القانون المشار إليه وتفصل ميزانية المدرسة عن نظارة المعارف ويخصص لها باب مستقل فى ميزانية الحكومة العمومية، وتجرى عليها الأحكام المتعلقة بها ويبقى موظفو المدرسة من مستخدمى الحكومة.

وفى المادة الرابعة: أن شيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه وفى المعاهد الأخرى والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة إلى من ينتمى لجميع المعاهد من أهل العلم وحملة القرآن الشريف وكذا من كان من أهل العلم وحملة القرآن الشريف من غير المصريين.

وفى المادة الخامسة: أن شيخ الجامع الأزهر بصفته رئيس المجلس الأعلى هو المنفذ الفعلى العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر والمعاهد الأخرى. وأرباب الوظائف فى جميع المعاهد تابعون بهذه الصفة وخاضعون لأوامره، طبقًا لما هو مقرر فى هذا القانون.

وفى المادة السادسة: يكون لكل مذهب من المذاهب الأربعة بالجامع الأزهر شيخ، وكذا يكون لكل معهد من المعاهد الأخرى. ويجوز عند الاقتضاء تعيين وكلاء للجامع الأزهر ولباقى المعاهد، ويكون لهم جميع الاختصاصات التى للمشايخ فى حال غيابهم الرسمى.

وفى المادة السابعة والثامنة: يكون بالجامع الأزهر مجلس يسمى مجلس الأزهر الأعلى. وتنشأ مجالس إدارة للأزهر ولمعهد الإسكندرية وطنطا. ويؤلف مجلس الأزهر الأعلى من شيخ الجامع الأزهر بصفة رئيس ومن ثمانية أعضاء هم: شيخ السادة الحنفية، شيخ السادة المالكية، شيخ السادة الشافعية، شيخ السادة الحنابلة - مدير عموم الأوقاف المصرية- ثلاثة ممن يكون فى وجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام إدارته بشرط أن يكونوا من الحائزين للصفات الملائمة لحالة الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، ويكون تعيينهم بإرادة سنية بناء على قرار من مجلس النظار وفى غياب شيخ الجامع الأزهر ينوب عنه فى الرياسة شيخ السادة الحنفية.

وفى المادة التاسعة يختص مجلس الأزهر الأعلى بما يأتى:

أولا- وضع الميزانية العمومية للجامع الأزهر والمعاهد الأخرى.

ثانيًا- النظر فى إنشاء المعاهد الدينية العلمية الإسلامية وإلحاق بعض المعاهد الصغرى بالتى هى أكبر منها أو تغيير تبعيتها.

ثالثًا- النظر فى فصل المعاهد من تبعية غيرها وجعلها للجامع الأزهر مباشرة.

رابعًا- النظر فى إنشاء مجالس إدارة للمعاهد التى ليس لها مجلس إدارة.

خامسًا- وضع النظم العامة للتدريس والامتحانات.

سادسًا- التصديق على تقرير الكتب التى تدرس بالجامع الأزهر والمعاهد الأخرى.

سابعًا- النظر فى ترشيح مشايخ المعاهد الأخرى والوكلاء وترقيتهم ونقلهم وفصلهم.

ثامنًا- النظر فى ترشيح مجالس الإدارة.

تاسعًا- التصديق على ما تقرره مجالس الإدارة من تعيين المدرسين والموظفين وترقيتهم ونقلهم وفصلهم.

عاشراً- النظر فى منح كساوى التشريف العلمية لمستحقيها بناء على قرارات مجالس الإدارة.

وقد نصت مواد القانون على أن مجلس الأزهر ينعقد بالجامع الأزهر مرة فى كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس، ولشيخ الجامع عقده أكثر من ذلك إن دعا الحال.

وإن قرارات مجلس الأزهر الأعلى تكون بأغلبية الآراء، وإن استوى الفريقان فالأرجحية للفريق الذى فيه الرئيس، ولا تصح مداولته إلا إذا حضر الجلسة ستة من الأعضاء سوى الرئيس.

وفى المادة الثانية بعد المائة وما بعدها: يكون بالجامع الأزهر ثلاثون عالما اختصاصيا، لكل واحد منهم بالأزهر كرسى خاص فى المحل الذى يخصص للتدريس العام بمعرفة شيخ الجامع الأزهر ويجوز أن يوجد البعض منهم فى المعاهد الأخرى بصفة شيخ المعهد أو وكيله.

ويطلق على العلماء الثلاثين المذكورين فى المادة السابقة اسم هيئة كبار العلماء.

ويشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء:

أولاً: أن لا يكون سنة أقل من خمس وأربعين سنة.

ثانيًا: أن يكون قد مضى عليه وهو مدرس فى الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى عشر سنين على الأقل منها أربع على الأقل فى القسم العالى.

ثالثًا: أن يكون قد ألف كتابًا فى أحد العلوم الإسلامية، وأن يكون قد منح الجائزة العلمية المنصوص عليها فى المادة الثانية والعشرين بعد المائة فى هذا القانون.

رابعًا: أن يكون معروفًا بالورع والتقوى وليس فى ماضيه ما يشين سمعته.

❁❁❁



سعد باشا زغلول تعلم وتربى فى الأزهر

الفصل الثالث

الأزهر والحركة الوطنية عام ١٩١٩

فجأة وعلى غير تدبير سابق نهضت مصر نهضتها الكبرى عام ١٩١٩. كما تضىء فى الحفلة الرحبة الجوانب مئات الثريات الكهربائية بحركة لينة من أصبعك. ومرد هذه اليقظة الشاملة شعور مصر فى كل حين أن حقها سليب وحريتها منتهية، واستقلالها مفقود، وإنما تحتاج النهضات الأخرى إلى تدبير سابق يسلخ من العمر سنوات فى غير النهوض للحرية والاستقلال. أما والمصريون أحياء يحسون ويشعرون، والإنجليز أمامهم فى مظهر السيادة والتملك، فلم يحتج الأمر إلى تدبير مبيت فى الخفاء، إلا أن يهتف هاتف: أيها المصريون هذا يوم الخلاص، ليدوى الصوت فى أفق مصر، ويستجيب له صائد الأسماك فى بحيرة رشيد، كما يستجيب له القابض على يد المحراث فى وادى حلفا.

خرجت مصر كلها... كلها حقا، تطلب الحرية وتنشد الاستقلال، وتدفقت قوة الشباب فى جسوم الشيوخ، وجرت البطولة فى أبدان الشباب، وتفتحت البطولة فى روح الأطفال والغلمان، واحتوت الشجاعة والحماسة قلوب السيدات قرويات وحضريات، وأصبحت مصر أغرودة الجميع وحرية مصر لحنا يردده كل فم، واستقلال مصر آية مقدسة يرتلها العابدون الخاشعون.

ولقد تجلت كبرياء هذا العهد على الأزهر إذ كان مكانا صالحًا للنهوض، وحمل أبناؤه علم الجهاد الشريف الوادع.

تيقظ الأزهر دفعة واحدة وتحركت بواعث النخوة والوطنية فيه، كما تحرك كل ما فى مصر، وانتظم الجيش المسلح بإيمانه، المعتد بحقه، ورفعت الراية، وأصبح معهد الدين والعلم مستقر النهضة الكبرى ومستودع آياتها، وعلى أبوابه سقط أول شهيد مصرى وهو من أبناء الأزهر، احتمل المدفع الرشاش بين يديه. وكان لا يدرى ماذا يصنع به، وبينا هو يهم أن يقصيه فى مكان ما. إذا بثلاثين رصاصة تخترق جسمه فيخر صريعا!

ولست أستطيع أن أقـول شيئًا عن الاجـتماعات التى عـقدت فى الأزهر، فلم يكن منبـره يخلو لحظة من خطيب. ولا عن أولئك الـرجال الأبطال الذين كـانوا يتوسدون أيديهم، وينامون على أرض ذلك المسجد الفسيح. . ومن المجاهدين من علمائه الزنكلونى، وعبد الباقى سرور، والشـيخ أبو العيون وسواهم، ممن اشتدت الحركة الوطنية بفضل ما أفادوه فى بعث روح الإقدام والجرأة فى نفوس المصريين.

وكان الفقيد الكريم القاياتى يؤوب من المظاهرة فى منتصف الليل، فيطوى رداءه تحت رأسه على «حصيرة» فى الأزهر وينام حتى الصباح ليخطب فى المجتمعين.

أما المظاهرات فحدث عن إقدام الأزهريين ولا حرج، فـقد كانت طرقات مصر كلها تغص بهم، وتمتلىء رحابها بإقدامهم، وهم يتراكضون فى أنفة وعزة وشموخ إلى غاية المجد، إلى حيث الحرية والاستقلال.

كان كل شىء فى هذه النهـضة جميـلا ساميا، كـأننا فى جنة من جنان الخلد، وكان الشعـور السائد القوى، شعورًا سمـاويًا، حتى نسينا البغض والحقـد والتمرد على الواجب، وأصبح كل فرد يحتضن أخاه المصرى كأنهما ولدا فى منزل واحد، وبناحية كأنه وليه الحميم.

فى هذا العهـد الذى كان يتهم فيـه الأزهر بالتعصب وصرامـة الرأى، كان هو الذى فتح أبوابه لأبناء الطائفة القبطية محتفـلا مرحبا، وكانت هذه الظاهرة العجيبة من أقوى أسباب التضامن الوثيق بين العنصرين.

كذلك اغتبط الأزهـريون وفرحوا أن تشترك المصريات فى هذه النهـضة سافرات ومحـجبـات، ورأينا القس يعانق الشـيخ الأزهرى فوق منبر الأزهـر، كذلك رأينا السيدة المصرية تخطب فى هذا المكان المقدس.

ونذكر أن السلطة قررت منع الجمـهور من دخول الأزهر، وأرصدت على أبوابه طائفة من الجنود المصريين وطائفة من الإنجليز.

وكان من يحضرون إلى الأزهر، يلقون أمـر المنع، غير أن الوطنية المصرية أبت على الجنود المصريين أن يشتركوا فى صد جماهير الأمة عن كعبتها المقدسة، فكانوا يقولون لكل من يفد.

زاوية العميان!

وكانوا يقصدون بهذا القول أن يرشدوا الناس إلى طريق غير معروف لدخول الأزهر، فلقن الجنود الإنجليز هذا التعبير العربى، وجعلوا يقولون لكل من يفد.

زاوية العميان!

وبذلك اشتركوا مرغمين فى أن تعقد الاجتماعات فى الأزهر بدعوة منهم وهم لا يعلمون.

كذلك أتقن الطلاب فن التنكر والتخفى، فقد حرم دخول «الأفندية» إلى الأزهر، غير أن هذا جعل الشبان يتنكرون فى أزياء الشيوخ المعممين من شتى الأقطار، فهذا مراكشى وذاك تركى وثالث حجازى ورابع هندى وخامس جاوى. وهكذا ولكنهم أخيراً كانوا يخرجون فى زيهم الحقيقى زى «الأفندية»، فكان الجنود الإنجليز يتغيظون ويشتمون.

الأزهر بعد الثورة المصرية:

فى سنة ١٩٢٣م أنشىء قسم للتخصص فى العلوم الأزهرية بعد الحصول على الشهادة العالمية ليستزيد العالم تمكنا من مادته، واقتدارا على أداء مهمته، فأنشىء هذا القسم من بضعة شعب. وكانت شعبة الفقه والأصول إحدى هذه الشعب، وهى تعد خريجها لتولى وظائف القضاء الشرعى فى الدولة، وقد مهدت لألغاء مدرسة القضاء الشرعى فيما بعد، واستعيدت حقوق الأزهريين فى شغل هذه الوظائف بعد أن سلبت منهم حقبة طويلة.. وعنى بالتوسع فى دراسة العلوم الحديثة فى المرحلتين الإبتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية على غرار ما يدرس منها فى المدارس الأخرى.

وأنشىء لهذه العلوم تفتيش مستقل بإدارة المعاهد، وزودت المعاهد بالمعامل اللازمة لدراستها، وعين كثير من العلماء ممن تميز فى هذه المواد لتدريسها، وقد عدلت هذه البرامج فيما بعد بما يتفق ومكانها من العلوم الدينية وتم إنشاء القسم الثانوى لمعهد أسيوط وكان ابتدائيًا، ثم إنشاء معهد الزقازيق.

وظل الأزهر يخطو نحو غايتــه مسرعًا إذ وضع الشيخ محــمد مصطفى المراغى شيخ الجــامع الأزهر مذكرته فى إصــلاح الأزهر، تلك المذكرة التى تعــتبر دســتور الأزهر الحديث، وكل ما يلهج به دعاة الإصلاح بعدها فهو مقتبس منها أو مستمد من مبادئها وروحــها، فقانونا سنتى ١٩٣٠، ١٩٣٦ هما فى الحقيــقة قانون واحد صيغا من مبادئها وفصلا إجمالها، وبهذين القانونين على الأصح انتقل الأزهر من حال الاضطراب الثقافى إلى حال الاستقرار النهائى، ومن حال العزلة التى أنكرها على نفــسه وأنكرها الناس منه إلى حــال المشاركة فــى شؤون الأمة العــامة، فــقد جعلت العالم الأزهرى عضواً حيًا فى أمته يفــيد منها وتفيد منه، ورسمت له غايته والوسائل التى تعينه على أدائها، وشمل القانون الذى استمد منها نواحى إصلاحية كثيرة، والذي يعنينا منها هنا الناحيتان العلمية والمالية.

أما الناحية العلمية فأهمها تقسيم الدراسة العالية لأول مرة فى تاريخ الأزهر إلى ثلاثة أقسام، يعد كل قسم منها خريجيه لمهمة خاصة بعد إعداده لهذه المهمة إعدادًا فنيًا فى أقسام أخرى تلى هذه الأقسام تسمى «أقسام التخصص فى المهنة».

وأنشىء لمجموع هذه الأقــسام كليات ثلاث - وهى كلية الشريعــة، وكلية اللغة العربية، وكلــية أصول الدين - على أن يلى خريجــو هذه الكليات المهن التى تليق بمؤهلاتهم بعد تخصــصهم فيها، فيلى خريجــوا كلية أصول الدين وظائف الوعظ والإرشاد، وخريجوا كليــة الشريعة وظائف القضاء الشرعى، وخــريجوا كلية اللغة العربية وظائف التدريس فى المدارس الأميرية والحرة.

وقد ألحق بهذه الــكليات أقسام للتخــصص فى المادة، وهى أقسام علمــية ممتازة قصد منــها إعداد بعض العلماء إعــدادًا ممتازًا، بعد دراسة عمــيقة ليمكنهــم القيام بوظائف التدريس فى الكليات.

ولإعداد خريجى هذه الكليــات إعدادًا صحيحًا أدخل فى مناهج الدراســة فيها لأول مرة فى تاريخ الأزهر أيضًا مجموعــة من العلوم التى تتصل بمهمتهم، فأدخل فى مناهجها فقه اللغة وعلم النفــس وعلوم التربية والفلسفة وتاريخ الأديان ودراسة الفرق الإسلاميــة، وأصول القوانين والاقتصاد السياسى، والنظام الدســتورى، كما أدخل فيها دراسة بعض اللغات الغربية والشرقية.

ومما تضمنه القـانون إنشاء معـاهد للاستماع خـاصة فى بعض المدن، لا تتقـيد
ـود المعاهد النظامـية، والغرض منهـا سد حاجـة من يريد معـرفة أحكام الدين
للغة العربيـة من جمهرة الأمة، على أن يتـبع فيها طريقة التـدريس التقليدية فى
زهر، ويكون مقرها فى المساجد.

وأما الناحية المالية وأعنى بها الحقوق التى ظفر بها خريجو الأزهر بمقتضى هذا
انون، فـأهمها أنه ألغى مدرسـة القضاء الشرعى، فـأصبحت وظائفه خـالصة
يجى كليـة الشريعة دون غيرهم، وجـعل من حق خريجى كلية اللغـة العربية
دريس فى مدارس الحكومة والمدارس الحرة وكانـت محجورة عليهم قبل ذلك،
عل من حـق خريجى كلية أصـول الدين شغل وظائف الوعـظ والإرشاد التى
ت قبيل صـدور القانون، والتى لم تزل تنمو حتى أصبحت لـها إدارة خاصة،
لغ عدد الوعاظ الذين تشرف عليهم هذه الإدارة نحو ٢٥٠ واعظًا يؤدون للأمة
ل الخدمات فى إصـلاح الأمن وتهذيب النفوس. ويقضينا الإنصـاف أن نشير
إلى فضل المغفـور له محمد محـمود فى إنشاء قسم الوعظ، فقـد أشار عليه
سيخ المراغى شـيخ الجامـع الأزهر سنة ١٩٢٨م بتعـيين عـدد من العلمـاء فى
ائف الوعظ بوزارة الداخلية لإصلاح حال الأمن من طريق نشر تعاليم الدين،
ستجاب لهذه الإشـارة بعد استحـسانها من لدن الرأي العـام فى الأمة، وعين
سين واعظًا فى الوجه البحرى. وبعد تعينهم ببـضعة أشهر نقلوا بميزانيتهم إلى
زهر، فكانوا نواة هذا القسم الكبير. وقد كفل القانون لخريجى الكليات حقوقًا
ى فى وظائـف الدولة، ليس هذا موضع تفـصيلهـا. وبهاتين الناحـيتين من
صلاح العلمى والمادى اللتين شـملهما القانون المسـتمد من المذكرة المشـار إليها
ا سبق، تقاربت مسـافة الخلاف بين خريجى الأزهر وخريجى المعاهد الأخرى
وائف الأمة عامة، وتجدد نشاط الأزهر فى أداء رسالته، وأحست الأمة بأن له
انًا فى خدمتها، وأنه يأخذ منها ويعطيها. ولما كانت الكليات الأزهرية، والتى
منها القانون فى حاجـة إلى أماكن للدراسة، لذلك بدىء بإنشاء هذه الأماكن
مدينة أزهرية خاصة واسعة الأرجاء حـول الجامع الأزهر، لا تقصر عليها بل
سع لها ولأمـاكن مـعهـد القـاهرة ولمساكن الطـلاب وللإدارة العامـة للأزهر

ولمستشفى أزهرى خاص، وتسع عدا هذه الأبنية بناء للمكتبة الأزهرية وما يلحق بها من المطابع وقاعة للاحتفالات العامة تسع ألفين من النظارة، ووضع تصميم هذه المبانى وفُتح لها فى الميزانية العامة سنة ١٩٢٩م اعتماد مالى بمبلغ يقرب من ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات، وبدىء فى تنفيذها إذ ذاك بالفعل، وفكر المراغى سنة ١٩٢٨م فى إرسال بعثات أزهرية دراسية إلى بعض الجامعات الأوروبية، ليكون أعضاؤها دعاة إلى الإسلام، كما كان أسلافهم، وليفيدوا من ثقافة هذه الجامعات المتجددة ما يتصل بمهمتهم، ويسدوا حاجة الأزهر إلي تدريس المواد التى اقترح إدخالها ضمن برامج الدراسة فى المذكرة المشار إليها.
وفى سنة ١٩٣٦م سافرت هذه البعثات إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا فى جو من الغبطة والحذر، وكان فى ذلك أحياء لمجد الأزهر، وقام شيخ الأزهر بتوديع هذه البعثات بنفسه فى حفل من العلماء والطلاب، وألقى فيهم خطابًا رسم فيه الغاية من إرسالهم، وصور الجو الذى أحاط بهذه الفكرة فقال: «أرسلكم الأزهر وقلبه يخفق، وأنا واثق من أنكم ستكونون بهديكم وبقولكم وعملكم ومحبتكم أحسن الأمثلة لخريجى الأزهر الشريف». وقال: أنتم فى البلاد التى ستقيمون فيها مرشدون أولاً وتلاميذ ثانيًا ولا يعفيكم واجبكم الثانى من واجبكم الأول هو فى الحق المقصد الأسمى من هجرتكم». . ولتمكين الأزهر من أداء رسالته بكل ما يمكن من الوسائل فكر الشيخ الظواهرى فى إنشاء مجلة خاصة بالأزهر تكون صوته الرسمى يدوى فى مصر والأقطار الإسلامية، وتكون مجالاً للنشاط العلمى لعلمائه وطلابه، «وتعمل على نشر آداب الإسلام، وإظهار حقائقه خالصة من كل لبس وتكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات وتنبه إلى ما دُسّ فى السنة من أحاديث موضوعة، وتدفع الشبهة التى يحوم بها مرضى القلوب»، وابتدأ صدورها سنة ١٩٣٠م وأنشىء لها ولمطبوعات الأزهر والمعاهد مطبعة خاصة كاملة الأدوات تسد الان حاجة المجلة والكليات والمعاهد من جميع المطبوعات.

وفى يوم الثلاثاء ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٥١هـ - ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣م احتفل رسميًا بافتتاح كلية أصول الدين. وفى يوم الأربعاء التالى له احتفل

كذلك رسميًا بافتتاح كليتى الشريعة واللغة، وجاء فى كلمة شيخ الأزهر إبان ذاك، الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى التى ألقاها فى هذه المناسبة بحضور رجالات الدولة:

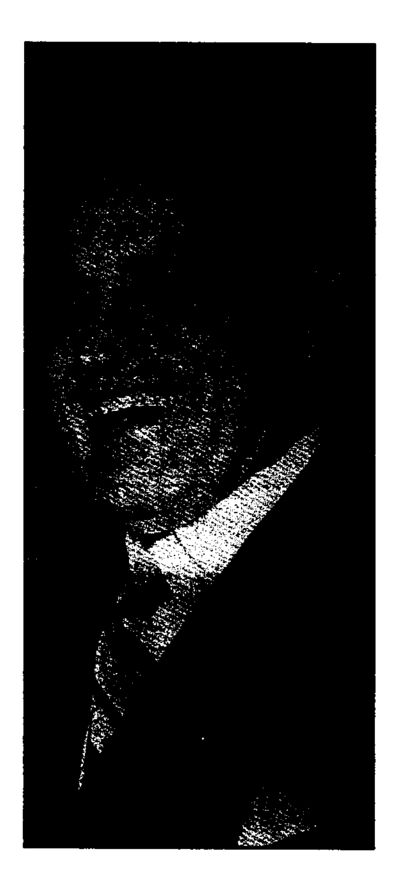
«صدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وافيًا بهذه الأغراض السامية، مع المحافظة على صبغة الأزهر الدينية والعربية. وكان من أكبر مزاياه إنشاء كليات: أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية، وجعل أبوابها مفتحة لجميع الطلاب المسلمين على اختلاف جنسياتهم، واستدراك ما كان فى القوانين السابقة من نقص فى مواد التعليم على اختلاف مراحله، فقد جعل من مواد الدراسة فى الكليات: تاريخ التشريع الإسلامى، ومقارنة المذاهب، وفن الحديث دراية، وآداب اللغة العربية وتاريخها، وفقه اللغة، وتاريخ الأمم الإسلامية، وعلم النفس، والفلسفة، مع الرد على ما يكون منافيًا للدين منها: وغير ذلك من المواد التى لم تكن تدرس فى القسم العالى من الأزهر الشريف.

ولما كان التخصص فى العلوم هو الطريقة المنتجة التى جرى عليها علماء الإسلام فى أوائل العصور، وإليها يرجع الفضل فى تقدم العلوم وارتقائها قديمًا وحديثًا، نص هذا القانون على إنشاء أقسام للتخصص فى المواد التى تعنى بها الكليات، للتبحر فيها، وعلى منح المتخرجين منها شهادة العالمية مع لقب أستاذ، وعلى جعلهم أهلاً لشغل كراسى الأستاذية فى الكليات، كما نص على إنشاء أقسام للتخصص فى التدريس والقضاء الشرعى والوعظ والإرشاد، يكون متخرجوها أهلاً للتدريس فى مدارس الحكومة والمعاهد وتولى الوظائف الشرعية والدينية فى الدولة.

وإذا كانت كليات الأزهر ستكون فى دور خاصة فى حَيِّه وبجواره، فإن نفس الجامع الأزهر سيكون معمورًا بالدروس على اختلاف أنواعها، مفتح الأبواب لقاصديه، من المسلمين على اختلاف طبقاتهم، غير مقصور على إقامة الصلاة.

ولقـد كان لصـدور هذا القانون، وانتـشار أنبـائه وقع حسن عظيم فى نـفوس المسلمين فى عامة الأقطار، وقد ابتدأت البعثات تتوارد وتتابع: من الصين وبولونيا وألبانيـا، والهند، وغيرها، للاغتـراف من هذا المنهل العذب. وأخذت الجـامعات الكبـرى تتصل بالأزهر الشـريف، وكان منهـا جامـعة غـرناطة، التى لبى الأزهر الشريف دعوتها إلى الاحتفال بمرور القرن الرابع على تأسيسها».

❁❁❁



مصطفى باشا النحاس

صدر فى عهده قوانين الأزهر

الفصل الرابع
الثورة المصرية الثالثة والأزهر

وقد قامت الثورة المصرية الوطنية القومية العسكرية الأخيرة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان للأزهر فضل كبير فى قيامها، وتوالت أحداث الثورة، فألف محمد نجيب وزارته الأولى فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢، ثم وقعت اتفاقية السودان بين مصر وإنجلترا فى ١٢ فبراير ١٩٥٣، وأعلنت الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣، وألفت وزارة الرئيس جمال عبد الناصر بعد ذلك. وكان الأزهر يقوى من دعائم الثورة، ويدعمهم فى العهد الجديد، الذى ثار على الفساد فحطمه، وعلى الطغيان فهدمه، ولا يزال يبارك مبادئ الثورة، ويدعو للإيمان بها.

ومنذ بدء الثورة تولى منصب مشيخة الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين، ثم الشيخ عبد الرحمن تاج.

ويرجى للأزهر أن يصطبغ بالصبغة العلمية، وأن يسير قدمًا فى سبيل أداء رسالته الجليلة.

قانون الأزهر الجديد:

وصدر قانون تطويره الأزهر فى عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م).. وهذا القانون هو الذى جعل من الأزهر جامعة دينية علمية شاملة.. والذى انتقل بالأزهر إلى مسايرة التطور العلمى فى العالم الحديث. محافظًا فى نفس الوقت على رسالته الدينية السامية وتقاليده القديمة.

وينص القانون على أن الأزهر يشمل الهيئات الآتية:

١- المجلس الأعلى للأزهر:

وهو الهيئة التى تختص بالتوجيه ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق أغراض الأزهر فى سبيل خدمة الفكرة الإسلامية الشاملة، ويرأس هذا المجلس شيخ الأزهر، ويضم أعضاء من كبار العلماء المتخصصين.

٢- مجمع البحوث الإسلامية:

وهو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية. ويقوم بدراسة كل ما يتصل بهذه

البحوث. ويعمل على تحديد الثقافة الإسلامية وتنقيتها من الشوائب، والكشف عن جوهرها الأصيل. والعمل على نشر الدعوة الإسلامية. وتنظيم بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامى، ومن العالم الإسلامى، ويتكون المجمع من خمسين عضواً من كبار علماء الإسلام، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية، ويكون من بينهم عدد لا يزيد عن العشرين من غير مواطنى جمهورية مصر العربية ويرأس المجمع شيخ الأزهر. ويكون نصف أعضائه على الأقل متفرغين لعضويته.

٣- إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية:

وهى الجهاز الذى يهىء لمجمع البحوث كل أسباب البحث والدراسة. ويختص بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح.

٤- جامعة الأزهر:

وتختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر. كما تهتم ببعث التراث العلمى والفكرى والروحى للشعوب الإسلامية والعربية، وإعداد بعض العاملين الذين يجمعون إلى جانب التفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن، كفاية علمية ومهنية، وتؤهلهم للاشتراك فى كل أنواع النشاط، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتضم الجامعة كليات الدراسات الإسلامية (أصول الدين والشريعة والقانون)، وكلية الدراسات العربية[1]، وكلية المعاملات والإدارة، وكلية الهندسة والصناعات، وكلية الزراعة، وكلية الطب وكلية التربية، وذلك علاوة على كلية البنات الإسلامية والتى فتحت مجالاً جديداً لدخول الفتيات إلى هذه الجامعة العتيدة.

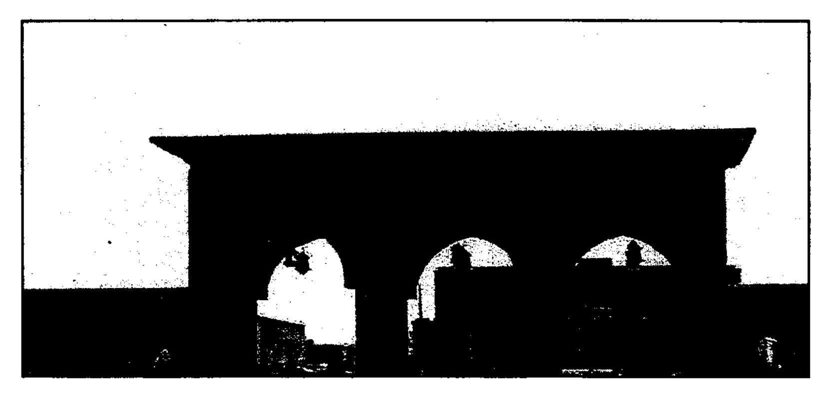
وما أن صدر قانون تطوير الأزهر، حتى بدىء فى وضعه موضع التنفيذ.

وفى شهر مارس ١٩٦٤ وضع حجر الأساس لمبانى الجامعة الجديدة فى مدينة نصر. وقد تم افتتاح مبانى بعض الكليات مثل الهندسة، والعلوم للعمل فى إنهاء بقية مبانى ومعامل هذه الكليات وتقدر تكاليف هذه المبانى بحوالى ٢,٥٠٠,٠٠٠ مليون جنيه مصرى. وهى مصممة على أحدث طراز وتضم مدرجات ومعامل حديثة.

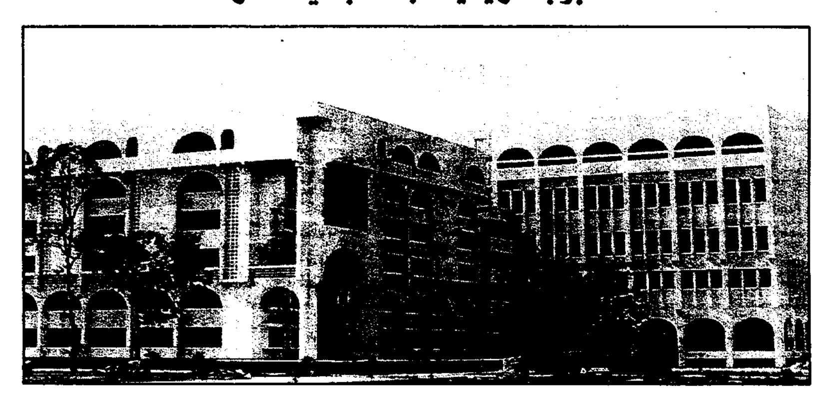
---

(١) كلية اللغة العربية وكلية الدراسات الإسلامية والعربية.

وتقع كلية الطب فى مستشفى الحسين الجامعى بجوار الجامع الأزهر. وهى تضم حاليًا ٥٠٠ طالب.



البوابة الرئيسية للجامعة بمدينة نصر



الإدارة الرئيسية للجامعة بمدينة نصر



البوابة الرئيسية لفرع الجامعة بأسيوط

وثورة فى الأزهر أيضًا

وجاءت الثورة..

الثورة بكل مبادئها وروحها وقوتها الثورة التى حررت الشعب، ورفعت سمعة الوطن، ونهضت ببلادنا، فى شتى مرافقها، وأولت الدين نصيبًا من إعزازها وعنايتها.

فكان لابد أن ينال الأزهر على يديها النصيب الموفور من الإصلاح والتجديد والتطور.

وهنا نلجأ إلى الأرقام..

كانت معاهد الأزهر قبل الثورة عشرين فصارت ٤٥، وكانت ميزانيته مليونين فصارت ٤ ملايين، وفى العام القادم ستصبح ٧ ملايين[١].

ويقول نائب الرئيس الأسبق السيد حسين الشافعى: إنه لابد أن ينشأ فى كل مدينة معهد دينى[٢].

وقد قامت الثورة عام ١٩٥٢ وفى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الحميد سليم، ثم خلفه الشيخ محمد الخضر حسين، فالشيخ عبد الرحمن تاج، فالشيخ محمود شلتوت، فالشيخ حسن مأمون، وغير لقب شيخ الأزهر فصار هذا اللقب هو «الإمام الأكبر».

ودخل التطور فى الأزهر بأوسع نطاق، فأعيدت عام ١٩٥٧ أقسام الدراسات العليا فى الأزهر، وأسهم الأزهر فى مختلف وجوه النشاط من العالم الإسلامى، وزيدت بعثاته العلمية إلى الدول العربية والإسلامية، واستقبل ألوف الشباب من أبناء العالم العربى والإسلامى ليتشقفوا فى معاهده وكلياته على خيرة الأستاذة وليعودوا إلى بلادهم أئمة ومرشدين فى شتى علوم الدين والعربية، وذهب الشيخ

---

(١) جريدة الأهرام المصرية فى ١٢/ ١/ ١٩٦٢م.

(٢) جريدة الأهرام المصرية فى ٤/ ١٩٦٢م.

تاج شيخ الأزهر فى رحلة إلى باكستان والهند وأندونيسيا، ثم ذهب من بعده الشيخ شلتوت فى رحلة إلى الفلبين والملايو. وفى عهده أنشئت إدارة للبحوث والثقافة الإسلامية.

وجاء دور التنظيم الجديد، تطوير الأزهر فسنَّ جمال عبد الناصر قانون الأزهر، الذى صدر فى ١٨ يوليو ١٩٦١، ونص فيه على ما يلى:

١- إنشاء كليات للدراسات الإسلامية، وكلية للدراسات العربية.

٢- إنشاء كليات جديدة للطب والهندسة والزراعة والإدارة والمعاملات فى الأزهر.

٣- إطلاق اسم جامعة الأزهر على كلياته الحالية وما يجد من كليات.

٤- إنشاء مجلس أعلى لجامعة الأزهر، ومجلس أعلى للأزهر.

٥- إنشاء مجلس إسلامى أعلى.

ووضعت مناهج جديدة للمعاهد الأزهرية ولكليات جامعة الأزهر، وصارت اللغات مواد أساسية فى جميع سنين الدراسة، وكانت هذه المواد من قبل لا تنال عنايتها من المنهج ولا من الدراسة.

هذه هى الثورة الضخمة. . التى دبت فى أروقة الأزهر ومعاهده وكلياته، ثورة بانية، تريد إيجاد رجل الدين المثقف الواعى المستنير، وتريد أن يسلح رجل الدين بسلاح العصر القوى المتين.

❁❁❁

النوابغ الذين تخرجوا فى الأزهر

وقد تخرج فى الأزهر فى العصر الحديث فريق كبير من عظماء الرجال. فمن الزعماء زعيم مصر المغفور له سعد زغلول، ومن الأدباء المرحوم على باشا مبارك وعبد الله فكرى باشا، والسيد رفاعة الطهطاوى، وحفنى ناصف بك، والشيخ حمزة فتح الله، ومن المصلحين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده[١].

وتخرج فيه كثيرون من أمراء الشرق ومجاهديه، فمنهم السيد الإدريسى الذى درس فى الأزهر ثم عاد إلى اليمن يعلم البدو أمور دينه ويحارب الأتراك فى سبيل استقلال بلاده، حتى تقلص الحكم التركى عن بلاد العرب فى ختام الحرب العظمى، وما زال سلطانًا مستقلاً واسع النفوذ حتى لقى حتفه فى سنة ١٣٤٠هـ.

ومنهم السيد صديق حسن خان أمير يهوبال السابق وقد تخرج فى الأزهر، وكان منتسبًا لرواق البخارية، ثم عاد إلى إمارته فاصلح شؤونها، وأقام فيها مجالس العلم، حتى توفى فى سنة ١٣٢٩ بعد أن رفع شأن بلاده.

ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله ملا الصومالى الذى درس فى الأزهر، ثم رحل إلى الصومال فأخذ يعلم الناس أمور دينهم، ويدعوهم إلى إخماد نيران الاستعباد حتى استطاع أن يؤلف بين قلوب القبائل فى الصومال ويحارب الإنجليز والإيطاليين والبلجيك والبرتغاليين ويستعمل الحيلة والدهاء فى حروبه، فحطم جهود الاستعماريين وطرد جيوشه، وما زال فى كفاح معهم حتى لقى ربه فى سنة ١٣٢٣ هجرية، فمهد موته الطريق أمام جيوش الاستعمار، وسقطت الصومال بعده فى أيدى الإنجليز والإيطاليين.

❁❁❁

(١) ومن الزعماء الذين درسوا فى الأزهر الزعيم أحمد عرابى، ومن أعلام الأزهر فى العلم والأدب والصحافة الشيخ أمين الخولى والأديب مصطفى لطفى المنفلوطى، والمفكر الصحفى الشيخ على يوسف وغيرهم.

أشهر رجال الأزهر
فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى

وقد اشتهر فى العصر الأخير جلة من العلماء الراحلين كانوا فى طليعة الشيوخ البارزين، على طريقة الأزهر القديمة، وقد أدرك البعض زمانهم، وتلقى بعض العلماء عنهم، نذكر منهم:

الشيخ أحمد الرفاعى الفيومى. الشيخ أحمد الجيزاوى. الشيخ محمد النجدى. السيد أحمد حنبلى البسيونى. الشيخ عبد القادر الرفاعى، الشيخ محمد عبده، الشيخ عبد الكريم سلمان. الشيخ سليمان العبد. الشيخ أحمد أبو خطوة. الأخوين: الشيخ محمد، والشيخ أحمد عبد الجواد القاياتى[1]. الشى حسن الطويل. الشيخ محمد حسنين البولاقى[2]. الشيخ حسين زين المرصفى. الشيخ هارون عبد الرازق[3] الشيخ محمد البيجرمى. الشيخ إبراهيم الظواهرى. الشيخ محمد بخيت المطيعى. الشيخ عبد الرحمن البحراوى. الشيخ محمد راضى الكبير. الشيخ محمد راضى البحراوى. الشيخ محمد حسنين العدوى. الشيخ على البولاقى. الشيخ عبد الغنى محمود. الشيخ محمد السمالوطى. الشيخ محمد الحلبى. الشيخ أحمد نصر. الشيخ محمد شاكر. الشيخ دسوقى العربى.

الشيخ عبد الرحمن قراعة. الشيخ يوسف الدجوى. الشيخ عبد الحكم عطا. الشيخ سيد على المرصفى.

وثمة شخصيات بارزة لها فى تاريخ البلاد مكان ملحوظ.

وهؤلاء لم يتموا دراستهم فى الجامع الأزهر وأقبلوا على أعمال أخرى فى المحاماة، والقضاء، وفى العلم والأدب والصحافة، نذكر من بينهم: سعد زغلول

---

(١) كانا من رجال الثورة العرابية.

(٢) هو والد أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى سابقًا.

(٣) كان مدرسًا لمادة الدين بمدرسة الهندسة الملكية قديمًا.

زعيم مصـر السياسى، وإبراهيم الهلباوى المحـامى، ومحمد أبو شادى، ومـحمد الحسينى المحـامى، وحسن جلال، ومحمـد صالح المستشاريـن بالمحاكم الوطنية، وعبد الله نديم خطيب الثـورة العرابية والسيد علـى يوسف صاحب جريدة المؤيد، ومحمد النجـار صاحب جريدة الأرغول والسيد مـصطفى لطفى المنفلوطى، وعبد اللطيف الصوفانى، وغيرهم وغيرهم.

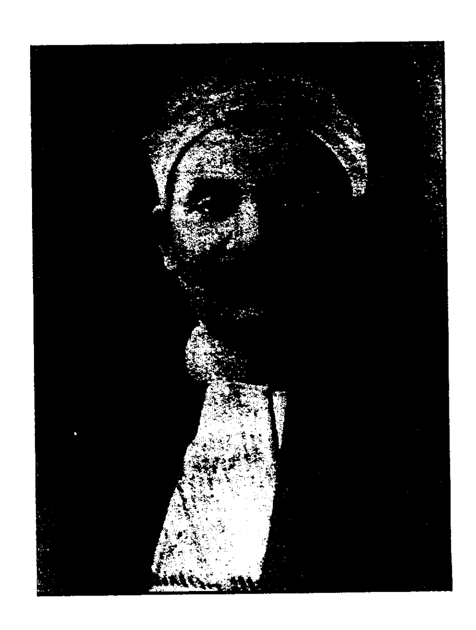
ومن علماء الأزهر المشهـورين العالم العلامة الشيخ نافع الجـوهرى ابن سليمان ابن حسن بن مصطفـى بن أحمد الحفاجى من بنى خـفاجة (١٢٥٠هـ- ١٨٣٤م- ١٣٣٠هـ- ١٩١٢م)، وهو جـد المؤلف لأمـه، ولد فى قـرية تلبانـه من أعمـال الدقهليـة، وحفظ القرآن الكريـم، ونال العالمية من الأزهر عـام ١٢٨٣هـ، حيث تتلمذ فيه على جلة العلماء والزاهدين، وأقام ببلـدته واعظًا زاهدًا، ومفتيًا مرشدًا، ومؤلفًا واسع الشهـرة بين أقرانه. حتى أن مؤلفاته بلغت إلى قـبل وفاته نحوًا مائة مؤلف، أغلبـها فى الشريعة والدين والفـقه والمواعظ وعلوم العربية، وكـان شاعرًا مجيدًا بليغًا مفوهًا، وأديبٌ لا يشق غبار(١).

✿✿✿

(١) راجع ترجمته فى كتابى «بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى ج ٣ و٤».



الشيخ على يوسف



المنفلوطى.. يريدونه مسلماً متعصباً !



الشيخ أمين الخولى ورسالة الفن القصصى

نظرة إلى المستقبل

إن ما كسبه الأزهر من هذا الانقلاب فى مصايره لا يزال رهن الزمن والمستقبل. ومن سبق القول -كما يقول عنان- أن نتحدث عن مزايا نظام جامعى لم يتمخض بعد عن آثاره، ولكنا نستطيع بالعكس أن نقول أن الأزهر الحديث على الرغم من جميع الجهود التى بذلت لإصلاحه منذ نصف قرن، وبالرغم من تحويله الظاهر إلى جامعة أزهرية، فقد كثيراً من المزايا العلمية والجامعية الحقيقية التى اقترنت بتاريخه القديم.

فقد اختفى جيل العلماء الأعلام المبرزين فى علوم الدين واللغة ممن حفلت بهم حلقاته فى أواخر القرن الماضى، وكانوا بقية أخيرة لذلك الجيل القديم، من علماء الأزهر الذين وهبوا حياتهم للدرس، وقد كان الأزهر حتى أواخر القرن الماضى يأخذ بنصيب بارز فى تكوين الزعامة الفكرية والقومية؛ وكان ظهور رجال مثل محمد عبده وسعد زغلول من بين صفوف طلبته، أسطع دليل على أن هذا المعهد التالد لم يفقد خلال عصور الانحلال والتأخر كل حيويته الفكرية، ولكن هذه الظاهرة تكاد تختفى اليوم.

وقد فقد الأزهر كثيراً من خاصيته الروحية التى كانت تحمل شيوخه وطلابه على التفانى فى التحصيل والدرس، والتعلق بشرف العلم والإعراض عن مغريات الدنيا، وإيثار التقشف والزهد، على الحياة الناعمة.. وتحول الأزهر فى ظل النظام الجديد شيئًا فشيئًا إلى نوع من أرستقراطية الدين، التى تمتاز ببسطة فى الرزق والجاه، وتحول طلابه إلى ميدان الصراع المادى فى سبيل العيش، والسعى وراء الوظائف ومنازعة أضرابه من المعاهد الأخرى فى الفوز بها. وقد أحدثت هذه الأرستقراطية الاجتماعية، وهذه النزعة فى الإقبال على الدنيا، أثرًا لا يحمد فى جو الأزهر العلمى، وذهبت بكثير من خواصه الروحية القديمة.

ومن جهة أخرى فإن الأزهر الحديث على الرغم من اتسامه بسمة الجامعات العصرية، لا يزال بعيدًا عن أن يجارى روح العصر فعلاً فى تنظيم مناهجه وأساليبه العلمية. فهو لا يزال يعيش على تراث الأزهر القديم، ولا يزال

مرجع الدراسة بالكليات الأزهرية الحديثة فى علوم الدين واللغة طائفة من الكتب القديمة التى يعرفها الأزهر منذ العصور الوسطى، فالشاطبية، والهداية، والسنوسية، والصبان، وألفية بن مالك، وشرحها لابن عقيل، ومختصر السعد وحواشيه، وكتب ابن حجر، والبلقينى، والسيوطى، والبرماوى، والزماوى، الزيلعى، وغيرها تدرس فى الكليات لطلبة النظامين، وبعض هذه الكتب يرجع إلى القرن السادس الهجرى كالشاطبية، أو السابع مثل مختصر ابن الحاجب، وألفية ابن مالك، أو الثامن كشرح ابن عقيل ومختصر السعد، ومع أن هذه المصنفات القديمة لا تزال تحتفظ بقميتها العلمية، فهى لا تصلح سواء بمادتها أو طرائقها العتيقة لعقلية الطالب الحديث. ولم يزود طلبة الجامعة الأزهرية حتى اليوم من الكتب والمذكرات الدراسية الحديثة إلا بقدر ضئيل جداً فى بعض المواد المستحدثة: مثل التايخ الإسلامى، والسيرة النبوية، وتاريخ التشريع، وتفسير بعض آيات الأحكام، وكذا بعض كتب البلاغة والأدب والنحو والصرف، وسيمضى وقت طويل قبل أن يستطيع المشرفون على الدراسة بالجامعة الأزهرية أن يضعوا من الشروح والتآليف المنظمة الحديثة ما يسد حاجة الطلاب.

وقد فقد الأزهر كثيراً من مزايا الدراسة الحقة بإلغاء الحلقات الدراسية الشهيرة، التى لبثت قروناً تزين أروقته وساحاته، فقضى عليها النظام الجديد، ولم تبق منها إلا آثار ضئيلة، تتمثل فى إلقاء بعض الدروس العادية فى علوم الدين أو اللغة بالجامع الأزهر، وبعض المساجد الأخرى التى توجد بها المعاهد الدينية، وتقرأ فيه الكتب القديمة، ويشهدها الطلاب غير النظاميين، ولاسيما الغرباء وبعض أفراد الجمهور، وتعرف فى ظل النظام الجديد بالأقسام العامة.

والواقع أن الحلقات القديمة لم تكن إلا المدرج الجامعى الحديث، وقد كانت تتفوق بلا ريب فى عناصرها الجامعية على فصول الكليات الأزهرية، وكان خيراً لو أصلحت ونظمت على غرار الدراسات الجامعية العليا، التى يتولاها أعلام الأساتذة، فقد كان فى استبقائها على هذا النحو تخليداً لذكرى الحلقات الأزهرية

التاريخية التى كانت أيام ازدهارها من محاسن الدهر وآلاء الأزهر، وكانت فى كثير من الأحيان مجمع الصفوة من الأساتذة والمستمعين.

ولقد اضطرم الصراع مدى بين الثقافتين القديمة والمحدثة، وقد أحرز الجديد نصره النهائى على تراث القديم وأساليبه، وتبوأت الثقافة المحدثة فى مصر المكان الأول، وهى تؤكد هذا الظفر كل يوم بما تخرجه من جندها المستنير الطموح إلى الحياة العصرية، بكل ما أوتى من المزايا المعنوية والمادية. على أن ذلك لا يعنى أن مهمة الأزهر قد انتهت، أو أنها يجب أن تنتهى، بل العكس من ذلك أن للأزهر مهمة جليلة يستطيع الاضطلاع بها، إذا وفق إلى الوسائل والأساليب الصالحة لتأديتها. تلك المهمة هى العمل على دعم رسالة الإسلام، ورسالة اللغة العربية والحضارة الإسلامية، بأساليب مستنيرة.. وقد كان الأزهر معقلاً من معاقل هذه الرسالة طوال العصور الوسطى، والعصر التركى، وفى وسعه أن يكون معقلها اليوم[1].

❁❁❁

(١) الأستاذ عبد الله عنان فى تاريخ الأزهر.

ثورة التطوير فى الأزهر

إنها ثورة جديدة استحدثها قانون تطوير الأزهر

على أن روح الثورة أكبر من أن تخطط بقوانين، روح الثورة التى اشتعلت بين الملايين من العرب والمسلمين قوية بحمد الله، وإذا كان الأزهر فى حاجة إلى ثورة كبيرة، فإن هذه الثورة المنشودة التى يتطلبها المسلمون من الأزهر لا يمكن أن يصنعها قانون، بل لابد أن تشتعل روحها أولاً وقبل كل شىء فى نفوس العلماء والطلاب. . .

فالقانون لم يكن ثمة كبير حاجة إلى تخطيطاته فى بعث روح الثورة المنشودة داخل الأزهر، لكى يؤدى الأزهر رسالته.

ولننظر بعد ذلك إلى روح القانون:

١- **فأولاً**: سوف تنشأ كليات علمية جديدة لا صلة لها بالدراسات الإسلامية، وتضاف إلى جامعة الأزهر، وهذه الكليات لا تتوقف عليها رسالة الأزهر، وسيتكلف إنشاؤها الملايين من الجنيهات دون ما داع إلى ذلك، وكان فى الإمكان إباحة دخول طلاب المعاهد الثانوية الجامعات المصرية ليتخرجوا أطباء ومهندسين ومحامين. . فضلاً عن أن جامعات المنصورة، وطنطا، والزقازيق لم تنشأ بعد، وجامعة أسيوط لا تزال فى دور التكوين والإنشاء.

٢- **وثانيًا**: وجود كلية الدراسات العربية لا يزيد عن إنشاء كلية آداب فى الأزهر تحل محل كلية اللغة العربية، ولنا فى كليات الآداب فى الجامعات المصرية غنى، بالإضافة إلى كلية دار العلوم ومعاهد المعلمين، وسواها.

٣- **وثالثًا**: كليات الدراسات الإسلامية لابد من أن تحتوى على كليتين: الأولى للشريعة، والثانية للأصول وفى هذه الحالة. . لا نكون قد وصنعنا شيئًا أكثر من تكرار إنشاء كليتين جديدتين بدل كليتين قديمتين، وكان فى الإمكان أن تطور مناهج الكليتين الحاليتين، لنصنع بذلك الإصلاح المنشود.

٤- وجـملة الأمـر من القـانون أنه ينص على إدمـاج مناهج المعـاهد الثـانوية والابتدائية من مناهج المدارس الحكومـية مع الإبقاء على مناهج علوم الدين، وفى هذه الحالـة سيرهق الـطالب إرهاقًا شـديدًا من جانب، وسـيضـعف مستـواه فى الدراسات الـتى تؤهله لدراسات علوم الدين من جـانب آخر، وكـان فى الإمكان الاكتـفاء بضم المعـاهد الابتدائيـة إلى وزارة التربيـة والإبقاء على المعاهد الـثانوية كمرحلة إعدادية للتأهل لدراسات كليات الأزهر.

٥- على أن قانون الأزهر فى الإمـكان أن يعرض على الهيـئات الإسلامـية لدراسته وإبداء رأيـها فيه، وتأجيل تنـفيذه إلى ما بعد وصـول هذه الآراء كلها إلى الجهـات التنفيـذية للاستفـادة من تقريراتها فى عـلاج كل نقص يمكن أن يكون فى القـانون، أو ما عـسى يمكن أن يكون لـه من نتائج فى الدارسـات العربية والإسلامية.

❀❀❀

هذا هو الأزهر الجديد

*** الهيئات التى يتكون منها الأزهر هى:**

١- المجلس الأعلى للأزهر ويرأسه شيخ الأزهر ويشترك فيه كبار العلماء وخبراء فى التعليم والإدارة.

٢ - مجمع البحوث الإسلامية ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية ورسم نظام البعوث الأزهرية إلى العالم الإسلامى ومنه.

٣- إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية وتجهيز الدراسات والبحوث للمجتمع وتتابع التنفيذ وتتحمل مسئولية البعوث الإسلامية.

٤- جامعة الأزهر وتضم كليات للدراسات الإسلامية وكليات للدراسات العربية وكلية المعاملات والإدارة وكلية الهندسة والصناعات وكلية الطب وكلية الزراعة ولن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن أو بالجامعات الأخرى..

* المعاهد الأزهرية وتمد طلبة الجامعة الأزهرية وتزودهم بالمعرفة والخبرة إلى جانب الثقافة العربية والإسلامية، ولكن لهم مطلق الاختيار لمتابعة الدراسة الجامعية بعد تخرجهم سواء فى كليات الأزهر أو فى غيرها من الكليات والمعاهد العالية.

*** ميزانية الأزهر تطورت على ثلاث مراحل:**

١- فى سنة ١٩٤٠ كانت حوالى ٣٤٢ ألف جنيه.

٢- فى سنة ١٩٥٣ وصلت إلى مليون و٣٧٧ ألف جنيه.

٣- فى سنة ١٩٥٨ قفزت إلى مليونين و١٢٥ ألف جنيه.

وهناك مبلغ ضخم من هذه الميزانية يصل إلى ٢٥٠ ألف جنيه ينفق على المبعوثين فى آسيا وإفريقيا من كليات الأزهر ومعاهدة فى مدينة البعوث الإسلامية ورصد فى الميزانية الأخيرة ٢١ ألف جنيه لإعادة ترميم الجامع الأزهر وتجديده.

❁❁❁

الباب الثالث

شيوخ الأزهر



الفصل الأول
مشيخة الأزهر وشيوخه

وظيفة خطيب الأزهر:

نقل المقريزى فى مواضع مختلفة إشارات لبعض مؤرخى الدولة الفاطمية عن «خطيب الجامع الأزهر». من ذلك ما نقله عن ابن الطوير فى تقديم خطيب الجامع الأزهر فى إلقاء الخطبة بين يدى الخليفة فى أيام الموالد الستة التى كانت تحتفل بها الخلافة الفاطمية، وهى المولد النبوى ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ومولد ولديه الحسن والحسين، ومولد زوجته السيدة فاطمة الزهراء، ومولد الخليفة القائم[1].

وكذلك كان «خطيب الجامع الأزهر» يذكر فى وصف الاحتفال بليالى الوقود، حيث يخطب أيضًا بين يدى الخليفة فى هذه الليالى الأربع متقدمًا زملاءه من خطباء المساجد الأخرى[2]. فالإشراف على الجامع الأزهر -كما يقول عنان- كان يجرى فى ظل الدولة الفاطمية على هذا النحو:

ما تعلق بإصلاحه وعمارته والإنفاق عليه يرجع أمره إلى الخلفاء أو من يختارونه لذلك من الأمراء والوزراء.

وما يتعلق بشئون الصلاة يرجع إلى الخطيب وإلى عدد من الأئمة والقومة والمؤذنين، والخطيب فى الواقع هو رئيس الجامع الدينى، وهو الذى يتولى الخطابة فى الصلوات الجامعة، والحفلات الدينية الرسمية بين يدى الخليفة أو نائبه، ويدير شئون المسجد الدينية بوجه عام.

ويبدو أن وظيفة «خطيب» الجامع الأزهر لبثت تنمو فى الأهمية على مر الزمن تبعًا لنمو أهمية الأزهر نفسه، فهى فى أواخر الدولة الفاطمية تسند إلى رجال من أصحاب المناصب الدينية الرفيعة مثل داعى الدعاة، فقد ذكر ابن ميسر فى أخبار

---

(١) الخطط ج٤ ص٧٦.

(٢) صبح الأعشى ج٣ ص٥٠٢.

سنة ٥١٧هـ أنه قد أسند إلى داعى الدعاة أبى الفخر صالح «منصب الخطابة بالجامع الأزهر» مع خزانة الكتب[(١)].

أما إدارة المسجد الداخلية من فرش وتنظيم وتجميل فترجع إلى المشرف ومعاونيه من العمال والخدم.

وأما ما يتعلق بشئون الدراسة والأساتذة والطلاب والنفقة عليهم، فقد رأينا أنه يرجع إلى الخلفاء وإلى ذوى البر من أكابر رجال الدولة، وقد كان العزيز بالله ووزيره ابن كلس أول من رتب النفقة الدائمة للقراء والأساتذة بالأزهر، وحذا حذوهما فى ذلك الخلفاء والأمراء والكبراء؛ فى مختلف الدول والعصور.

وهذا النظام فى الإشراف على الجامع الأزهر ربما لبث متبعًا فى جوهره بعد الدولة الفاطمية، فمثلاً نرى فى أواخر القرن الثامن، فى عهد الملك الظاهر برقوق، ولاية النظر على الجامع الأزهر، تسند فى سنة ٧٨٤هـ إلى الطواشى بهادر مقدم المماليك السلطانية، وفى أثناء ولايته صدر مرسوم ملكى يقضى بأن من توفى من مجاورى الجامع دون وارث شرعى، وخلف تركة، فإنها تؤول إلى زملائه المجاورين «وفى سنة ٨١٨هـ فى عهد السلطان المؤيد ولى نظر الجامع الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب. فكان مما قرره منع المبيت بالجامع الأزهر، وأخرج المجاورين الذين اعتادوا السكنى فيه[(٢)]. وبعد ذلك بقليل فى زمن السلطان المؤيد أيضًا ولى نظر الجامع شمس الدين محمد الماحورى، أحد تجار الكروم والجواهر، وكان من أصدقاء المؤيد. وذلك بطريق النيابة عمن له النظر على الجامع (ولعله الأمير سودوب أيضًا)، فاستعمل القسوة فى تنظيم شئونه الداخلية، وكان يطوف ومعه عصى لردع المخالفين، وقاسى الطلاب منه شدة[(٣)]. على أن ولاية هؤلاء الكبراء النظر على الجامع كانت تقتصر على الناحية الإدارية مما يتعلق بإصلاحه وتعميره والإنفاق عليه، وتعيين الموظفين اللازمين لإدارته.

---

(١) أخبار مصر لابن ميسر ٤٦.
(٢) المقريزى فى الخطط ج٤ ص٥٤.
(٣) التبر المسبوك ص٨٢.

أما شئون العبادات فقد كانت دائمًا من اختصاص خطيب الجامع وإمامه. وقد كان يلى خطابة الجامع الأزهر فى العصور المتأخرة والعصور المتقدمة أكابر القضاة والعلماء، فنرى بين خطباء الأزهر فى أواخر القرن السابع الهجرى قاضى القضاة تقى الدين أبا القاسم ابن قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز(١)، وفى أوائل القرن التاسع قاضى القضاة الحافظ بن حجر العسقلانى(٢). . وكان يوجد دائمًا إلى جانب منصب الخطيب الإمام يشغله أيضًا بعض العلماء الأعلام، وصاحبه يلى الخطيب فى الأهمية، ويعاونه فى القيام بشئون العبادات. وثمة منصب مهم آخر هو منصب «الواعظ» يليه أيضًا جماعة من أكابر العلماء، وقد لبثت هذه المناصب الثلاثة قائمة خلال العصر التركى. وكان من مشاهير العلماء الذين تولوا إمامة الجامع الأزهر فى العصور المتأخرة الفخر البلبيسى الضرير أستاذ القراءات، تولاها فى أواخر القرن التاسع الهجرى(٣)، والشيخ رضوان المتوفى سنة ١١١٥(٤). . ومن الذين تولوا منصب الوعظ الشيخ شهاب الدين بن الحق السنباطى المتوفى سنة ٩٥٠هـ، والشيخ شمس الدين الصفدى المقدسى المتوفى فى حدود التسعين وتسعمائة(٥).

وأما شئون الدراسة فكان المرجع فيها على الأغلب إلى السلطان ووزرائه. وقد كانت مناصب التدريس فى الأزهر وما إليه من المدارس الكبيرة يومئذ من المناصب الدينية الهامة، فلا يعين فيها سوى أكابر الأساتذة والعلماء، بيد أنه كان للواقفين والواهبين بلا ريب رأى فى تعيين أنواع العلوم التى يخصونها بهباتهم، وفى اختيار الأساتذة الذين يتولون تدريسها.

منصب مشيخة الأزهر:

وإذا كان من المستطاع أن يتتبع الباحث بعض النصوص والإشارات التى تلقى ضوءًا على نظم الإشراف على الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى، وفى عصور

---

(١) النجوم الزاهرة ج٨ ص٨٢.

(٢) التبر المسبوك ص٢٣١.

(٣) التبر المسبوك ص٣٢، ٧٧، ٢٣٩.

(٤) الجبرتى- عجائب الآثار ج١ ص٧٢.

(٥) الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة -مخطوط فى دار الكتب.

السلاطين، فإنا لا نظفر بعد ذلك برواية أو نصوص شافية توضح لنا كيف تطورت النظم إلى نظام المشيخة الحالى. ومن المعروف الذائع أن نظام المشيخة الحالى إنما هو نظام حديث يرجع على الأكثر إلى نحو قرنين ونصف، وأنه طبق لأول مرة فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، حينما أسندت مشيخة الجامع الأزهر إلى الشيخ محمد عبد الله الخراشى المالكى المتوفى فى شهر ذى الحجة سنة ١١٠١هـ (١٦٩٠م)، وخلفه فى المشيخة الشيخ محمد النشرتى المالكى. ولما توفى هذا الشيخ سنة ١١٢٠هـ (١٧٠٨م)، وقعت بالأزهر بسبب المشيخة والتدريس فتنة شديدة، وانقسم المجاورين -الطلاب- فرقتين: ترشح إحداهما الشيخ أحمد النفراوى وترشح الأخرى الشيخ عبد الباقى قلينى وكلاهما من المالكية. ووقعت بين الفرقتين معارك قتل وجرح فيها كثيرون. وانتهى الأمر باستقرار الشيخ القلينى فى المشيخة والتدريس.

والظاهر أن نظام مشيخة الجامع الأزهر يمت بصلة إلى هذا المنهج فى نظام الوظائف الدينية الرئيسية. وقد يرجع التفكير فيه وفى قيامه إلى منتصف القرن العاشر الهجرى. ذلك أن ولاة الأمر العثمانيين كانوا يعلقون على الوظائف الدينية أهمية خاصة، وكان الجامع الأزهر يحتل يومئذ بين المساجد والمعاهد الإسلامية مركز الصدارة، ويزخر دائمًا بجمهرة كبيرة من العلماء المصريين وإخوانهم من سائر أنحاء العالم الإسلامى، هم صفوة الأئمة والأساتذة فى ذلك العصر، ومن المعقول أن تكون رياسة الجامع الأزهر ذات أهمية خاصة فى نظر ولاة الأمور. وإذا كان الجبرتى لم يذكر شيخًا للأزهر قبل الشيخ الخراشى المتوفى سنة ١١٠١هـ، فإنه من جهة أخرى لم يقل بصفة قاطعة أنه كان أول من ولى المشيخة. ومع أنه لم يعثر كذلك فيما أتيح من المراجع على نصوص قاطعة تلقى ضوءًا واضحًا على أصل مشيخة الأزهر، والوقت الذى بدأ فيه تطبيق هذا النظام. فإنه توجد مع ذلك قرائن عديدة، تدل على أنه يرجع إلى ما قبل أواخر القرن الحادى عشر بكثير.

من ذلك ما رواه صاحب كتاب «ذخيرة الأعلام»(١) فى حديثه عن واقعة الشيخ

---

(١) هو كتاب «ذخيرة الأعلام. بتواريخ الخلفاء العلماء، وأمراء مصر الحكام، وقضاة قضاتها فى الأحكام» - لمؤلفه الشيخ أحمد بن سعد الدين العثمانى العمرى من علماء أوائل القرن الحادى عشر الهجرى، وهو مكتوب كله بالنظم (محفوظ بدار الكتب رقم ١٠٤ تاريخ).

شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطى مع داود باشا الذى تولى ولاية مصر سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م)، فقد ذكر أنه حدث فى شهر شعبان سنة ٩٥٠هـ أن الشيخ ابن عبد الحق قال يومًا لداود باشا وهو فى موكبه: أنه رقيق لا يجوز له أن يتولى الأحكام، وأن أحكامه باطلة ما لم يحصل على عتقه.. ثم يقول فى قصيدته التى يروى فيها تفاصيل هذه الواقعة:

لما صغى الباشا للكلام هم بضرب الشيخ بالحسام
قال له الجند فدع جذب الحسام فإن هذا شيخ الإسلام الإمام

وانحاز الجند للشيخ، فأرسل الباشا نبأ هذه الواقعة إلى السلطان فأنعم عليه بعتقه مع تبليغ الشكر إلى الشيخ. وسعى الباشا بعد ذلك إلى الشيخ واسترضاه وقبل رجله، ولم يقبل الشيخ منه مالاً ولا هدية، ولكنه أصبح من ذلك الحين لا يرد للشيخ رأيا ولا شفاعة[1].

والمهم فى هذه الرواية هو نعت الشيخ ابن عبد الحق «بشيخ الإسلام الإمام»، فإنا نعرف أن لقب شيخ الإسلام كان يطلق قبل الفتح العثمانى على «قاضى القضاة» الشافعى، وقد كان آخر من لقب بهذا اللقب من المصريين قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن على المتوفى سنة ٩٤٩[2]، فلما ألغى الترك نظام القضاء المصرى، وأقاموا فى رياسة القضاء قاضيًا تركيًا، كان هذا اللقب يطلق فيما بعد على أكابر العلماء الذين يصلون إلى مرتبة الزعامة العلمية أو على شيوخ الجامع الأزهر والأغلب أن يطلق على هؤلاء الشيوخ.

فهل كان ابن عبد الحق شيخًا للجامع الأزهر؟ لقد جاء فى ترجمته أنه كان واعظًا بالجامع الأزهر. وقال معاصره الإمام الشعرانى عنه ما يأتى: «لم نر أحدًا من الوعاظ أقبل عليه الخلائق مثله. كان إذا نزل من فوق الكرسى، يقتتل الناس عليه، وكان متقنًا فى العلوم الشرعية، وله الباع الطويل فى معرفة مذاهب المجتهدين. وكان من رؤوس أهل السنة والجماعة، وكان قد اشتهر فى أقطار

---

(١) هذه القصيدة بأكملها فى المخطوط المشار إليه ورقة ١٥٠ و١٥١ عنوان (واقعة ابن عبد الحق مع داود باشا).

(٢) الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة (المخطوط) ج٢. ص١٨٢.

الأرض كالشام والحجاز واليمن والروم، وصاروا يضربون به المثل، وأذعن له علماء مصر الخاص منهم والعام»، ثم قال: «ولما مات أظلمت مصر لموته وانهدم ركن عظيم من الدين»، وكانت وفاة ابن عبد الحق، حسبما ذكر صاحب الكواكب السائرة فى أواخر صفر سنة ٩٥٠هـ[١].

لا يميل المؤرخون إلى القطع بأن ابن عبد الحق كان شيخًا للجامع الأزهر. ونستطيع القول بإنه يوجد ثمة فى ترجمته وفيما نعته به صاحب الذخيرة ما يحمل على الظن بأنه كانت له صفة الرياسة بالأزهر من مشيخة أو غيرها[٢].

ومن ذلك ما رواه فون همار مؤرخ الدولة العثمانية فى تاريخه عما حدث بمصر من الاضطرابات فى سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٨م) فى عهد الوالى محمد باشا المعروف بشاه سور زاده (ونقله سامى باشا فى كتابه) إذ يقول: «جرد هذا الوالى حملة ضد كاشف البهنسى محمد بك فقتل هذا الأمير وجىء برأسه إلى القاهرة. وقد قتل غيره من الأمراء، وأدت زيادة الاضطرابات إلى أن عقد مجلس كان فيه القاضى وشيخ الجامع الأزهر وغيرهما، فتقرر فيه الفتوى بضرورة محاربتهم لاستمرار مخالفتهم الأوامر السلطانية، فجرد عليهم وحاربهم»[٣].

وهنا -نجد أنفسنا كما يقول عنان- أمام ذكر صريح «الشيخ الجامع الأزهر» وإن كنا لا نعرف من هو هذا الشيخ، وذكره يجىء فى مناسبة تتقدم التاريخ الذى اصطلح على رد المشيخة إليه بنحو أربعين عامًا. ومن ذلك ما أورده الجبرتى فى ترجمة العلامة إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن خالد البروماى المتوفى سنة ١١٠٦هـ، فقد ذكر صراحة أنه كان شيخًا للجامع الأزهر[٤]، فمتى كان ذلك، لا

---

(١) راجع الكواكب السائرة (المخطوط المشار إليه) ج٢ ص١٧٩، ويلاحظ -كما قال عنان- أنه توجد مفارقة بين تاريخ الوفاة فى هذه الترجمة وبين واقعة ابن عبد الحق مع داود باشا إذا قال صاحب الذخيرة أنها وقعت فى شعبان سنة ٩٥٠هـ أى بعد تاريخ الوفاة، فلابد أنها وقعت قبل ذلك، أوتكون الوفاة وقعت بعدها.

(٢) ذهب المغفور له أمين سامى فيما أورده عن واقعة ابن عبد الحق وداود باشا نقلاً عن صاحب الذخبرة إلى أبعد من ذلك، حيث وصف ابن عبد الحق بأنه «شيخ الجامع» أى الجامع الأزهر (راجع كتاب تقويم النيل ج٢ ص١٩).

(٣) كتاب تقويم النيل ج٢ ص٥٩.

(٤) عجائب الآثار ج١ ص٧٠.

ريب أنه تولى المشيخة قبل أن يتولاها الشيخ الخرشى فى أواخر القرن الحادى عشر، وقد توفى الشيخ الخراشى كما تقدم فى سنة ١١٠١هـ وتولى المشيخة من بعده الشيخ النشرتى المتوفى سنة ١١٠٦ قد تولى المشيخة قبلهما، أى فى أواخر القرن الحادى عشر حوالى سنة ١٠٨٠ إلى ١٠٩٠هـ.

فمشيخة الأزهر إذا ترجع إلى أواخر القرن الحادى عشر فقط، والشيخ الخراشى كان أول من تولاه غالبًا.

والمرجح أن هذا النظام يرجع إلى أواسط القرن العاشر، وأنه يمت كما قدمنا بصلة إلى التغيرات التى أحدثها الترك العثمانيون فى الوظائف الدينية الكبرى، وقد كان لشيخ الجامع الأزهر وعلمائه نفوذ خاص يعتمد عليه ولاة الأمر كلما اقتضت الظروف والحوادث. وقد بلغ هذا النفوذ فيما بعد مبلغ الرياسة والزعامة فى أواخر القرن الثالث عشر، ولا سيما وقت مقدم الحملة الفرنسية، حيث كان لأكابر الشيوخ رأى بارز فى معظم الحوادث والشؤون الداخلية، وكانوا يعتبرون دائمًا ممثلى الأمة، وكان منهم أعضاء الديوان الذى ألفه الفرنسيون لحكم مدينة القاهرة. وكان لهم نفوذ يذكر فى سير الحوادث فى ذلك الحين.

ومن المعروف أن العصر التركى هو أكثر العصور فى تاريخ مصر الإسلامية غموضًا واضطرابًا، وأقلها وثائق ومراجع، لما حدث فيه من اضمحلال الحركة الأدبية. وفتور الهمم عن التأليف، وانصراف المؤرخين عن تناول الشؤون العامة والأمور النافعة، إلى ملق الحكام وتدوين سيرهم الشخصية.

فلم يكن للأزهر إذن شيخ من قبل عهدهم يتولى رياسته الدينية. ويدير شؤونه الإدارية. بل كان يتولاه الولاية العامة سلاطين مصر وأمراؤها، كباقى المساجد الجامعة بالديار المصرية. ويباشر شؤونه الداخلية مشايخ المذاهب الأربعة وشيوخ الأروقة يعاونهم خطيب المسجد. والمشرف ومعاونوه من العمال والخدم.. وبقى هذا النظام متبعًا فى الجامع الأزهر غالبًا مدة حكم الفاطميين والأيوبيين والمماليك الأولى (البحرية)، وفى عهد سلطنة الملك الظاهر برقوق، أو سلاطين المماليك الثانية (البرجية) عين الأزهر: «ناظر» سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢)، وكان «ناظر الأزهر» يختار من بين كبار موظفى الدولة، وكان «ناظر الجامع الأزهر» ينوب عن سلطان

مصر، أو حاكمها، فى الإشراف على شئون الأزهر، والقيام على تنفيذ الأوامر والأحكام السلطانية، والسهر على رعاية مصالح الجامع الأزهر، ومصالح أهله من علماء وطلاب. وقد عرف من «نظار» هذا العهد المملوكى أيضًا الأمير «سودوب» القاضى وحاجب الحجاب، ولى «نظار الجامع الأزهر» سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م). . ولما استولى الأتراك العثمانيون على مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) ساروا على نهج من سبقهم من سلاطين مصر وأمرائها، فحافظوا على الأوضاع المرعية فى الأزهر، واهتموا برعاية شئونه، والسهر على مصالح أهله، واقتدى الولاة العثمانيون بسلاطين آل عثمان فعرفوا لهذا المعهد العلمى الدينى الإسلامى حقه من الرعاية والتقدير، وجددوا به كل دارس، وزادوا فى عمارته، ووسعوا من رقعته، وأوقف الأمراء، والولاة وكبار رجال الدولة والأعيان الكثير من الأموال والأملاك، والعقارات على علمائه وطلبته، فاتسعت إدارته، وتشعبت مصالح أهله، وأصبحت الحاجة ماسة إلى وجود شخص يتفرغ للإشراف على شئون هذا المعهد الدينية والإدارية معًا، ويكون رئيسًا لشيوخ المذاهب والأروقة، وسائر علماء الأزهر وطلابه، ومسئولاً مباشرة أمام الولاة والسلاطين، وحلقة اتصال بين الحكومة وأقسام الأزهر المختلفة، فاستحسنت «الدولة العلية» قبيل نهاية القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أن يعين للأزهر: «شيخ عموم» يدير شئونه، ويراقب أموره من تعاليم وغيرها، ويلقب: «بشيخ الجامع الأزهر».

ومنذ العهد التركى العثمانى والجامع يحتفظ بهذه الوظيفة، التى تطورت مظاهرها، واتسعت اختصاصتها على حسب تطورات الزمن، ومقتضيات الظروف والأحوال، حتى آلت إلى ما هى عليه الآن.

واليوم يختار «شيخ الجامع الأزهر» من بين جماعة كبار العلماء، ممن تتوافر فيهم الشروط الآتية: أن يكون سنه خمسًا وأربعين سنة على الأقل، وأن يكون معروفًا بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره، وحائزًا لشهادة العالمية منذ خمس سنوات على الأقل فى إحدى كليات الجامع الأزهر، أو بالقسم العالى المقرر بالقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م، أو يكون قد شغل منصب مفتى الديار المصرية، أو كان عضواً بالمحكمة العليا الشرعية.

ويعين «شيخ الجامع الأزهر» بأمر جمهورى، ويصير من يعين شيخًا للجامع الأزهر من غير جماعة كبار العلماء عضواً فى هذه الجماعة بحكم القانون.

شيوخ الأزهر:

وقد تولى مشيخة الأزهر كثير من الأئمة الأعلام، وهم:

١- الشيخ الخراشى المالكى -وترجمته فى تاريخ الجبرتى الجزء الأول ص٦٥ - وقد توفى الخراشى ١١٠١هـ[1].

ويعد أول من تولى مشيخة الأزهر، وهو الشريف الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخراشى المالكى، والخراشى نسبة لبلدة يقال لها أبو خراش من البحيرة بالديار المصرية، انتهت إليه الرياسة فى مصر حتى لم يبق بها فى آخر عمره إلا طلبته، وكان متواضعًا عفيفًا، واسع الخلق، كثير الأدب والحياء، كريم النفس، حلو الكلام، كثير الشفاعات عند الأمراء، مهيب المنظر، دائم الطهارة، كثير الصمت، كثير الصيام والقيام، زاهدًا ورعًا متقشفًا فى مأكله وملبسه ومفرشه، وكان لا يصلى الصبح صيفًا وشتاء إلا بالجامع الأزهر، وكان يقضى مصالحه من السوق بيده ومصالح بيته فى منزله، يتعمم بشملة صوف بيضاء، وكانت ثيابه قصيرة على السنة المحمدية واشتهر فى بلاد الأرض من بلاد الغرب والتكرور والشام والحجاز والروم واليمن، وكان يعير من كتبه من خزانة الوقف بيده لكل طالب مع السهولة إيثارًا لوجه الله تعالى، ولا يمل فى درسه من سؤال سائل، وكان أكثر قراءته بالأقباوية، وكان له فى منزله خلوة للعبادة، ومن مشايخه: على الأجهورى وإبراهيم اللقانى، ووالده الشيخ عبد الله الخراشى، ومات فى ٢٧ ذى الحجة ١١٠١هـ ودفن مع والده بقرب مدفن سيدى محمد البنقورى بواسطة قرافة المجاورين. وله شرحين على متن خليل، وكتاب فى الكلام وهو أول شيخ تولى مشيخة الأزهر الشريف، وكان فى العلم غاية لا تنال.. ويقول الشيخ منصور رجب من مقال نشره عنه فى مجلة الأزهر:

(١) راجع أيضًا ١/٢٠٨ الجبرتى كما ذكرها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى لما تقتضيه أمانة التحقيق وسأذكرها بعد ذلك بالتفصيل.

أول شيخ تولى مشيخة الأزهر هو الشيخ محمد عبد الله على الخراشى المالكى المتوفى سنة ١١٠١هـ نسبة إلى قرية من قرى مديرية البحيرة اسمها «أبو خراش».

وهذه القرية يقول عنها المرحوم على مبارك باشا فى خططه[١]: «إنها بقسم شبراخيت واقعة فى بحرى الكوكبة بنحو ستمائة متر، وفى قبلى «محلة نابت» بنحو ثمانمائة متر، وأبنيتها باللبن، وبها جامع ضريح لولى عليه قبة، وفى مشرقيها ضريح سيدى عطية، وبها أبعادية لمنصور باشا يكن، وفيها -لعمدتها محمد عمر- دوار ومضيفة وزراعة متسعة بنحو ألف فدان، وبها بستان نضر، وأكثر أهلها مسلمون».

والشيخ الخراشى هذا ترجمه الشيخ على الصعيدى العدوى فى حاشيته على شرحه الصغير لمتن خليل، فقال: «هو العلامة الإمام، والقدوة الهمام، شيخ المالكية شرقًا وغربًا، قدوة السالكين عجمًا وعربًا، مربى المريدين، كهف السالكين، سيدى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن على الخراشى، ونسب عصبته بأولاد صباح الخير، انتهت إليه الرياسة فى مصر حتى لم يبق بها فى آخر عمره إلا طلبته وطلبة طلبته، وكان متواضعًا عفيفًا، واسع الخلق، كثير الأدب والحياء، كريم النفس، جميل المعاشرة، حلو الكلام، كثير الشفاعات عند الأمراء وغيرهم، مهيب المنظر، دائم الطهارة، كثير الصمت، كثير الصيام والقيام، زاهدًا ورعًا، متقشفًا فى مأكله وملبسه ومفرشه ولا يصلى الصبح صيفًا ولا شتاءً إلا بالجامع الأزهر، ويقضى بعض مصالحه من السوق بيده ومصالح بيته فى منزله. يقول من عاشره: ما ضبطنا عليه ساعة هو فيها غافل عن مصالح دينه أو دنياه، وكان إذا دخل منزله يتعمم بشملة صوف بيضاء، وكانت ثيابه قصيرة على السنة المحمدية واشتهر فى بلاد الأرض، كبلاد الغرب والشام والحجاز والروم واليمن، وكان يعير من كتبه من خزانة الوقف بيده لكل طالب مع السهولة إيثاراً لوجه الله تعالى، ولا يمل فى درسه من سؤال سائل، لازم القراءة سيما بعد شيخه البرهان اللقانى وأبى الضياء على الأجهورى. وكان أكثر قراءته بمدرسة الأقبغاوية. وكان يقسم متن خليل نصفين: نصف يقرؤه بعد الظهر عند المنبر كتلاوة القرآن، ويقرأ النصف الثانى فى اليوم الثانى، وكان له فى منزله خلوة يتعبد فيها، وكانت الهدايا والنذور تأتيه من أقصى بلاد الغرب وغيرها فلا يمسك منها شيئًا، بل أقاربه ومعارفه يتصرفون فيها.

---

(١) ج٩ ص٢١

أخذ العلوم عن عدة من العلماء الأعلام كالعلامة الشيخ على الأجهورى، وخاتمة المحدثين الشيخ إبراهيم اللقانى، والشيخ يوسف القيشى والشيخ عبد المعطى البصير، والشيخ يسن الشامى، ووالده الشيخ عبد الله الخراشى، وتخرج عليه جماعة حتى وصل ملازموه نحو مائة منهم العارف بالله الشيخ أحمد اللقانى، والشيخ محمد الزرقانى، والشيخ على اللقانى، والشيخ شمس الدين اللقانى، والشيخ داو اللقانى، والشيخ محمد النفراوى، وأخوه الشيخ أحمد، والشيخ الشبراخيتى، والشيخ أحمد الفيومى، والشيخ إبراهيم الفيومى، والشيخ أحمد الشرفى، والشيخ عبد الباقى القلينى والشيخ على المجدولى. ولما توفى فى صبيحة يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ١١٠١ دفن مع والده بقرب مدفن الشيخ العارف بالله سيدى محمد البنوقرى بوسط تربة المجاورين.

يقول: وقبره مشهور، وما رأيت فى عمرى أكثر خلقًا من جنازته إلا جنازة الشيخ سلطان المزاحى، والشيخ محمد البابلى.

وله مؤلفات، منها شرحه الكبير على متن خليل ثمانية أجزاء، وشرحه الصغير على متن خليل أيضًا أربعة أجزاء، وله جزء فى الكلام على البسملة نحو أربعين كراسة، وغير ذلك.

هذا هو الشيخ محمد الخراشى أول شيخ من أبناء الأزهر تولى هذه الرياسة الدينية العامة. ولقد كانت مصر أول ما عرفت من مذاهب الفقهاء عرفت مذهب مالك، فلقد دخلها به عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح وتوفى بالإسكندرية سنة ١٦٣هـ، فى أيام الليث بن سعد، واشتهر بمصر هذا المذهب، ولم يزل مشتهرًا حتى قدم محمد بن إدريس الشافعى فى سنة ١٩٨. أما مذهب أبى حنيفة فلم يكن أهل مصر يعرفونه كما يعرفون مذهب مالك والشافعى. والحنابلة لم يسمع عنهم بمصر إلا فى القرن السابع.

وكان التفاف الناس فى ذلك العصر حول مذهب مالك والشافعى أكثر من التفافهم حول مذهب أبى حنيفة، حتى إن مدرسة محمد بك أبى الذهب قبيل عصر الشيخ الخراشى بقليل لما وظف بها المدرسون وكانوا ستة عشر مدرسًا، كان منهم سبعة من شيوخ الشافعية وستة من شيوخ المالكية، وثلاثة من شيوخ الحنفية.

وكان الإفتاء فى ذلك الوقت لا يقتصر على مذهب بعينه، بل كان لكل مذهب مفت. وكان المفتون يجلسون بعد دروسهم لإفادة الناس، فكان بجامع محمد بك ثلاثة أماكن برسم جلوس ثلاثة من المشايخ المفتين، وكان منهم الشيخ أحمد الدردير مفتى المالكية، والشيخ عبد الرحمن العريشى مفتى الحنفية، والشيخ الكفراوى مفتى الشافعية. وكان الأزهر يتولى شئونه فى أول عهده رجل يسمى مشرف. وفى عهد المماليك كان يتولى أمره رجل من كبار الموظفين يسمى ناظراً، منهم الأمير الطواشى بهادر المقدم على المماليك السلطانية، ولى نظره فى سنة ٨٧٤هـ وهو الذى أنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق الخاص بجعل أبناء الأزهر أسرة واحدة يرث بعضهم بعضًا فإذا مات أحدهم ولم يكن له وارث شرعى. ومنهم الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب، ولى نظره سنة ٨١٨هـ. أما تلك الرياسة الدينية العلمية فعرفها الأزهر فى العهد التركى بلقب «شيخ الأزهر».. ولقد توالى على هذه الرياسة منذ إنشائها حتى الآن أربعون شيخًا، أولهم الشيخ الخراشى هذا.

٢- وتقلدها على الأرجح بعده الشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى الشافعى وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١١٠٦هـ.

٣- الشيخ محمد النشرتى المالكى وقد توفى عام ١١٢٠هـ[1] وهو ثالث شيخ للأزهر.

٤- وخلفه الشيخ عبد الباقى القلينى المالكى فى المشيخة والتدريس[2]، ولما مات تقلدها بعده الشيخ محمد شنن.

---

(١) ٢٠٨ ج١ الجبرتى.

(٢) نشأ الشيخ عبد الباقى القلينى فى بلدة قلين بمحافظة كفر الشيخ، ثم وفد إلى القاهرة للدراسة بالأزهر، وتلقى العلم على مجموعة من كبار علمائه منهم: الشيخان إبراهيم البرماوى ومحمد النشرتى... وبعد أن أتم دراسته جلس للتدريس فى الأزهر فانتظم فى حلقته الكثيرون من مقدرى علمه وعارفى فضله.
من أهم ما عنى به الشيخ القلينى.. توجيه تلاميذه إلى العناية بالكتب القديمة، والغوص فى أعماقها لاستخراج ما بها من كنوز ومعارف، وكان يعينهم على فهم ما استغلق عليهم من تلك الكتب ويملى الحواشى عليها جريًا على سنة العلماء فى تلك الفترة وما كان متبعًا فيها.
كان الشيخ عبد الباقى القلينى من الأئمة فقهاء المالكية فى زمانه، ولهذا وقع عليه الاختيار عام ١١٢٠هـ «١٧٠٨م» ليتولى مشيخة الأزهر.. (٢٠٩ ج١ الجبرتى).

٥- الشيخ العلامة شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد شنن المالكى.. توفى سنة ١١٣٣ هـ عن سبع وسبعين سنة[١].

٦- الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى المالكى شيخ الجامع الأزهر.. تفقه على الشيخ محمد بن عبد الله الخراشى، قرأ عليه الرسالة وشرحها، وكان معيداً له فيهما. وتلبس بالمشيخة بعد موت الشيخ محمد شنن، ومولده سنة ١٠٦٢.. وأخذ عن الشبراملسى والزرقانى والشهاب أحمد البشبيشى وغيرهم كالشيخ الغرقاوى وعلى الجزايزلى الحنفى. وأخذ الحديث عن يحيى الشاوى وعبد الرحمن الأجهورى والشيخ إبراهيم البرماوى، وله شرح على العزية فى مجلدين..

توفى سنة سبع وثلاثين ومائة وألف عن خمس وسبعين سنة[٢].

٧- ولما مات الشيخ الفيومى المالكى شيخ الجامع الأزهر عام ١١٣٧هـ، انتقلت المشيخة إلى الشافعية، فتولاها الشيخ عبد الله الشبراوى. ويتحدث الجبرتى عن جاهه ومكانته ويذكر أسماء بعض شيوخه، ومنهم: الشيخ خليل اللقابى، والشهاب الخليفى، ومحمد بن عبد الباقى الزرقانى، وأحمد النفراوى، والشيخ منصور المنوفى، وصالح الحنبلى، وسواهم[٣].

وكان طلبة العلم فى أيام مشيخته فى غاية الأدب والاحترام.

ومن آثاره: مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف، وشرح الصدر فى غزوة بدر وتوفى سنة ١١٧١هـ، عن ثمانين سنة، وصلى عليه بالأزهر[٤].

وصار لأهل العلم فى مدته رفعة ومقام ومهابة عند الخاص والعام، ولم يزل يملى ويدرس ويفيد، وعد إماماً عظيماً. وكان مقبول الشفاعة، وهاداة الأمراء، وعمر داراً عظيمة على بركة الأزبكية بالقرب من الرويعى. ومن آثاره «شرح الصدر فى غزوة بدر» و«مفاتح الألطاف فى مدائح الإشراف.

---

(١) ٧٣ ج١ تاريخ الجبرتى طبعة ١٢٩٧هـ.

(٢) ٨٧ ج الجبرتى.

(٣، ٤) ٢٠٩ ج١ الجبرتى.

وهو ديوان يحتوى على غزليات وأشعار ومقاطيع، وقد ذهب الجبرتى وغيره إلى أن مفاتح الألطاف هذا كتاب غير الديوان، وليس كذلك فإنه يقول نفسه فى مقدمة الديوان «وسميته مفاتح الألطاف...» وهو القائل[1] لهذه القصيدة العذبة التى تسيل عذوبة ورقة المشهورة على ألسنة بعض المغنين:

بحقك أنت المنى والطلب	وأنت المراد وأنت الأرب
ولى فيك يا هاجرى صبوة	تحير فى وصفها كل صب
أبيت أسامر نجم السما	إذا لاح لى فى الدجى أو غرب
وأعرض عن عاذلى فى هواك	إذا نم يا منيتى أو عتب
أمولاى بالله رفقًا بمن	إليك بذل الغرام انتسب
فإنى حسيبك من ذى الجفا	ويا سيدى أنت أهل الحسب
ويا هاجرى بعد ذاك الرضا	بحقك قلى لى: لهذا سبب؟
فإنى محب كما قد عهدت	ولكن حبك شىء عجب
متى يا جميل المحيا أرى	رضاك ويذهب هذا الغضب؟
أشاع العذول بأنى سلوت	وحقك يا سيدى قد كذب
ومثلك ما ينبغى أن يصد	ويهجر صبًّا له قد أحب
أشاهد فيك الجمال البديع	فيأخذنى عند ذاك الطرب
ويعجبنى منك حسن القوام	ولين الكلام وفرط الأدب
وحسبك أنك أنت المليح	الكريم الجدود العريق النسب
أما والذى زان منك الجبين	وأودع فى اللحظ بنت العنب
وأنبت فى الخد روض الجمال	ولكن سقاه بماء اللهب
لئن جدت أو جرت زنت المراد	وما لى سواك مليح يحب

(١) «ديوان الشبراوى» ص٨، ٩.

٨- الشيخ محمد بن سالم الحفنى الشافعى الخلوتى الحسينى (١١٠٠ - ١٨٨١هـ) ولد فى حفنا قرب بلبيس، وقرأ بها القرآن إلى الشعراء.. ثم أكمله فى القاهرة ثم اشتغل بحفظ المتون، وأخذ العلم عن علماء عصره، وأجازوه بالإفتاء والتدريس، فدرس الكتب الدقيقة كالأشمونى وجمع الجوامع والمنهج ومختصر السعد، وشهد له معاصروه بالتقدم فى العلوم.. وكان يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبل متحنثًا.. واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه، وعانى النظم والنثر، وتخرج عليه غالب أهل عصره.

ومن تأليفه: حاشية على شرح رسالة العضد على السعد، وعلى الشنشورى فى الفرائض، وعلى شرح الهمزية لابن حجر، وعلى مختصر السعد، وعلى شرح السمرقندى للياسمينية فى الجبر والمقابلة.

وهو صاحب.. أحدتك حدوته، بالزيت ملتوتة، حلفت ما آكلها، حتى يجى تاجرها إلخ.

وتوفى عام ١١٨١هـ[١].

وكان قطبًا وعلمًا شهيرًا، وأوحد أهل زمانه علمًا وعملاً، وهو الإمام محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى ولد بحفنة قرية من قسم بلبيس من مديرية الشرقية بالقطر المصرى على رأس المائة الحادية عشرة وهو شريف حسينى من جهة أم أبيه نشأ بالقرية المذكورة، وحفظ بها من القرآن إلى سورة الشعراء، وألزمه أبوه بالمجاورة بالأزهر، فكمل حفظ القرآن، ثم قدم مصر وحفظ المتون واجتهد فى تحصيل العلوم، وأخذ من علماء عصره حتى مهر. وأفاد حياة أشياخه وأجازوه بالإفتاء والتدريس، فدرس الكتب الدقيقة من غالب الفنون، وكان فى ضيق من العيش، فاشتغل بنسخ الكتب، ثم من الله عليه بكرامات فترك النسخ، فأقبلت عليه الدنيا، وكان يتردد إلى زاوية الشيخ جاهين الخلوتى فى سفح الجبل، وكان يمكث فيها الليالى متحنثا أى متعبداً، وتخرج من درسه غالب علماء عصره، وله مؤلفات كثيرة منها حاشية على شرح العضد للسعد، وحاشية على الشنشورى في الفرائض وحاشية على مختصر السعد، وحاشية على شرح السمرقندى للياسمينية

---

(١) ٢٨٩ - ٣٥٣ جـ الجبرتى.

فى الجبـر والمقابلة وحاشيــة على شرح العزيزى للجـامع الصغير. . وكـان كريم الطبع جدًا وليس للدنيا عنده قدر.

٩- الإمام العلامة الفقيه شيخ الإسلام الشـيخ عبد الرؤوف بن محمد السجينى الشافعى الأزهرى شيخ الأزهر. . تولى مشـيخة الأزهر بعد الحفنى إلا أنه لم تطل مدته. . وتوفى سنة ١١٨٢هـ[١].

وقـد أخذ العلوم عن عـمه الشـمس السـجينى ولازمـه، وبعد وفـاته درس فى موضـعه، وبعد أن تولى مشـيخة الأزهر سـار فيها بشـهامة وصـرامة، وتوفى سنة ١١٨٢، وصلى عليه بالأزهر ودفن بجوار عمه بـأعلى البستان، واتفق أنه وقعت له حادثة قبل مشيخته على الجامع الأزهر بمـدة، وهى التى كانت سببًا لاشتهاره بمصر، وذلك أن تاجرًا من تجـار خانْ الخليلى تشاجـر مع رجل خادم، فضـربه ذلك الخادم وفر من أمـامه فتـبعه هو واثنان مـن أبناء جنسه فدخل الفـارّ بيت الشيخ السـجينى فدخل التاجر خلفه وضربه برصاصة فأصابت رجلاً من أقارب الشيخ فمات، وهرب الضارب وطلبوه، فـامتنع عليهم، وتعصـب معه أهل خطته، فاهتم الـشيخ وجمع المشايخ والقاضى، وحضـر إليهم جماعة من أمراء الوجاقيـة وانضم إليهم الكثير من العامة، وثارت الفتنة، وأغلقت الناس الأسواق، واعتصم أهل خان الخليلى بدائرتهم وأحاط الناس بهم من كل جهة وقتل بين الفريقين عدة أشخاص، واستمر الحال على ذلك أسبـوعًا، ثم اجتمـعوا بالمحكمة بعـد حضور على بك، واجتـمع الأمر على الصلح، ونودى فى صبيحتها بالأمان، وفتحت الحوانيت والأسواق.

١٠- الشـيخ الإمام أحـمد بـن عبـد المنعم بن يوسف بن صـيام الدمنهـورى الأزهرى (١١٠١ - ١١٩٢هـ).

ولد بدمنهور وقدم الأزهر وهو صغيـر فجد فى الطلب، وأجازه علماء المذاهب الأربعة، وولى مشيخة الجامع الأزهر بعد الشيخ الحفنى عام ١١٨٢هـ: ١٧٦٧م.

وله مؤلفـات كثيـرة، منها حلية اللب المـصون بشرح الجـوهر المكنون، والقول الصريح فى علم التشـريح، والزهر الباسم فى علم الطلاسم، ومنهج السلوك إلى نصيحة الملوك. وكان مسكنه ببولاق وصلى عليه بالأزهر[٢].

(١) ٣١٦ ج ١ الجبرتى.
(٢) ٢٥ - ٢٧ جـ ٢ الجبرتى.

وكان يدرس بالمشهد الحسينى فى شهر رمضان وهابته الأمراء لكونه قوالاً للحق أماراً بالمعروف، وقصدته الملوك من الأطراف وهادته بالهدايا، ومن مؤلفاته شرح الجوهر المكنون، ومنتهى الإرادات فى تحقيق الاستعارات، ونهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف، والفتح الربانى بمفردات ابن حنبل الشيبانى، وطريق الاهتداء بأحكام الأمة، والابتداء على مذهب الإمام الأعظم، وإحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد، والرقائق الألمعية على الرسالة الوضعية، وعين الحياة فى استنباط المياه، والوفق المثينى، والقول الصريح فى علم التشريح، وإقامة الحجة الباهرة على عدم كنائس مصر والقاهرة، والزهر الباسم فى علم الطلاسم.. وله غير ذلك من ذلك من غالب الفنون، وتوفى سنة ١١٩٢هـ: ١٧٧٨م[١]، وكان منزله ببولاق، فخرج بمشهد حافل، وصلى عليه بالأزهر ودفن بالبستان رحمه الله.

١١- الشيخ عبد الرحمن بن عمر الحنفى الأزهرى ولد بقلعة العريش من أعمال غزة، وبها نشأ، وحفظ بعض المتون، ثم حضر فى الأزهر، وتولى مشيخة رواق الشوام، وعين مفتى الحنفية.

وأقيم وكيلاً للشيخ الدمنهورى، فلما توفى الشيخ الدمنهورى تولى المشيخة، ولكن علماء الأزهر لم يرضوا عنه، وكتبوا للأمراء بأن مشيخة الأزهر من مناصب الشافعية، وليس للحنفية فيها قديم عهد أبداً، وخصوصاً إذا كان آفاقيًا ليس من أهل البلدة، ورشحوا للمشيخة الشيخ أحمد العروسى، واستمر الاضطراب سبعة أشهر، ثم ثبت العروسى للمشيخة[٢].. وتوفى سنة ١١٩٣هـ.

---

(١) ذكر رفاعة الطهطاوى فى كتابه «مناهج الألباب» أن شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الدمنهورى ذكر أنه درس العلوم العلمية.. وينقل الطهطاوى عن الدمنهورى أنه قال فى هذا الصدد:

«وأخذت عن أستاذنا الشيخ على الزعترى - خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات وبما توقف عليها كالفرائض والميقات - وسيلة ابن الهائم ومعونته فى الحساب والمقنع لابن الهائم ومنظومة الياسمينى فى الجبر والمقابلة ودقائق الحقائق فى حساب الدرج، والدقائق للسبط الماردينى فى علم حساب الازياج..» ثم يستطرد «.. وأخذت عن سيدى أحمد القرافى الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفة فى أسباب الأمراض وعلاماتها، وبعضاً من قانون ابن سينا، وبعضاً من كامل الصناعة وبعضاً من منظومة ابن سينا الكبرى، وكلها فى الطب».

(٢) ٥٣ و٥٤ ج٢ الجبرتى.

١٢- الشيخ أبو الصلاح أحمد بن موسى العروسى الشافعى، ولى المشيخة وبقى فيها إلى أن توفى فى أواخر شعبان سنة ١٢٠٨هـ، ومولده ١١٣٢هـ، من تآليفه شرح على نظم التنوير فى إسقاط التدبير، وحاشية على الملوى على السمرقندى.

١٣- الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى شيخ الجامع الأزهر، ولد بالطويلة بشرقية بلبيس عام ١١٥٠ وتعلم فى الأزهر، وصار من شيوخه ومدرسيه.

ولما مات الشيخ أحمد العروسى تولى مشيخة الأزهر بعده، وكانت تعارضت فيه وفى الشيخ مصطفى الصاوى، ثم انتهى الأمر بإسنادها إليه.

وتوفى عام ١٢٢٧هـ[١].

كان لما ترعرع وحفظ القرآن قدم إلى الجامع الأزهر وسمع الكثير من العلوم عن الشهابين الملوى والجوهرى والشمس الحفنى والشيخ الدمنهورى والسيد البليدى والشيخ عطية الأجهورى والشيخ محمد الفارسى والشيخ عمر الطحلاوى، وأخذ الطريق عن الشمس الحفنى ثم عن الشيخ محمود الكردى ولازمه وحضر معه فى أذكاره، ودرس بالجامع الأزهر وبمدرسة السنانية بالصنادقية وبرواق الجبرت والطيبرسية وتميز فى الألقاء والتحرير وأفتى فى مذهبه، وله مؤلفات دالة على سعة فضله منها حاشية على التحرير، وشرح نظم الشيخ يحيى العمريطى، ومتن العقائد المشرقية مع شرحها، وشرح رسالة عبد الفتاح العدالى فى العقائد، ومختصر الشمائل مع شرحه، وشرح الحكم لابن عطاء الله، وشرح الوصايا الكردية فى التصوف، وشرح ورد السحر للبكرى، ومختصر مغنى اللبيب فى النحو، وحاشية على شرح الهدهدى فى التوحيد، وطبقات فقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين وتاريخ مصر، وله غير ذلك.. وكان فى قلة من العيش ثم بعد مدة اشتهر ذكره ووصله بعض التجار بالهدايا، فراج حاله وتجمل بالملابس واشترى داراً بحارة كتامة وهى المعروفة الآن بالدواداری قرب جامع العينى، واستمر حاله فى تحسن إلى أن مات الشيخ أحمد العروسى فتولى بعده مشيخة

(١) ١٥٩ ج ٤ الجبرتى وما بعدها.

الأزهر، وكانت تعارضت فيه وفى الشيخ مصطفى الصاوى، ثم حصل الاتفاق عليه. . وقد أنشأ رواق الشراقوة بالأزهر لأسباب عديدة، وحصلت أيامه حوادث الحملة الفرنسية، وتوفى فى يوم الخميس ثانى شوال سنة ١٢٢٧، ودفن بمدفنه الذى بناه لنفسه بقرافة المجاورين، ثم عملت أتباعه وأولاده له مولدًا فى أيام مولد الشيخ العفيفى، وكتبوا بذلك فرمانًا من الباشا.

١٤- وتولى الشيخ محمد الشنوانى مشيخة الأزهر بعد الشيخ الشرقاوى عام ١٢٢٧هـ.

وقد توفى عام ١٣٣٣هـ[1]. . ولتوليه المشيخة قصة، هى أنه لما توفى الشيخ الشرقاوى فى السنة المذكورة طلع المشايخ إلى القلعة للباشا بعد وفاته بثلاثة أيام واستأذنوه فيمن يجعلونه شيخًا على الأزهر، فقال لهم اعملوا رأيكم واختاروا شيخًا يكون خاليًا عن الأغراض، وأنا أقلده ذلك فنزلوا إلى بيوتهم، واختلفت آراؤهم، فالبعض اختار الشيخ المهدى الكبير، والبعض اختار الشيخ الشنوانى، وامتنع الشيخ الأمير عن المشيخة، وكذلك ابن الشيخ العروسى، وكان الشيخ الشنواني منعزلاً عنهم يقرأ درسه بجامع الفاكهانى وبيده وظائف خدمته، وعند فراغه من الدرس يغير ثيابه ويكنسه، ويغسل القناديل ويعمرها، ويكنس المراحيض فلما بلغه أنهم ذكروه تغيب. . ثم إن الباشا أمر القاضى بهجت أفندى أن يجمع المشايخ ويتفقوا على شخص يكون شيخًا بالشرط المذكور، فجمع القاضى أكابر العلماء كالقويسى والفضالى، إلا ابن العروسى والهيثمى والشنوانى فأرسلوا إليهم فحضروا، ولم يحضر الشنوانى فأرسلوا إليه رسولاً فرجع بورقة ويقول: أن له ثلاثة أيام غائبًا عن داره وقال لأهله إن طلبونى فاعطوهم هذه الورقة، فأخذ القاضى الورقة ففضها وقرأها فإذا فيها بعد البسملة والصلاة على النبى ﷺ: لحضرات مشايخ الإسلام إننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوى الهيثمى، فعند ذلك قام الحاضرون قومه واحدة وأكثرهم من الشوام، وقالوا هو لم يثبت له مشيخة حتى ينزل عنها، وقال كبارهم لا يكون شيخًا إلا من يفيد الطلبة، فقال القاضى ومن الذى ترضونه؟ فقالوا نرضى الشيخ المهدى، وقام الكل وصافحوه وقرءوا

---

(١) ١٦٤ ج ٤ الجبرتى، ٢٩٤ ج ٤ الجبرتى أيضًا.

الفاتحة وكتب القاضى إعلامًا بذلك، وركب المهدى إلى بيته فى كبكبة وحوله المشايخ والمجاورون وشربوا «الشربات» وهنئوه وانتظروا جواب الإعلام من الباشا فلم يأت، والمدبرون يدبرون شغلهم، وأحضروا الشيخ الشنوانى من مصر القديمة وتمموا تدبيرهم، وأحضروا الشيخ منصور اليافى ليعيدوه إلى مشيخة الشوام وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل وركبوا فى الصباح إلى القلعة فخلع الباشا على الشيخ محمد الشنوانى فروة سمور وقرره شيخًا، وكذلك على السيد منصور اليافى وقرره على رواق الشوام كما كان، وأتى إليه الناس أفواجًا يهنئونه بالمشيخة.

١٥- الشيخ محمد العروسى.. وقد تولى المشيخة بعد الشيخ الشنوانى وتوفى فى عام ١٢٤٥هـ[1].

١٦- الشيخ أحمد بن على الدمهوجى.. وتوفى فى ٩ من ذى الحجة عام ١٢٤٦، وهو نسبة إلى قرية دمهوج قرب بنها.

١٧- الشيخ حسن بن محمد العطار، توفى عام ١٢٥٠هـ.

وكان أبوه فقيرًا عطارًا له إلمام بالعلم، وكان يستخدم ابنه هذا فى صغار شؤون الدكان، ويعلمه البيع والشراء، فاختلف إلى الجامع الأزهر خفية عن أبيه حتى قرأ القرآن وجد فى التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الصبان والشيخ الأمير. ولما دخل الفرنسيون مصر فر إلى الصعيد كجماعة من العلماء. ولما رجع اتصل بهم فكان يستفيد منهم ويفيدهم اللغة العربية وكان يقول: إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها، ويتعجب مما وصلت إليه تلك الأمة من المعارف والعلوم وكثرة كتبهم وتحريرها وتقريبها لطرق الاستفادة.. ثم ارتحل إلى الشام، وكان يقول الشعر دون اهتمام به كما هو عادة كثير من العلماء، ومن شعره:

إنى لأكره فى الزمان ثلاثة	ما إن لها فى عدها من زائد
قرب البخيل وجاهلا متفاصحا	لا يستحى وتوددًا من حاسد
ومن البلية والرزية أن ترى	هذى الثلاثة جمعت فى واحد

---

(١) ٢٩٤/ ٤ الجبرتى.

وارتحل إلى بلاد الروم وأقام بها مدة وتأهل بها، ثم عاد إلى مصر وعقد مجلسًا لقراءة تفسير البيضاوى، كان يحضره أكابر المشايخ. وله تآليف كثيرة منها:

١- حاشية على جمع الجوامع نحو مجلدين.

٢- حاشية على الأزهرية فى النحو.

٣- حاشية على مقولات السجاعى.

٤- حاشية على السمرقندية.

وله رسائل فى الطب، والتشريح «والرمل» والزيارجة وكان يرسم بيده المزاول النهارية والليلية.

١٨- الشيخ حسن القويسنى نسبة إلى قويسنا توفى سنة ١٢٥٤هـ، وكان مع انكفاف بصره مهيبًا جدًا عند الأمراء وغيرهم.

١٩- الشيخ أحمد الصائم السفطى نسبة إلى سفط العرفاء قرية جهة الفشن بمديرية المنيا توفى سنة ١٢٦٣هـ.

٢٠- الشيخ إبراهيم الباجورى من الباجور بمديرية المنوفية توفى سنة ١٢٧٧هـ، وكان قويًا فى علمه ضعيفًا فى إداراته، وكان عباس الأول يزوره فى درسه، وبعد موته بقى الأزهر مدة بلا شيخ، بل بمجلس مؤلف من أربعة وكلاء تحت رياسة الشيخ مصطفى العروسى، وهم: الشيخ العدوى المالكى، والشيخ الحلبى الحنفى، والشيخ خليفة الفاشنى، والشيخ مصطفى الصاوى الشافعيان، وكان هذا المجلس قد ألف لمباشرة أمور الأزهر بعد أن ضعف الشيخ الباجورى وكثرت حوادث الأزهر، ولما كانت سنة ١٢٨١هـ تقلد المشيخة الشيخ العروسى.

٢١- تقلد الشيخ مصطفى العروسى كأبيه وجده المشيخة إلى عام ١٢٨٧هـ. ولقد أبطل الشيخ العروسى كثيرًا من البدع كالشحاذة بالقرآن، وعزم على إدخال الامتحانات بالأزهر، ففاجأه العزل من المنصب فنفذ ذلك خلفه.

٢٢- الشيخ محمد العباسى المهدى الحنفى (١٢٤٣ - ١٣١٥هـ).

حضر فى الأزهر ودرس فيه، وتولى الافتاء عام ١٢٦٤هـ، وجلس للتدريس فى الأزهر أيضًا، وتولى مشيخة الأزهر جامعًا بين هذا المنصب ومنصب الإفتاء، ووضع أول قانون لإصلاح الأزهر، وعزل من المشيخة عام ١٢٩٩ وتولى بدله الشيخ الإنبابى وانفرد هو بالإفتاء، ثم استقال الإنبابى فأعيد الشيخ المهدى للمشيخة، ولكنه استقال بعد مدة فأعيد الشيخ الإنبابى شيخًا، وعين الشيخ محمد البنا مفتيًا، ثم أعيد المترجم له إلى الافتاء - وله الفتاوى المهدية (٦٧ - ٨٠ تراجم أعيان القرن الثالث عشر - أحمد تيمور).

وقد عاش الشيخ محمد المهدى الحنفى - وهو من شيوخ الأزهر الأجلاء - إلى أن توفى عام ١٣١٥هـ.

وكان المهدى العباسى الحنفى مفتى الديار المصرية ورئيس السادة الحنفية، وقد تقلد المشيخة أواخر سنة ١٢٨٧هـ، فسار فيها سيرًا حسنًا، ودان له الخاص والعام وزاد الأمراء في تعظيمه، وهو أول من تقلدها من العلماء الحنفية، ولما تقلدها قلت على يديه الشرور والمفاسد فى الأزهر، وكثرت به المرتبات من النقود والكساوى والجرايات المتجددة، وصار لأكثر أهل الأزهر مرتبات من المالية وغيرها، وأثرى كثير منهم بسببه، وخلعت عليهم الخلع، ودعوا فى المجامع الشريفة، وكان له سير بليغ فى صرف الاستحقاقات، والمشى على شروط الواقفين وقوانين الحكام، وهو الذى سن امتحان التدريس للعلماء.. وذلك أنه استأذن ولى الأمر فى عمل قانون الامتحان، واجتمع الرأى بينهم على تعيين ستة لذلك من أكابر العلماء، من كل أهل مذهب من المذاهب الثلاثة اثنان، سوى مذهب ابن حنبل لقلته، وجعل الامتحان فى أحد عشر علمًا من العلوم المتداولة بالأزهر وهى، الحديث، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقه، والنحو، والصرف، والمعانى، والبيان، والبديع، والمنطق، ومن يريد الامتحان لابد أن يكون قد حضر هذه الفنون بالجامع الأزهر، وحضر كبار الكتب مثل: السعد وجمع الجوامع، ثم يقدم طلبًا لشيخ الجامع يذكر فيها أنه يريد الدخول فى حومة العلماء المدرسين وينتظم فى سلك المعلمين، ويبين أنه حضر كذا وكذا من الفنون وحضر مختصر السعد، وابتدأ فى جمع الجوامع مثلاً، فيؤخر الشيخ تلك الرغبة عنده حتى

يستخبر عن أحواله ممن يعرف حقيقة أمره، ثم يكتب للمشايخ بإعطاء الشهادة فى حقه بالكتابة، فيشهد له جمع من المشايخ أقلهم ثمانية، ثم يعين له من كل فن درسًا ويعطيه ميعادًا يطالع فيه كل فن فى يوم، وعلى رأس الأحد عشر يومًا ينعقد مجلس الامتحان فى بيت شيخ الجامع (وصار ينعقد فى الأزهر بالرواق العباسى)، ويجعل مريد الامتحان بمنزلة الشيخ، والممتحنين بمنزلة الطلبة، فيدرس وهم يسألونه، وهو يجيبهم، ولا يحضر فى ذلك المجلس غيرهم فإذا أجاب فى كل فن كتب من الدرجة الأولى، وإذا أجاب فى أكثر الفنون كتب من الدرجة الثانية، وإذا أجاب فى الأقل كتب من الدرجة الثالثة، وإذا لم يجب لم يؤذن له فى شىء، ثم تكبت الشهادة لصاحب الدرجة الأولي وترسل إلى الخديوى، فتكتب له عريضة تشريف متوجة بختم الخديوى تكون معه، ويخلع عليه فرجية وشريط مقصب جعله فى عمامته فى موضع التشريفات، ويكتب للجهات باحترامه، ويخفف عنه فى السفر نصف الأجرة، وكان قد استحسن أن لا يمتحن فى العام أكثر من ستة، فإذا تراكمت الطلبات من طالبى الامتحان نظر الشيخ فى موجبات الترجيح كالشهرة بالعالمية أو الوجاهة أو سبق التاريخ أو كبر السن. . . فكان هو أول من سن قانونًا لامتحان طلبة الجامع الأزهر. . . وولد الشيخ المذكور بالإسكندرية سنة ١٢٤٣ وقدم مصر سنة ١٢٥٥ واشتغل بالعلم فى سنة ١٢٥٦، وتولى الإفتاء سنة ١٢٦٤ وكان يحضر فى مقدمة السعد على الشيخ إبراهيم السقا، وفيها جلس للتدريس، ثم تولى المشيخة سنة ١٢٨٧، وانصرف عن المشيخة والافتاء، ورجع إليهما مرتين، ومن مؤلفاته الفتاوى المهدية الشهيرة المستعملة كثيرًا فى أيدى القضاة والمفتين، وكان له من الأولاد اثنان من المدرسين بالأزهر، وأرباب المكانة بمصر، وهما الأستاذ الشيخ محمد أمين والشيخ عبد الخالق. . وتوفى الشيخ ليلة الأربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٥، ودفن بزاوية الأستاذ الحفنى بقرافة المجاورين، ورثته العلماء والفضلاء بقصائد شتى قيل فى تاريخ بعضها «جزاؤك يا مهدى فى جنة الخلد» وقال بعضهم فى مرثية له:

عليه دمع الفتاوى بات منحدرا	وللمحارب حزن ضاق عن حد
فيها المسائل قد باتت تؤرخه	مات المجيب الإمام المقتدى المهدى

٢٣- الشيخ محمد الإمبابى الشافعى، وقد تولى المشيخة عام ١٢٩٩، ثم تركها وعاد إليهـا الشيخ محمد المهدى الحنفى ثـانية، وبقى فيها إلى أن استـقال منها فى ١٣٠٤هـ. وتقلدها بعده الشيخ محـمد الإمبابى ثانية، وبقى فيهـا إلى أن استقال منها عام ١٣١٣هـ.

ولد الشيخ المذكور بالقاهرة سنة ١٢٤٠، وحفظ القرآن الشريف والمتون بالجامع الأزهر، وفى سنة ١٢٥٣ شرع فى تلقى العـلوم، فاجتهـد فى الطلب، وأخذ عن شيخ الإسلام الـشيخ الباجورى والشـيخ إبراهيم السقا والشيخ مـصطفى البولاقى وأضرابهم، وشغل ليله ونهاره بالمطالعة حتى فاق أقرانه وتمكن تمكنًا زائدًا، ودرس فى سنة ١٢٦٧، وقرأ جـميع الكتب التى تدرس فى الأزهر، وكتب عليهـا تقارير وحواشى.. ومنها تقـرير على حاشية العطار على الأزهرية، وتقرير على حـاشية السجاعى على القطر، وتقرير على حاشية الأمير على شرح الشذور، وتقرير على حاشية السجاعى على شرح ابن عقيل، وتقرير على شرح الأشمونى، وتقرير على التجريد حاشيـة مختصر السعد، وتقرير على جمع الجـوامع، وتقرير على حاشية البيجورى على السلم، وتقرير على آداب البحث، وتقرير على حواشى السمرقندية وتقرير على مختصر السنوسى، وحاشية على رسالة الصبان، وحاشية على مقدمة القسطلانى شرح صحيح البخارى، وحاشية على رسالة الدردير فى البيان، وتقرير على حاشية البرماوي على شرح ابن قاسم فى فقه الشافعى.. ومنها فتاوى فقهية، ورسالتان فى البسـملة صغرى وكبري، ورسالتان فى «زيد أسد» صـغرى وكبرى، ورسالة فى علم الوضع، ورسالة فى «من حـفظ حجة على من لم يحفظ».. وله غير ذلك من التآليف النفـسية، وبالجملة فقد تصدروا للتـدريس.. والإنبابى نسبة إلى إنبابة وهى تجاه بولاق مـصر من الشاطىء الغربى للنيل ولم يـكن الشيخ منها وإنما نسب إليها لكون والده كان منـها واشتهر بالنسبة إليهـا، وكان والده من أكبر التجـار بالقاهرة، ولـما توفى الشيخ حـزنت عليه العلمـاء، وأظهرت الأمـة الحزن عليه، ورثته الشعراء بقصائد كثيرة.

٢٤- الشيخ حسونة النواوى الحنفى (١٢٥٥ - ١٣٤٣)

تعلم فى الأزهر وصار مدرسًا فى دار العلوم ومدرسة الإدارة (الحقوق).

ثم عين رئيسًا لمجلس الأزهر الأعلى فى عهد الشيخ الإنبابى - ولما أقيل الشيخ الأنبابى عام ١٣١٣ عين المترجم له شيخًا للأزهر.

وأضيف إليـه منصب الإفتاء بـوفاة الشيخ مـحمد المهـدى العباسى المفـتى عام ١٢١٥ وأقيل أول عام ١٣١٧، وأقيم ابن عمه الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى شيخًا للأزهر والشيخ محمد عبده مفتيًا. وتوفى ابن عمه بعد شهر من ولايته على الأزهر سنة ١٣١٧، فعين الشيخ سليم البشرى شـيخًا له عام ١٣١٧ ولما أقيل آخر عام ١٣٢٠ ولى الشـيخ على البيـلاوى على الأزهر، واستـقال فى ٩ المحـرم عام ١٣٢٣، وعين بعده الشيخ عـبد الرحمن الشربينى شيخًـا، ثم استقال فى ١٦ ذى الحجة عام ١٣٢٤، فعين النواوى شيخًا للأزهر للمرة الثانية، واستقال من المنصب عام ١٣٢٧، فأعيد الشيخ سليم للمشيخة، (٥٦ - ٦٣ أعيان القرن الثالث عشر - أحمد تيمور).

وسن الشيخ قـانونًا لأهل الأزهر، وفى أواخر مـشيخـته أسس مـجلسًا لإدارة الأزهر بأمر الخـديو، وسن قانونًا لإصـلاح الأزهر.. وكان بعد استعفـاء الشيخ الإنبابى عن المـشيخـة تولاها فى سنة ١٣١٢ بأمر الخـديوى، وكانت جـملة أكابر العلماء قدموا التماسًا بطلب المشيـخة فلم يلتفت الخديو إليهم، ثم سن قانونًا آخر مشتملاً على ستة أبواب تشتمل على اثنين وستين مادة.. ولنذكر بعض أبوابه.

الباب الأول فى الإدارة العمومية، وفـيه تشكيل مجلس إدارة الأزهر من خمسة أعـضـاء غيـر الرئيس منـهم ثلاثة من أفـاضل علمـاء الأزهر واثنان من العلمـاء والموظفين بالحكومة، وانعقاده على الأقل كل خمسة عـشر يومًا مرة، واختصاصه بتـصدير القـرارات والقواعـد التى يكون بموجبـها سـير التـدريس وضبط الطلـبة والأعمال وكل ما له علاقة بالأزهر وغير ذلك.

الباب الثـانى فى شروط الانتظام فى سلك طلبة الأزهر، ومنه أن لا يعـتبر من طلبـة العلم فى الأزهر إلا من بلغ من السن خـمس عشـرة سنة على الأقل، وأن يكون له دراية بالكتابة والقـراءة، وأن يكون حافظًا لنصف القرآن، ويتـعين حفظه كله على كفيف البصر، وغير ذلك.

الباب الثالث فى التعليم، ومنه منع قراءة الحواشى والتقارير منعًا باتًا فى جميع العلوم فى الأربع سنوات الأولى وبعدها تخيير الطلبة والأساتذة فى النظر فى الحواشى، أما التقارير فلا يجوز استعمالها إلا بقرار من مجلس الإدارة، وغير ذلك.

الباب الرابع فى الامتحان، وفيه انقسام الامتحان إلى قسمين: الأول امتحان شهادة الأهلية لمن أمضى ثمان سنوات فأكثر فى الأزهر وحصل ثمانية علوم على الأقل، ويؤلف لجنة الامتحان من ثلاثة من العلماء تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر، أما امتحان شهادة العالمية فلمن أمضى اثنتى عشرة سنة، وتؤلف لجنة الامتحان من سنة من أكابر المدرسين من كل مذهب اثنان، والدرجات التى يمنحها الطالب: أولى، وثانية، وثالثة.. ثم تكوين مجلس إدارة الأزهر وفى مقدمته صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية، وكان برئاسة الشيخ حسونة النواوى لإجراء مقتضيات هذا القانون، فقرر قواعد الانتساب والانتظار والاستحقاق فى الجرايات والتدريس والمسامحات والعلوم، وأوجدوا فى الأزهر نهضة علمية عظيمة، وأحضروا للعلوم الرياضية أمهر المدرسين، ووضعوا امتحانًا سنويًا، وصرفوا ستمائة جنيه مكافأة للناجحين فى أى فن كان، وتقدم طلاب الأزهر تقدمًا كبيرًا.. وانضمت للشيخ وظيفة الإفتاء سنة ١٣١٥ بعد وفاة الشيخ المهدى بعد ما قام وكيلا عنه مدة، وهو ثانى من جمع بين الإفتاء والمشيخة الأزهرية من الحنفية.. وفى مشيخته أنشئت المكتبة الأزهرية، وبنى الرواق العباسى، وأكثر من امتحان طالبى التدريس، وزيد فى مرتبات العلماء ومشايخ الأروقة والحارات من الأوقاف، وصرف عن الإفتاء والمشيخة فى ٢٥ محرم سنة ١٣١٧، وولد الشيخ سنة ١٢٥٥ بنواى، قرية من أعمال أسيوط بمركز ملوى، وقدم الأزهر وأخذ عن كبار المشايخ، وتربى على يده كثير من المدرسين، ودرس بجامع القلعة، وألف كتابًا فى الفقه الحنفى يدرس بها.. ومن أولاده الشيخ محمد حسونة من علماء الأزهر.

٢٥- السيد على البيلاوى المالكى (١٢٥١- ١٣٢٣هـ) حضر فى الأزهر ودرس فيه، وتولى نظارة دار الكتب عام ١٢٩٩هـ ثم عين شيخًا لمسجد الحسين سنة ١٣١١هـ، وأقيم نقيبًا للإشراف عام ١٣١٢هـ.

وعين شيخًا للأزهر عام ١٣٢٠هـ بعد استقالة الشيخ سليم البشرى -وظل فى المشيخة إلى أن استقال منها أول عام ١٣٢٣هـ (٨١- ٨٥ أعيان القرن ١٣- أحمد تيمور).

٢٦- الشيخ سليم البشرى المالكى، ظل فيها إلى أن أقيل منها فى ذى الحجة ١٣٢٠هـ، بسبب حادث مسجد السيدة نفيسة مع حاكم مصر وقتئذ.

ولد الشيخ بمحلة بشر سنة ١٢٤٨، وهى قرية من مديرية البحيرة بمركز بلاد الأرز شرقى ترعة الخطاطبة بالقطر المصرى، وقدم إلى مصر بعد ما حفظ القرآن الكريم، واشتغل بالعلم على مذهب الإمام مالك رضى الله عنه، وجد فى التحصيل على كبار العلماء كالشيخ البيجورى والشيخ عليش وأضرابهم حتى مهر، ودرس فى سنة ١٢٧٢، ودرس جميع الكتب المعتادة بالأزهر مرات عديدة وتخرج من درسه كثير من أكابر ومشاهير العلماء المدرسين بالأزهر كالشيخ الفاضل الشيخ محمد راشد إمام المعية والمرحوم الشيخ البسيونى البيبانى والمرحوم الشيخ محمد عرفة، وغير هؤلاء من أفاضل المدرسين بالأزهر، ولما عين شيخًا للجامع الزينبى وكان خاليًا من المدرسين رتب نحو السبعة من العلماء للتدريس به منهم، من يقرأ الحديث ومنهم من يقرأ الفقه على الأربعة المذاهب، ومنهم من يقرأ الأخلاق وغير ذلك، وطلب لهم مرتبات من الأوقاف، ورتب لهم ذلك حتى صار ذلك الجامع كأنه قطعة من الأزهر، وفى ١٣٠٥هـ صار شيخًا للمالكية وكانت قد ألغيت نحو خمس سنوات بعد الشيخ عليش فأحياها الشيخ وقد جمع بين المشيختين، ومن تأليفه تحفة الطلاب فى شرح رسالة الآداب، وحاشية على رسالة عليش فى التوحيد. وكان ابنه الشيخ عبد العزيز البشرى من أفاضل العلماء والكتاب، وتوفى عام ١٩٤٣.

٢٧- السيد على محمد الببلاوى المالكى وقد بقى فيها إلى أن استقال منها فى أوائل محرم سنة ١٣٢٣هـ.

٢٨- الشيخ عبد الرحمن الشربينى ولى المشيخة فى ١٣ محرم ١٣٢٣هـ وبقى فيها إلى أن استقال منها فى ذى الحجة ١٣٢٣هـ.

٢٩- الشيخ حسونة النواوى للمرة الثانية، واستقال فى السنة نفسها فتولاها مرة ثانية.

٣٠- الشيخ سليم البشرى، وتوفى سنة ١٣٣٥هـ.

٣١- محمد أبو الفضل الجيزاوى ولى المشيخة إلى سنة ١٣٤٦هـ، ثم خلفه فى ذى الحجة ١٣٤٦هـ ٢٢ مايو ١٩٢٨ المراغى.

٣٢- الشيخ محمد مصطفى المراغى، ولى المشيخة إلى أن استقال فى سنة ١٣٤٨هـ أكتوبر سنة ١٩٢٩.

٣٣- محمد الأحمدى الظواهرى (المتوفى فى ١٣ مايو سنة ١٩٤٤)، وقد عزل من المشيخة فى ٢٣ محرم ١٣٥٤هـ- ٢٦ إبريل ١٩٣٥.

٣٤- الشيخ محمد مصطفى المراغى للمرة الثانية.

وظل فى المشيخة الشيخ المراغى رحمه الله.. حتى توفى فى ١٤ رمضان عام ١٢٦٤هـ الموافق ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥.. وقام بأمر المشيخة بعده الشيخ محمد مأمون الشناوى وكيل الأزهر فى ذلك الحين.. ولما استقال من الوكالة خلفه الشيخ عبد الرحمن حسن فى وكالة الأزهر والإشراف عليه.

٣٥- ثم عين الشيخ مصطفى عبد الرازق - شيخا للأزهر فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٥- وظل فيها حتى توفى فى منتصف فبراير عام ١٩٤٧ (١٣٦٤- ١٣٦٥هـ).

٣٦- وعين الشيخ محمد مأمون الشناوى فى المشيخة عام ١٣٦٧هـ، ١٨ يناير ١٩٤٨ وظل فيها حتى توفى فى ٢١ من ذى القعدة عام ١٣٦٩هـ، ٤ سبتمبر عام ١٩٥٠، وامتاز عهده بضعف أثر العصبيات فى الأزهر، وبالقضاء على الفتن والاضطرابات وبزيادة البعوث الإسلامية الوافدة على الأزهر، وزيادة العلماء الذين أرسلوا إلى الأقطار الإسلامية، وبمكانة الأزهر فى المجتمع، وبإلغاء البغاء وتحديد الخمور وجعل الدين مادة رسمية فى المدارس، وبارتفاع ميزانية الأزهر إلى نحو مليون وثلث، وبكثرة خريجى الأزهر فى مدارس الحكومة.. وأنشىء فى عهده معهد محمد على بالمنصورة، ومعهد منوف، وضم معهد سمنود إلى الأزهر.

وكذلك معهد الفيوم والمنيا. . وقد شيعت جنازته إلى مقرها الأخير يوم الثلاثاء ٥ سبتمبر عام ١٩٥٠[١].

٣٧- وعين بعده الشيخ عبد المجيد سليم شيخا للأزهر فى يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة ١٣٦٦هـ، ٨ أكتوبر عام ١٩٥٠، وظل فى المشيخة إلى أن أعفى منها فى اليوم الرابع من سبتمبر عام ١٩٥١، لمناهضته للحكومة القائمة وعدم الاستقرار والهدوء فى الأزهر، وذلك فى ٤ سبتمبر عام ١٩٥١.

٣٨- وأسندت المشيخة- إلى الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش. . وفى عهده قامت الحركة الوطنية لمناهضة الإنجليز والاستعمار، وكان للشيخ مواقف مشهودة فى هذه الحركة. . وقد ظل فى المشيخة إلى أن أعفى منها فى اليوم العاشر من شهر فبراير عام ١٩٥٢.

٣٩- وأسندت المشيخة فى هذا اليوم نفسه إلى الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم للمرة الثانية. . وقد ظل فيها حتى استقال منها فى ١٧ سبتمبر ١٩٥٢[٢]، وقد توفى عليه رحمة الله فى صباح يوم الخميس ١٠ صفر ١٣٧٤هـ- ٧ أكتوبر عام ١٩٥٤ وكان رحمه الله مثلا كريمًا فى الغيرة على الأزهر وإصلاحه، وترك فيه آثارًا كثيرة، وكانت له شهرة عالمية فى الإلمام بشتى العلوم والمعارف الإسلامية. . وقد ترك فراغا كبيرًا لا يسد، كما ترك تلاميذ ومريدين يذكرونه بالخير الإجلال والوفاء.

---

(١) راجع كتابى «الإسلام ومبادئه الخالدة» الذى ترجمت فيه للشيخ الشناوى وذكرت فيه الكثير من دراساته الإسلامية.

(٢) نص استقالة الشيخ سليم: بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة، رئيس مجلس الوزراء.. سلام الله عليكم ورحمته. أما بعد، فقد علمت أن الحكومة لم تر إجابتى إلى مطلبى بشأن المناصب الأزهرية الأربعة، ولما كنت لا أستطيع القيام بواجبى على النحو الذى أعتقد أنه يرضى ربى إلا بتحقيق ما طلبت، فإنى أبعث إليكم بهذا الكتاب راجيا أن ترفعوا استقالتى من مشيخة الجامع الأزهر إلى مجلس الوصاية المؤقت، والله أسأل أن يوفقنى وإياكم إلى ما فيه الخير للأمة ولدين الله القويم، والسلام عليكم ورحمة الله.. القاهرة فى يوم الأربعاء ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٧١هـ - ١٧ من سبتمبر ١٩٥٢م.

٤٠- الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين، وقد تولى المشيخة بعد الشيخ عبد المجيد سليم، وبدأ عمله بإحالة وكيل الأزهر الشيخ عبد الرحمن حسن إلى المعاش وتعيين الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والشيخ محمد نور الدين الحسن وكيلين، وبإلغاء منصبى السكرتير العام ومدير المعاهد - واستمر فى المشيخة إلى أن استقال منها فى أوائل يناير ١٩٥٤.

٤١- الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج، وقد تولى المشيخة بعد الشيخ محمد الخضر حسين فى يوم الجمعة ٢ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ- ٨ يناير ١٩٥٤، وبدأ عمله بإحالة الوكيلين الشيخ دراز والشيخ نور الدين الحسن إلى المعاش، وبتخفيض سن الإحالة على المعاش لعلماء الأزهر إلى الخامسة والستين، وبإحالة أعضاء جماعة كبار العلماء الذين بلغوا هذه السن إلى المعاش كذلك.

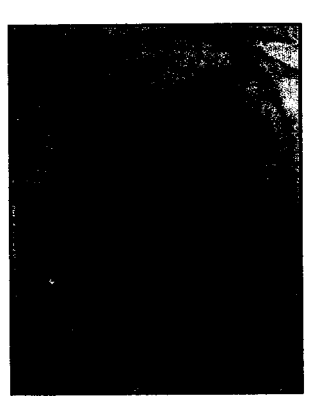
والشيخ تاج مولود عام ١٨٩٦ بأسيوط ونال العالمية عام ١٩٢٣ وشهادة التخصص عام ١٩٢٦، وسافر عام ١٩٣٦ إلى فرنسا، حيث عاد منها عام ١٩٤٣ بلقب دكتور، وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء ١٩٥١م.

❁❁❁

الفصل الثاني

تراجم الأئمة شيوخ الأزهر الشريف[١]

١- فضيلة الإمام الشيخ محمد الخراشي



إن الأزهر الشريف صرح شامخ وعريق، والمتتبع لتاريخه المجيد وشيوخه وأئمته العظام يجد دعامة قوية صلبة ومهمة في تاريخ الأمة الإسلامية، بل والعالم بأسره، حيث قاده إلى معرفة عقيدته ومنبع حضارته وعزته ومجده.

وذلك بفضل شيوخه وأستاذته وطلابه، فهو بحق جامع وجامعة.

وبتوجيه وتكليف من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د محمد سيد طنطاوى اقترح فضيلته أن أقوم برسم صورة لشيوخ الأزهر، الذين لم يسبق أن دونت لهم صور لعدم وجود آلات التصوير أثناء حياتهم، ولم تسجل أو تطبع فى الكتب التاريخية أو فى كتب التراث وكلفنى فضيلته أن أقوم برسمها. حتى تكتمل حبات اللؤلؤ فى عقد واحد ووضعها فى قاعة الإمام محمد عبده، مع باقى شيوخ الأزهر الأجلاء الذين لهم صور سجلت فى العصر الحديث.

وكان يطلق على من يتولى مشيخة الأزهر: «شيخ الإسلام» لتمكنه من فقه الإسلام وعلومه، وهذا اللقب يمنحه فقط خليفة المسلمين بنفسه للإمام الذى يتولى منصب شيخ الإسلام، وهذا يتم باختيار واتفاق من جميع الشيوخ والعلماء، ويخلع عليه السلطان الحلة إعلانا بتعيينه شيخا للأزهر وشيخا للقطر كله.

---

(١) هذه التراجم الكاملة والتفصيلية لشيوخ الأزهر جميعًا إضافة جديدة خاصة بالطبعة الثالثة الجديدة من أول شيخ إلى الإمام الأكبر الشيخ أ.د. سيد الطنطاوى، مع الوثائق والصور الملونة وغيرها حسب ظروف العصر: د. على صبح من ص ٢٤٧ إلى نهايتها وصرحت فى المقدمة بدور أ. د. عبد الله سلامة نصر فيها.

وعدد الشيوخ الذين تولوا منصب شيخ الأزهر رسميًا بالاختيار والاتفاق والتعيين ولم تسجل أو تنشر لهم صور شخصية ٢٤ شيخًا، أولهم فضيلة الشيخ الإمام محمد عبد الله الخراشى وآخرهم الشيخ الإمام عبد الرحمن الشربينى، والعدد الإجمالى لشيوخ الأزهر، ثلاثة وأربعون شيخًا الأربع والعشرون الأول، قمت أنا برسم صورهم، وعدد الذين لهم صور فوتوغرافية تسعة عشر شيخًا أولهم فضيلة الشيخ الإمام عبد الله الشرقاوى وتنتهى بفضيلة الإمام الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الحالى أدامه الله ومتعه بالصحة وطول العمر.. وبهذا يكون اكتمل العقد وترابطت السلسلة العظيمة، لتلك الكوكبة التى أضاءت للأمة طريق العلم والنور والحرية الفكرية والوطنية.

كما كلفنى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د. محمد سيد طنطاوى القيام بكتابة نبذة تاريخية موجزة للتعريف بتلك الشخصية المرسومة لإتمام الفائدة للقارىء وبمعاونة مدير عام الكمبيوتر التعليمى بالأزهر. الأستاذ مهدى شلتوت.. حيث قام بإدخال أئمة الأزهر على شبكة الكمبيوتر والموقع العالمى للأزهر.

كل صورة مع سيرتها الذاتية وتاريخها.. وهذه خدمة للباحثين والقراء والمؤرخين.. وهذا جهد مشكور للأستاذ مهدى شلتوت.

ومن المصادر التى استندت إليها فى كتابة هذا الموجز واستقاء المعلومات: العيد الألفى للأزهر، والكتاب التاريخى العظيم «صفحات مشرقة من تاريخ الأزهر وشيوخه العظام للدكتور عبد العزيز غنيم»، والمعهد والمتحف الفرنسى للآثار الشرقية إضافة إلى مصادر أخرى منها صوت الأزهر.

الشيخ محمد الخراشى.

الإمام الأول.. فضيلة الشيخ الإمام محمد الخراشى.. هو أول من جلس على كرسى مشيخة الأزهر رسميا.

التعريف به: «هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الله بن على الخراشى».

- ولد فى بلدة «أبو خراش» مركز شبراخيت. محافظة البحيرة فى عام ١٠١٠هـ «١٦٠١م» كان شيخ المالكية ورعا تقيا متقربا إلى الله بالعلم وخدمة الدين.

- تلقى العلم على يد نخبة من العلماء والأعلام.. منهم والده الشيخ «جمال الدين عبد الله بن على الخراشى والشيخ اللقانى، والأجهورى، والشامى وغيرهم». درس العلوم المقررة بالأزهر «العلوم الدينية واللغوية والتاريخ ودرس علوم السيرة والعلوم النقلية كالمنطق وعلوم الكلام».
- مكث عشرات السنين يتلقى العلم ويلقنه.. ومن تلاميذه وبعض شيوخ الأزهر «الشيخ القلينى، والشيخ الفيومى وغيرهما».
- عرف الشيخ الخراشى بالتواضع ودماثة الخلق، وكرم النفس مع الزهد والتقشف.

«بيئته ونشأته»:

قال صاحب الخطط التوفيقية، عن بلدته التى نشأ فيها وهو فى سن الطفولة وهى قرية «أبو خراش» وهى بلدة كلها خير وبركة فأثرت على ساكنيها، وبما فيها أولياء الله الصالحين وجهابذة العلم الذين جمعوا بين علوم الدين والدنيا، ولا ننسى أن والد الشيخ الخراشى من العلماء المشهورين، لذا نجد أن بيئه الإمام التى نشأ فيها كانت بيئة علم وتقوى دين ودنيا، انعكست على سلوكياته، فقد قيل عنه أنه رجل دين ودنيا معًا، وأنه لم تمض ساعة من عمره الذى زاد على التسعين، إلا وتجد له فيها عملاً من أعمال الدنيا والآخرة.

«البيئة العلمية ومذهبه»:

رحل الصبى صغيراً من بلدته «أبو خراش» أو أبو خرش كما ذكر بعض الكتاب -ربما فى سن العاشرة تقريبًا بعد أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن كاملاً وقدراً من العلوم التى تؤهله للقبول بالأزهر كالحساب والإملاء وغيرهما.

ودخل الشيخ الأزهر صغيراً، وأقبل على العلوم المقررة فيه ودراستها بشغف وحب كبير وتفرغ لها تمامًا حتى استوعبها كلها.

واختار المذهب المالكى حبا فى الإمام مالك فقيه المدينة المنورة ولكثرة مصنفاته فركز عليها وقرأها قراءة واعية مع إمعان الفقيه والتأنى البالغ. حتى بلغ غايتها وفهم معانيها.. حتى وصل فيها إلى درجة التأليف والفتوى.. وامتد صيته فى

مشارق الأرض ومغاربها من ديار الإسلام وأصبح هو المرجع والفارس لهذا المذهب، ومن بعده تلاميذه ومريدوه. الذين ساروا على دربه ومنهجه ودرسوا هذا المذهب من بعده.

ومن الأمور التى ساعدت الشيخ الإمام «الخراشى» وجعلته يصل هذه المنزلة العلمية الكبيرة، أمور كثيرة منها:

١- شيوخه ومدرسوه الذين تلقى عنهم وسمع منهم، مثل: الشيخ اللقانى والاجهورى، والشيخ الشامى ومن قبلهم والده الشيخ عبد الله.

٢- الكتب والمراجع الكثيرة التى قرأها ودرسها، مثل الكوكب المنير فى شرح الجامع الصغير، الفرائد السنية فى شرح المقدمة السنوسية، الدرر السنية لحل ألفاظ الاجرومية. وغيرها من الكتب الدينية واللغوية، والتطبيقية.

٣- مزاولة التدريس بالأزهر والمدارس المساعدة له منها: المدرسة الاقبغاوية كان له فيها درس يومى على الأقل ولم يكن قيامه بالتدريس والمحاضرة مقصوراً على طلاب العلم فحسب، وإنما كان يأتى إليه العلماء وغيرهم للتزود من علمه الغزير ومعارفه وثقافته التى لا ينضب معينها، ولا ينقطع ماؤها، فهو بحر لا ساحل له ولا قرار.

٤- الزيارات الكثيرة التى كانت تأتيه من كل البلاد الإسلامية شرقا وغربا، حيث كانوا يحدثونه عن ماضى بلادهم وحاضرها وما فيها من ثقافة وعلوم، وما يأتون به من مصنفات وكتب علمائها وآدابها. فكانت كل هذه الموارد العلمية تضيف إليه علما وثقافة جديدة ليزيد رصيده، وتتسع آفاقه، ويزيد فى امتداد سمعته وانتشار علمه، مما ينعكس هذا على طلابه ومريديه.

آثاره العلمية ومؤلفاته

١- رسالة فى البسملة.. وهى مؤلفه من أربعين كراسة. فى شرح قوله سبحانه «بسم الله الرحمن الرحيم».

٢- فتح الجليل.. فى الفقه المالكى.

٣- الشرح الكبير فى الفقه.. وهو مختصر خليل فى ثمانية مجلدات.

٥- حاشية على شرح الشيخ على للعالم ايساغوجى فى المنطق.

٦- منتهى الرغبة.. فى حل ألفاظ النخبة.

٧- الفرائد السنية فى حل ألفاظ السنوسية.. فى التوحيد.

٨- الأنوار القدسية فى الفرائد الخراشية فى التوحيد أيضًا.

والمتتبع لدراسة هذه الكتب يدرك أنها ليست فى فرع واحد من العلوم، ولا فى تخصص مستقل وإنما فى فروع شتى وتخصصات مختلفة، وهى بلا شك تدل على اتساع علم الرجل وكثرة مداركه فى كل ما كان يدرس فيه ويدرسه فى الأزهر وغيره فى ذلك من العلوم، سواء كانت علومًا دينية أو لغوية أو دنيوية. على سواء.

أفضاله وآثاره

إن للإمام الخراشى مزايا ومناقب أشتهر بها وكان يرددها من بعده تلاميذه وعارفوه منها:

١- أنه كان شديد البأس على الظالمين من الحكام وغيرهم، لا تأخذه فى الحق لومة لائم، ينتصر للمظلوم ويقف بجانبه حتى يعيد له حقه.. فيشفع للناس لدى الولاة وأصحاب النفوذ والجاه لقضاء حوائج قاصديه والمستشفعين به من ضعفاء الناس من الفقراء والمساكين. ومن لا حول له ولا قوة.

وكان الرجل من الهيبة وحسن السمعة.. بحيث يهابه كل من يراه؛ فلم تكن ترد له شفاعة أو يهمل له رجاء.. وفتح أبوابه لكل مظلوم من الرجال والنساء.

وأصبح يضرب به المثل فى الشجاعة وكرم النفس.. حتى أثر عنه: عندما يصاب الناس بكارثة، أو تلم بهم لامة من الولاة وغيرهم، ينادون بلفظ كلمة «يا خراشى» ينطق بها الناس من سكان القرى والبلدان والمدن.

دليل على طلب النجدة والاستغاثة ورفع الظلم فينادى الناس «يا خراشى».

٢- حرصه الدائم على تأدية صلاة الفجر فى الأزهر من يوم أن التحق به حتى مماته.

وهو فى التسعين من عمره وفتح أبواب مكتبته لتلاميذه لصقل عقولهم وتنمية أفهماهم واتساع مداركهم.

٣- مع كثرة مشاغله وتعدد مهامه. فقد خلف من المصنفات الكبيرة والموسوعات الغزيرة وأن روايته للحديث كانت متصلة الاسناد إلى النبى ﷺ عن طريق الحافظ بن حجر العسقلانى وغيره. هذا دليل على أن العناية الإلهية كانت ترعاه وتحفظه، كما كانت تمد الأولياء والصالحين والعلماء السالكين للطريق القويم.

٤- جمع بين علوم الدين والدنيا وأصبح قدوة الأولياء وأسوة العلماء.. مثالاً للبر والتقوى ذو فضل كبير وكفاح طويل.

وفاته:

واصل الرجل العمل لله وللدين على مدى تسعين عامًا أو يزيد حتى آن آجلة وحانت منيته بعد هذا الجهاد المرير.

فى صبيحة يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ذى الحجة سنة إحدى ومائة وألف من الهجرة «١١٠١هـ» الموافق «١٦٩٠م».

وخرج الناس لتشييعه إلى مثواه الأخير، فى جنازة مهيبة لم ير لها مثيل، ودفن مع والده وسط قرافة المجاورين. قرب مدفن الشيخ العارف لله «محمد البنوقرى».

فسلام عليك أيها الإمام الجليل فى الخالدين، وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وصدق من قال: إن موت الأمة.. فى موت العالم[1].

ومن تلاميذه: الشيخ أحمد اللقانى، ومحمد الزرقانى، وعلى اللقانى وشمس الدين اللقانى، وداود اللقانى، والشيخ أبو حامد الدمياطى، وعلى المجدولى وأحمد المشرفى، وشمس الدين البصير السكندرى، ومحمد النفراوى، وأحمد النفراوى، وأحمد الفيومى. والعلامة أبو العباس الديربى، وكذلك شيخى الأزهر السابقين الإمام عبد الباقى القلينى، والإمام إبراهيم موسى الفيومى.

---

(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر فى ٢/ ٢/ ٢٠٠٧ صـ١٠.

وقد وصفه المرادى فى كتابه «سلك الدر فى أعيان القرن الثانى عشر بقوله: «بأنه الإمام الفقيه ذو العلوم الوهبية والأخلاق المرضية المتفق على فضله وولايته وحسن سيرته».

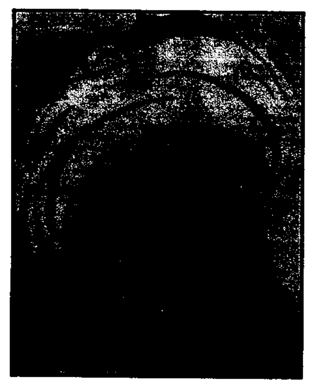
وقال عنه عبد الرحمن الجبرتى فى كتابه: «عجائب الآثار فى التراجم»:

«وهو الإمام العلامة والحبر الفهامة شيخ الإسلام والمسلمين ووارث علوم سيد المرسلين».

وقال عنه الشيخ على الصعيدى فى حاشيته على فتح الجليل: «هو العلامة الإمام، والقدوة الهمام، شيخ المالكية شرقا وغربا، قدوة السالكين عجما وعربا، مربى المريدين -كهف السالكين، سيدى «أبى عبد الله بن على الخرشى إنتهت إليه الرياسة فى مصر حتى إنه لم يبق بها فى آخر عصره إلا طلبته، وطلبة طلبته، وكان متواضعا عفيفًا واسع الخلق كثير الأدب والحياء، كريم النفس جميل المعاشرة، حلو الكلام، كثير الشفاعات عند الأمراء وغيرهم مهيب المنظر، دائم الطهارة، كثير الصمت، كثير الصيام والقيام، زاهدا ورعا..».

❁❁❁

٢- فضيلة الإمام الشيخ إبراهيم البرماوى



إن شيوخ الأزهر الشريف علمونا أن الرسالة الإسلامية فى المقام الأول.. فهى تأصيل لحرية الفكر والعقيدة، وتأكيد لواجب التدبر فى شئون الكون والخلق، فلا حجر على رأى، ولا فرض لاجتهاد، ولا حرمان لشخص من حقه فى الاطلاع والمناقشة، ولا إكراه فى الدين.

هذه هى تعاليم الحق تبارك وتعالى وهذه هى القاعدة الصلبة التى قام عليها شيوخ الأزهر الأعلام على مر القرون.. ومن هنا لم يعرف الإسلام أبدا عصوراً للظلام والجهل.. ولم يضع قيدا على حرية البحث والنقاش، ولم يكن هناك تناقض بين العلم والمعتقد، ولم تكن هناك كهانة ولا رهبنة، ولا احتكار للعلم، ولأن التفكير فريضة إسلامية وواجبة على كل مسلم ومسلمة، وهذا هو نهج الأزهر الشريف فى رسالته ودعوته العالمية، نجد هذا فى دعوة الإمام الثانى للأزهر الشيخ الإمام محمد البرماوى بل وكل الأئمة الأعلام.

ولا ننسى دور مكتبة الأزهر من مطبوعات قيمة ومخطوطات نادرة فقد قامت بدور كبير فى حفظ التراث وذاكرة الأمة الإسلامية.. والتى أمدتنى فى بحثى هذا بالكثير، وازدادت نظاما وترتيبًا وتقنية حديثة تحت إشراف فضيلة الشيخ محمد شوقى السبكى.. وكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف وهى تعد ثانى مكتبة فى مصر من حيث عدد ما فيها من كتب، ونوادر المؤلفات والمخطوطات وما رأيت فيها من دقة الإدارة والتنظيم وروادها من جميع بلاد العالم الإسلامى والعربى، ومواصلة لما كلفنى به فضيلة الإمام الأكبر الدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر نواصل مسلسل الكتابة وإبراز فضل أئمة الأزهر وشيوخه الأعلام.. مع أن شيوخا كثيرة لم ينصفهم التاريخ لمعاصرتهم فترات الركود الفكرى والاحتلال وبعد أن ذكرنا الإمام الشيخ «الخراشى» فى العدد السابق من جريدة صوت الأزهر.. نتحدث عن الإمام الثانى كما ذكرت سيرته فى كتب التاريخ.

الشيخ الإمام إبراهيم محمد البرماوى التعريف به:

هو الشيخ العلامة الإمام إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن خالد البرماوى الأزهرى الشافعى الأنصارى نسبة «إلى برما» من قرى محافظة الغربية.. وهو ثانى شيوخ الأزهر حسب ما ذكره «الجبرتى» فى عجائب الآثار ج ١، حفظ القرآن، ودرس فى الأزهر على كبار الشيوخ، وعكف على دروس الشيخ أبو العباس شهاب الدين محمد القليوبى، وكان من أعظم علماء عصره.. متعدد الثقافات، وألف كثيراً من الشروح ثم أذن له أن يقوم بالتدريس.. فأقبل عليه الطلاب وغير الطلاب نتيجة علمه وكان من أنجب تلاميذه الشيخ إبراهيم الفيومى.

بيئة الشيخ البرماوى ونشأته ومذهبه:

نشأ فى قرية من قرى محافظة الغربية، وكان بها كثير من العلماء وكعادة أهل القرية ونتيجة لتوجيه أهل العلم والفضل وإن للبيئة التى نشأ فيها الشيخ البرماوى أثراً كبيراً فى ثقافته وعلمه فى كتاب القرية حفظ القرآن الكريم ومن الطبيعى أن يتلقى العلوم التقليدية المعروفة للالتحاق بالأزهر فى ذلك الزمن.. من علوم شرعية ولغوية، وما يتعلق بها.

وإن العوامل التى ساعدت على وصوله إلى ما وصل إليه من العلم والشهرة معًا.. وهى كثيرة.. أهمها هى بلدته «برما» التى على أرضها تربى وترعرع، ونما تحت سمائها وعاش بين أهله وعشيرته وكما ذكرنا أنه قضى سن طفولته وصباه فى قريته التى وصفها صاحب الخطط التوفيقية.. قال: «هى قرية كبيرة قديمة من مراكز أبيار التابعة لمديرية الغربية مبنية على تل مرتفع جهة محلة مرحوم.. وفيها مسجد عامر له مئذنة عالية وسوق كبير وحدائق مزهرة وكان ببلدة «برما» علماء كبار ترجم لهم الشيخ البرماوى فتأثر بهم وبعلمهم كما أثر هو فى بعض العلماء مثل شمس الدين البرماوى وعلى البرماوى الضرير والمتتبع لما ذكرناه.. يرى أن هذه البلدة كانت موطنا لكثير من العلماء الراسخين فى العلم والذين جمعوا بين حسن السيرة السمعة الطيبة وكمال الأدراك والمعرفة.

وإن أهلها كانوا ينتمون إلى المذهب الشافعى، ولهذا أحب الإمام البرماوى المذهب الشافعى وتبحر فى دراسته وأحاط إحاطة تامة بالمذهب الشافعى القديم منه والجديد.

اعتلاء كرسى المشيخة:

قبل أن نذكر آثاره العلمية والشيوخ الذين تلقوا عنه العلم نريد أن نلقى ضوءاً فى إيجاز على توليه مشيخة الأزهر.. قال الجبرتى فى «عجائب الآثار»: تحدثت المصادر التاريخية أن الشيخ الثانى للأزهر هو الشيخ «النشرتى» صاحب كنز الجواهر.. أغفل هذا وجعل الشيخ «النشرتى» هو الشيخ الثالث للأزهر وأنه ولى منصبه فى ١١٠٦هـ أما الفترة بين وفاة الشيخ الخراشى وولاية النشرتى ١١٠٦هـ فقد ولى فيها الشيخ البرماوى وهذا هو الصواب.. حيث صحح هذا الشيخ رافع الطهطاوى فقال إن الشيخ النشرتى هو الثالث خلافا لما ذكره الجبرتى من أن النشرتى تولاها عقب الخراشى.. وذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز غنيم وهناك بواعث ودواع على أساسها خرجت مشيخة الأزهر من أيدى المالكية إلى الشافعية مع وجود التعصب المذهبى الشديد وعلى الرغم من أنها كانت فى أيدى المالكية وأن من تولى قبله وبعده من المالكية وأن الإمام الخراشى كان له أصحاب ومؤيدون يبلغ عددهم المائة وأكثر.. وكانوا جميعا يعرفون المذهب المالكى ويفهمون أسراره.. وفى مقدور كل منهم أن يتصدر الفتوى وأن التعصب المذهبى فى هذا العصر كان على أشده، وأنه لم يكن فى مقدور أحد مهما أوتى من العلم ومن التقى والسمعة والشهرة أن ينتزع ما فى أيدى أصحاب مذهب لصالح مذهب آخر.. ولو حاول لاندلعت نار الفتنة التى لم تقتصر على علماء الأزهر، بل ربما يمتد شررها إلى ذوى السلطة أو أصحاب الحول والطول فى البلاد.

ومن الأسباب أيضًا -والكلام ما زال للدكتور عبد العزيز غنيم- أن عمد الأزهر كانت مقسمة على علماء الأزهر الأربعة لا بالتساوى ولكن تبعًا للتطور ووفقًا للسيطرة وكان إذا جلس شيخ مكان شيخ على مذهبه قامت الدنيا ولم تقعد حتى يغادر المعتدى عمود صاحبه فكيف يكون الحال إذا حاول شيخ الجلوس على أريكة المشيخة وانتزاعها من بين أيدى أصحاب مذهب إلى أيدى أصحاب مذهب آخر.

وأيضًا أن شيخ الأزهر لم يكن يعين من قبل أوليـاء الأمور وإنما كان يختار من بين علمـاء المذهب المسيطر فـإذا كان النفوذ للمـالكية. . كـان مالكيًـا وهكذا كان النفوذ أيام الشيخ الخراشى للمالكية ولهذا كان تولى الشيخ البرماوى لمشيخة الأزهر وهو شافعى يعتبر أمرًا غريبًا.

وكان إذا اختير من بين علماء مذهب يصـعد إلى القلعة ليطلع على قرار تعيينه وتخلع عليه الخلعة، وينزل فى موكب مهيب حتى يدخل الأزهر ويؤدى فيه الصلاة ويجلس على مشهد عظيم من العلماء والطلاب ويباشر بعد ذلك عمله.

ولهذا أرى أن الشيخ البرماوى ليس هو الشـيخ الثانى للأزهر وإنما الإمام الثانى هو الشيخ محـمد النشرتى وعلى كل فلابد أن نذكر أن الـعوامل التى أوصلته هى العلم والشهرة معًا وأهمها توليه مشيخة الأزهر. . هى الآتى منها:

آثاره العلمية ومؤلفاته:

وعلى سبيل المثال لا الحصر. . أنه ترك مـؤلفات عدة تدل على غزارة علمه فى الحديث وفقه الشافعية والمواريث والتصوف.

١- ألف كثيراً من الحواشى والشروح والرسائل وقيامه بالتدريس.

٢- ترك عدة مصنفات فى الحديث وفقه الشافعية والمواريث وحاشية على شرح الشـيخ «القـرافى» لمنظومـة ابن فرج الأشـبيلى وهى منظومـة فى علم مـصطلح الحديث.

٣- حاشيته على شرح ابن القاسم.

٤- رسالة فى أحكام القول حول الكلب والخنزير على مذهب الشافعى.

٥- حاشية على شرح «السبط على الرحبية» فى المواريث.

٦- الميثاق والعهد. . فيمن تعلم فى المهد.

٧- رسالة فى الدلائل الواضحات فى أثبات الكرامات «التصوف والتوحيد» وقد أنكب على شرح مولفاته الكثيرون من العلماء.

وفاته:

ظل الرجل الفقـيه يواصل التدريس فى حلقات العلم بالأزهر طيلـة أيام حياته وحتى أثناء توليه مشيـخة الأزهر من ١١٠١هـ ١٦٩٠م ولم يطل عمره على توليه المشيخة فـقد لبث فيها ست سنوات وهذه المدة وإن كانت قـصيرة فى عدد السنين فإنهـا كانت طويلة فـيما زخـرت من مؤلفـات الإمام ودروسه فى العلـوم الدينية واللغوية ولا سيما الفقه الشافعى الذى بلغ فيه الغاية وزاد على النهاية.

وهذا هو الشيخ البـرماوى وهذه هى بعض مفاخـره ومناقبه التى جعلتـه ينتزع المشيخـة من المالكية وهذا رغبة منا فـى الاختصار المفيـد وفى سنة ١١٠٦هـ انتقل العالم الجليل إلى مثواه الأخير فى رحاب ربه، وخرج الناس جميعًا عن بكرة أبيهم لتشييع جنازته فى موكب مهيب بكاه جميع الناس الخاصة منهم والعامة من العلماء والشيوخ.. فـسلام عليك أيها الإمام الكريم الجليل فى العـالمين وسلام عليك إلى يوم يبعـثون «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» ودائمًـا نقول (موت الأمة فى موت العالم)[١].



(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر صـ١٠ فى ٩/ ٢/ ٢٠٠٧م.

٣- فضيلة الإمام الشيخ محمد النشرتى



تقديم.. لقد شارك الأزهر فى الحياة العقلية والعلمية على مر العصور والأزمان، وتقدمت حركة العلم والأدب والفن فى مصر.. خطوات لم توجد مثلها من بلاد العالم، مثل بلاد العراق والشام ولا سيما العلوم الفلسفية والعقلية.. فقد نشطت هذه العلوم فى مصر نشاطًا كبيرًا، وذلك بفضل الأزهر، ودار العلم والحلقات العلمية، كما عنيت الدولة بدور الكتب ونشر العلم وتشجيع العلماء، فظهر الكثير من المؤرخين والفلاسفة والعلماء، والرياضيين واللغويين، والنحويين والأدباء، الذين تعلم على أيديهم الكثير من علماء مصر.

وكان نظام الحلقات العلمية وقت إنشاء الجامع الأزهر، هو نظام الدراسة الممتازة فى مصر الإسلامية ومعظم الأقطار الإسلامية الأخرى، وقوام الحياة الجامعية والفكرية فى العالم الإسلامى. وكان طبيعيًا أن الأزهر حينما أتيح له أن يدخل هذا الميدان الدراسى أن تقوم الدراسة فيه وفقًا لهذا النظام التقليدى المتوارث، ولم يكن هناك نظام آخر يمكن التفكير فيه، فى عصر لم تكن قد عرفت فيه المدارس بعد.. وهكذا بدأت الدراسة فى الأزهر فى حلقات علمية وأدبية واستمرت كذلك على مر الأزمان.. وجاء فى «الخطط التوفيقية ص ٢».

إن أول حلقة عقدت فى الأزهر سنة ٣٦٥هـ وعقدها قاضى القضاة «على بن النعمان» وقرأ فيها مختصر أبيه فى فقه آل البيت وهو الكتاب المسمى «الاقتصار» وذلك فى جمع حافل وهذا ما نهج عليه أئمة الأزهر بعد ذلك.. ومنهم إمامنا الفاضل والذى نحن بصدد الحديث عنه فى هذا المقال الموجز.. الشيخ الإمام «محمد النشرتى».

نشأته ومولده والتعريف به:

ولد فضيلة الشيخ الإمام محمد النشرتى ببلدة «نشرت» بمحافظة كفر الشيخ وسمى بالنشرتى نسبة إلى بلدته «نشرت» وحفلظ القرآن، ودرس بالأزهر، ولما تولى مشيخة الأزهر سنة ١١٠٦هـ ظل يواصل الدرس، وشغله منصبه وطلابه عن التأليف.

والإمام النشرتى: هو ثالث شيوخ الأزهر العلماء الأفاضل، ومن أعلام المذهب المالكى.. لم توجد له ترجمة دقيقة فى المراجع التاريخية إلا سطور متفرقة، ومتناثرة فى بعض أجزاء من كتب «الجبرتى»، وعدة سطور أوردتها اللجنة، التى أصدرت «كتاب الأزهر فى اثنى عشر عامًا»، وذكر الجبرتى أن من تلاميذ الإمام الشيخ «النشرتى» الإمام العالم العلامة صاحب المؤلفات الكثيرة والتقريرات المفيدة «أبو العباس أحمد ابن عمر الديربى الشافعى الأزهرى» ومنهم الإمام الشيخ الصالح عبد الحى بن الحسن بن زين العابدين، ومنهم الإمام الفقيه المحدث الأصولى المتكلم شيخ الإسلام وعمدة الآنام، الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الشافعى الأزهرى الشهير بالجوهرى.

ويذكر الأستاذ عبد المنعم خفاجى فى كتابه «الأزهر فى ألف عام» يقول: لقد راجعنا مصادر كثيرة وفهارس عديدة.. للمكتبات العامة لعلنا نعثر على بعض المصنفات، ولكننا لم نظفر بنتيجة حول الشيخ النشرتى وسيرته، ويبدو أن الشيخ النشرتى اكتفى بتدريس المصنفات المعروفة وبخاصة فى مذهب المالكية، وأنه بلغ فى التدريس شأنًا عظيمًا جعل الطلاب يتوافدون على مجالسه العلمية من كل مكان.

وهذا يعد اعترافًا بفضل الشيخ النشرتى، ومنزلته العلمية ومكانته الرفيعة، وإقرارًا بزعامته لعلماء المالكية فى عصره، ومن أجل هذا كان هو أول من اتجهت إليه الأنظار لتولى المشيخة بعد وفاة الشيخ البرماوى.. وقد حرص الشيخ النشرتى، على ألا تنفض حلقته الدراسية بعد توليه مشيخة الأزهر.

وهناك تعبير دقيق مأثور عن جمال الدين الأفغانى، عن العلة التى جعلته لم يقبل على تأليف الكتب والتصانيف!! فقال: «لقد ألفت رجالاً» وهذا تعبير رائع دقيق، فإن المدرس لم يؤلف كتبًا.. بل علم تلاميذ، وأصبحوا رجالاً علماء،

وخرج أطباء ومهندسين وزعماء قادوا الأمة إلى الحرية ونور العلم.. وحملوا رسالته من بعده وأدوها على أكمل وجه.. وهذا كان منهج الشيخ النشرتى فوجد أنه من الخير بناء الرجال وتأليفها.. كما أن بعض العلماء.. يرى تأليف الكتب خير وأبقى.. وعلى كل فالحياة الثقافية والعلمية بحاجة إلى كلا الاتجاهين..

ويقول الدكتور عبد العزيز غنيم: ومع ما كان عليه الإمام الشيخ النشرتى من العلم وما كان له من الفضل والمريدين والتلاميذ الذين طبقت شهرتهم الآفاق، فى الفقه المالكى بخاصة، وفى العلوم الدينية والدنيوية على سبيل العموم.. فإن المصادر التى بحثت فى حياة الرجل وأعماله، تؤكد أنه خلف رجالاً من العلماء كثيرين انتهت إليهم الصدارة فى علوم عصورهم المختلفة، والمتعددة المجالات والتخصصات، وإن القصد من هذا نريد تعريف القارئ الكريم بأن العلماء الذين لم يتركوا وراءهم مؤلفات ضخمة ومصنفات فريدة، لم يكونوا أقل حظًا من الذين خلفوا وراءهم رجالاً، خلدوا آراءهم وأفكارهم وأبقوا على مر الزمن أخبارهم وآثارهم..

وهذا هو الإمام أبو حنيفة فإنه لم يصنف فى مذهبه كتابًا ولا ترك مؤلفًا وإنما أسند هذه المهمة إلى أصحابه وتلاميذه أبى يوسف ومحمد وظفر وأمثالهم، فملأوا الدنيا تصانيف فى مذهبه وآرائه وأحكامه لا يحصيها سفر، ولا تحيط بها مجلدات.. وكذلك كان الإمام النشرتى فإنه لم يترك كتابًا ولا مصنفًا، وإنما ترك رجالاً سقاهم من فكره وعقله وعلمه.

ولبى نداء ربه راضيًا عما فعل.. ولهذا نسج له تلاميذه على منوال أصحاب أبى حنيفة، فتركوا وراءهم كتبًا ومؤلفات ما لا يقع تحت عد أو حصر.

وهؤلاء الرجال كثيرون.. نذكر منهم اثنين رغبة فى الإيجاز، وخوفًا من التطويل والملل وهما الشيخ الجوهرى والشيخ الديربى.. فأما الشيخ الجوهرى فقد ترجم له الجبرتى ترجمة ذكر فيها اسمه وكتبه وشيوخه ومؤلفاتهم، وما كان لهم فى عصرهم من صيت ومكانة مرموقة، وسمى بالجوهرى لأن أباه كان بائع جواهر.. وأنه درس بالأزهر، وتربع على الفتوى نحو ستين عامًا ومشايخه كثيرون، ذكر الجبرتى منهم تسعة عشر منهم الشيخ رضوان الطوخى إمام الجامع الأزهر، والشيخ الإمام محمد النشرتى شيخ الأزهر.

والرجل الثانى فهو أبو العباس أحمد بن عمر الديربى وترجم له مثل سابقه.. من ذكر اسمه وأسماء كتبه وشيوخه وتصانيفه، وما كان له فى عصره من ذكر شائع ومجد تليد.. ومن شيوخه الإمام النشرتى شيخ الأزهر أيضًا..

ونعود لنكمل سيرة الإمام النشرتى لنوضح بعض مزاياه وفضائله التى لا تنكر علمه الغزير، وأنه كان ذا قدرة فائقة على توضيح وإعراب ما فى نفسه، والإبانة عما يجول بخاطره وفكره، وهذا نعمة لا يخص الله بها غير القلة من عباده، ومن أجل ذلك كثر تلاميذه، واشتد الإقبال على دروسه، لا من مصر وحدها، بل من شتى ديار الإسلام كافة.

ومنها أيضًا أنه تربع على أريكة مشيخة الأزهر أربعة عشر عامًا، قضاها كلها فى التدريس فى الأزهر والمدرسة «الاقبغاوية» التابعة للأزهر، وكانت حلقاته العلمية فيها من المهابة وقوة الشخصية، والمستمعون إليه والجالسون وكأن على رؤسهم الطير، حرصًا منهم على ألا تفوت أحدهم كلمة تخرج من فمه، وقد سبق أن ذكرنا أنه كان نابغا فى الإعراب عما فى نفسه بفصاحة، وطلاقة تعبيره واضح لا إلتواء فيه ولا لبس..

ولهذا ترك من خلفه رجالاً يحبهم ويحبونه من أجلهم ترك التأليف والتصنيف ثقة منه من أن أصحابه سيملأون طباق الأرض من علمه وأدبه ومعارفه، وفعلا فعلوا وقد كانوا عند حسن ظنه فيهم علمًا وخلقًا وأسلوبًا وسلوكًا.

وطلبة الإمام محمد النشرتى دائمًا يلتفون حوله ومتأثرين به إلى درجة كبيرة ظهر ذلك بعد وفاته فى تماسكهم واتحادهم ومحاولة فرض آرائهم على ولاة الأمر، فقد أصروا على أن يتول أحدهم المشيخة من بعده وهو تلميذه الإمام الشيخ «القلينى» وأصرت طائفة أخرى على أن يتول المشيخة الشيخ «النفراوى» واستطاعت الطائفة الأولى أن تتغلب وتفرض إرادتها فرضًا بعد أحداث جسام ذكر ذلك الجبرتى وذكره «كنز الجواهر».

ورأى المؤرخون أنه من الخير الإشارة إلى هذه الأحداث، أداء لحق التاريخ، وإبراز لدور الأزهر.. فى التوجيه العام.

آثاره العلمية فى طلبته

المعروف أن الشيخ الإمام النشرتى كـان يلقى دروسه وهو شيخ للأزهر بالمدرسة «الأقبـغاوية»، وهـى مكان مكتبـة الأزهر الآن، فلما لقى ربه طمع فـى المشيـخة والتدريس بالمدرسة الأقبغاوية الشيخ الإمـام أحمد النفراوى، ولكن تلاميذ النشرتى وقفوا ضـده وعدم تمكينه من التعيين، واتفـقوا فيما بينهم على أن يشـغل المنصبين معا زمـيلهم الشيخ عبد الباقى القليـنى وهو من التلاميذ النجبـاء للإمام النشرتى، وهو من المقيـمين فى فقـه المالكية ومن الصدق أن الـقلينى لم يكن بمصر وقتـها، فتعصبت له جماعة النشرتى، وأرسلوا يستعجلون حضوره، ولكن الشيخ النفراوى لم ينتظر، بل تقدم لإلقاء دروسه «بالأقبغاوية» فمنعه القاطنون بها، وحضر القلينى فانضم إليـه زملاؤه وأنصـاره واتضح بعد التحـقيق.. أن الحق فى جـانب الشيخ القلينى؛ فـولى المشيخـة والتدريس وأمر النفـراوى بلزوم بيته ونـفى الشيخ «شنن» أيضًا. وتـبخر عن هذا الحـدث.. هذا الرأى لبعض البـاحثـين منهم من يرى أن تكون مشيخة الأزهر بالانتخاب، وكان هذا جاريًا حتى لا تكون خاضعة للرياسات الدنيوية، فينتخب كـبار العلماء شيخهم كمـا يحدث فى بلاد العالم، ولكن الرأى الآخر يرى أن هذا الرأى سـيدفع كبار المرشـحين للتزلف إلى إخوانهم والتـهافت عليهم بما لا يتفق وجلال المنصب الكبير.

هذا إلى جانب إيغـار الصدور وإشاعـة الأحقاد بين المتنافـسين فيـما لا يناسب أخلاق العلماء الأعلام.

ونعود مـرة أخرى إلى الإمـام النشرتى والسـؤال الملح الذى يطرح نفـسه: لماذا الجبـرتى لم يترجم فى يومياته ترجـمة كافـية كما فـعل مع الكثيرين من شيـوخه وتلاميـذه واكتفى بكلمـات مبعـثرة فى أنحاء كـتابه؟! ولماذا لم يجـبر هذا النقص واحدًا أو أكثر من تلامـيذه؟ والمتتبع لسيرة الإمـام النشرتى يفهم ويدرك أن الرجل كان ممن لا يطلبون الشهرة وينبغى أن يكون عمله خالصًا لله وحده.. وأن تلاميذه كانوا يعرفـون ذلك.. فلم يترجموا له وأيضًا كـانوا يرون أن كلا منهم هو صورة من الشيخ تمشى على الأرض.. فلماذا الترجمة إذا؟

وفاته

وظل الرجل يواصل عـمله فى التـدريس، حـتى لقى ربه وهو يؤدى واجـبـة ورسالته على أفضل ما يكون من أداء الرسالة والنهوض بأعبائها.

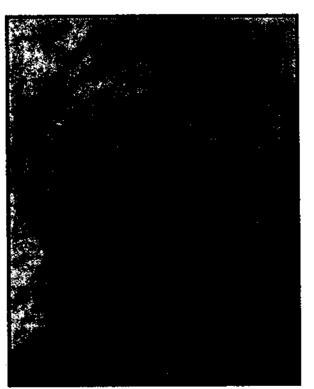
ففى الثـامن والعشرين مـن ذى الحجة ١١٢٠هـ ١٧٠٨م لبى نداء ربه وحـضر جنازته جمع غـفيـر من العلماء والوجهـاء والأمراء وعامـة الناس وخاصـتهم. . وسـاروا فى جنازته فى موكب جـليل مهـيب، وهذا مما يدل على مكانتـه وعظيم شأنه. . إلى جانب منزلتـه العلمية السامـية، وإنه ليوم مشهـور لهذا العالم الجليل شيع فـيه إلى مـثواه الأخيـر. بعد التـقاليـد المعتادة التى كـانت تؤدى فى الأزهر الشريف لكل من يموت من شيوخ الأزهر فى قراءة الخاتمة عليه والدعاء له من قبل مريديه وعارفى فضله وأولياء الأمور فى الدولة.

فسلام الله عليك فى الخالدين. . ودائمًا نقول موت الأمة فى موت العالم(١).

❁❁❁

(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر صـ١٠ فى ١٦/ ٢/ ٢٠٠٧م.

٤- فضيلة الشيخ عبد الباقى القلينى



وكان الأزهر -منذ بدأت الدراسة فيه- مفتوح الباب لكل مسلم: يقصده الطلاب من جميع الأعمار، من مشارق الأرض ومغاربها، وكان يضم بين جنباته عددًا كبيرًا من أبناء الأمة الإسلامية إلى جانب الطلاب المصريين -كلهم يتلقون الدراسة، وتجرى عليهم الأرزاق «الجراية» وتقيم كل جماعة منهم فى مكان خاص بها، وهو نظام الجامع «الأروقة» الشهير. وهذا النظام بدأ منذ أن بدأ بناء الجامع ذاته، هكذا ذكر فى «الخطط التوفيقية» أى واستمر قائمًا حتى العصر الأخير.

ويقول «المقريزى»: إن عدد الطلبة المغتربين الذين كانوا يلازمون الإقامة بالأزهر فى الأروقة الخاصة بهم فى عصره.. من أول القرن التاسع عشر بلغ ٧٥٠ طالبًا. ما بين عجم، ومن أهل ريف مصر، ومغاربة، وهو رقم كبير يدل على ضخامة الأزهر بصفة عامة من طلاب مصر وطلاب الأمم الإسلامية.

وإن علوم اللغة وعلوم الدين كانت فى مقدمة المواد الدراسية بالأزهر فى ذلك العصر، وللعلوم الدينية اهتمام خاص وعناية فائقة وأوفر رعاية، نجد أن علوم القرآن والحديث وعلم الكلام والأصول والفقه على مختلف المذاهب، وكذلك علوم اللغة.. من نحو وصرف وبلاغة وأدب وتاريخ، هذه كلها. كانت زاهرة بالأزهر الشريف، خلال العصور الوسطى.

ولقد أشرنا فى العدد السابق «من صوت الأزهر»: إلى أن الصفة المذهبية كانت تغلب على الدراسة بالأزهر ولاسيما فى بداية عهدها.. وهذا ليس بغريب فى ظل دولة كالدولة الفاطمية التى اتسمت بثوبها المذهبى، العميق، وكان من الطبيعى أن تحتل علوم الشيعة، وفقه آل البيت، المقام الأول. غير أن التعصب المذهبى لم يكن

دائمًا سائدًا أو مطلقًا. . ولم يكن لزامًا على الطلاب دائمًا، ومن العجيب والمعروف فى عهد الخلافة الفاطمية ومع اهتمامها بصبغتها المذهبية العميقة، لم تستطع أن تجعل عامة الشعب المصرى ينطوى تحت لوائها فى هذا المضمار.

وكانت الدراسة بالأزهر حرة المذهب، تدرس علوم السنة إلى جانب علوم الشيعة، وقد تحررت كثيراً من صيغتها المذهبية، حتى فى عهد اشتداد تيار الدعوة المذهبية كانت الدراسة تحظى بقسط وافر من الحرية يزيد وينقص، وفقًا للأحوال والظروف.

وإن الطلاب الذين يدرسون مع اختلاف: أممهم وأجناسهم شرقًا وغربًا، يشكلون أمة واحدة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] هذه الأمة من طلاب الأزهر.. تربطها العقيدة المشتركة، ووحدة الهدف والمصير، وكان طبيعيًا أن يجسد الأزهر الشريف هذا المعنى الكبير بطلابه الوافدين من أرجاء الدنيا. . ودعامة المنتشرين فى شتى الأنحاء، وعلمائه الأجلاء الذين قصدوه من كل صوب وجدب فاضافوا الكثير من العلم والحكمة، وإدراك معنى الحياة، والالتزام بتعاليم الله وحقوق الأزهر. . ومع اختلاف جنسيات طلاب وعلماء الأزهر. . فالكل أسهم فى مفهوم تعميق رسالة الإسلام. . عقلاً وفكرًا وعقيدة.

وبعد. . فقد كان الأزهر بحق أعظم مؤسس لصرح الحياة العقلية والثقافية والآن. . نقوم بمواصلة الكتابة عن هذه السلسلة العظيمة من أئمة الأزهر وشيوخه الأعلام ومواصلة لما كلفنى به فضيلة الإمام الأكبر أ.د. سيد طنطاوى شيخ الأزهر. . وذكرت فى أول مقال. . أسباب هذا التكليف. الذى يدل على اهتمام فضيلته البالغ وسعة أفقه وحبه للأزهر، والقيام بتخليد ذكرى شيوخه الأجلاء وتسجيل سيرتهم العطرة، وتعريف الناس بهم الخاصة والعامة، وإنهم الكوكبة اللامعة الذين أرسوا قواعد الإسلام ورسخوه فى القلوب. فجزاه الله خير الجزاء ونعود للحديث عن الإمام الرابع.

نشأته ومولده وبيئته. وأثرها عليه:

ولد «الشيخ عبد الباقى القلينى فى بلدة «قلين» وهو من كبار أصحاب المذهب المالكى -ونسب إلى بلدته قلين بمحافظة كفر الشيخ. . وكعادة أهل القرية، أنهم

يذهبو بابنائهم إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم، والصبى الذى يحفظ القرآن صغيراً يكون فخراً لأهله وعشيرته. فحفظ القرآن شأنه فى ذلك شأن غيره من التلاميذ، ومع ما دونه له المترجمون من المزايا، إلا أنهم غضوا الطرف عن نشأته، وبواكير حياته، وعادة.. أن المؤرخين لم يكتبوا عن شخص إلا بعد أن يذيع صيته ويرتفع ذكره، وكان الشيخ الإمام عبد الباقى القلينى -كسابقه- الشيخ النشرتى- لم يوضع فى كتب التراجم، ولم يكتب عنه إلا اليسير فى فقرات موجزة، ولم توجد له مصنفات.

وقد أمسك الجبرتى وغيره عن الترجمة له، والخوض فى سيرته حتى وفاته.. فإنه لم يتناولها.. وهذا مما جعل المؤرخين فى حيرة.. ولا يدرون كم كانت مدة ولايته المشيخة الأزهر، ولاكم كان عمره عند موته وإن الرجل كما ذكرنا ينتسب إلى بلدة «قلين» إحدى قرى محافظة كفر الشيخ- وإليها ينتسب الكثيرون من ذوى الفضل والحجا، وأولى البر والتقى، ومنهم الشيخ محمد القلينى الأزهرى الذى كانت له كرامات مشهورة ومأثر مذكورة.

هذه هى بيئة «القلينى» الأولى التى ولد فيها، وعاش على أرضها، وقضى سنين طفولته وصباه بين ظهرانيها، والعلماء يقولون «المرء ابن بيئته».

قد عرف أن الكثيرين من أهل العلم والصلاح كانوا ينتمون إلى قرية الشيخ القلينى، فإذا ما رجعنا إلى ما كان يتميز به من الرسوخ، فى مذهب الإمام المالك، والإحاطة التامة بأمهات كتبه إلى جانب تأثير بيئته الأولى فيه. لم تكن هناك مبالغة فى القول ولا إسراف فى الاستنتاج ولم يكن تأثير البيئة فى الإمام «القلينى» أقل من تأثير زملائه وشيوخه!! فقد كانوا جميعهم أو أكثرهم من العلماء الأفذاذ الذين خلدهم التاريخ فى صحائفه المنشورة، وذخائره المذكورة، على سبيل المثال لا الحصر زملاؤه الذين سبقو إلى تقلد منصب مشيخة الأزهر «مشيخة العموم» وهم الإمام «الخراشى، والبرماوى والنشرتى»، وقد سبق الحديث عنهم بالتفصيل، فى شيوخهم وتصانيفهم ومؤلفاتهم، ومواقفهم العظيمة.

حياة الإمام القلينى وآثاره العلمية وتوليه المشيخة:

هو رابع شيوخ الأزهر بعد وفاة الإمام «النشرتى»، تربع على كرسى المشيخة الإمام «القلينى فى سنة ١١٢٠هـ- ١٧٠٨م ولم توجد له ترجمة كافية. وكذلك

بالنسبة لمؤلفاته وعلومه، أما أنه كان يسقى تلاميذه العلوم ويتركهم ليدونوه ويسجلوه كما فعل جمال الدين الأفغانى وغيره ممن يعملون ولا يصنفون.

الواقع أنه كذلك.. وكان ينافس الشيخ «القلينى» على مشيخة الأزهر عالم من العلماء الأفذاذ وهو الشيخ «النفراوى» الأزهرى المالكى، وقد ترجم له الجبرتى فى يومياته أنه الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوى.

تفقه النفراوى على أيدى كثير من العلماء، ومنهم الشهاب اللقانى، والزرقانى، والخراشى ومنصور الطوخى، والشهاب البشبيشى.

وله مؤلفات كثيرة منها: شرح الرسالة، شرح النورية، والأجرومية، ومات وعمره اثنان وثمانون عامًا، وإذا كان هذا هو النفراوى بجلال قدره وعلمه وشيوخه ومصنفاته، ولم يستطع أن يرقى إلى كرسى مشيخة الأزهر قبل القلينى.

إذ أن تولى المشيخة كان بالانتخاب بين العلماء والمرشحين. وعلى هذا تولى الشيخ «القلينى» منصبه عن جدارة وتفوق بالانتخاب المشروع.

ومن الإنصاف للرجل: القول إنه لم يكن حريصًا على المشيخة.. على الرغم من علو هذا المنصب وشدة الأقبال عليه والدليل على ذلك.. أنه لم يكد يستقر على أريكته.. حتى تركه وذهب إلى بلدته، وانقطع ذكره بعد ذلك، ومن هنا لم يعرف كم سنة قضاها على كرسى المشيخة.. ولم يعرف أين توفى، ولا كم كان عمره عندما لاقى وجه ربه الكريم.

علمه وتأثيره فى طلابه:

إن الإمام الشيخ القلينى رابع شيوخ الأزهر: تجلى فيه كرم الخلق وسماحة العلماء، فما جعل طلابه يتأثرون به ويلتفون حوله، ويظهر أنه كان يوجههم، ويرشدهم إلى الاطلاع والاهتمام بالمراجع الكبرى القديمة.. وليست الحواشى والشروح المتأخرة، كما ألف غيره فى هذا العصر، وهذا دليل على سعة اطلاعه ووفرة علمه وعدم تعصبه لمذهب أو فكر، وكان يوضح لطلبته ما كان يشكل عليهم فهمه من هذه المراجع القديمة. وهذا ضمن حسناته الكبيرة فى هذا العصر

الذى اقتصر على كتب خاصة لا يتعدونها طلاب العلم، ويتطلعون إلى غيرها من أمهات الكتب.

ومن مأثره أنه كان يحسن اختيار طلابه وجلساءه المترددين عليه، وقد ذكر الجبرتى.. فى خططه أنه يترجم للكثيرين من طلبة القلينى، وأثنى عليهم وذكر أنهم كانوا بحوراً ذاخرة فى العلوم النقلية والعقلية، ومن بينهم على سبيل المثال، الشيخ محمد صلاح الدين البرلسى المالكى -الذى لازمه وانقطع عليه وكان يشبهه فى الفقه المالكى خاصة وفى العلوم اللغوية والدينية على سبيل العموم وتوفى البرلسى ١١٥٤هـ ويتضح من هذا أن لتلاميذه كتبًا ومؤلفات.

وفاته:

ومن العجيب إنه لم يعرف مكان وفاته، وإلا لنقل منه إلى الأزهر الشريف، وأجريت له المراسيم، كما أجريت لأسلافه ولا شك فى أن إعراضه عن المشيخة، واختفاءه عن الأعين. كما سبق وذكر.. ليس إلا دليلاً ظاهرًا وحجة قاطعة على أنه لم يكن رجل دنيًا، يسعى إليها ويكد فى طلبها.. وإنما كان رجل آخرة يعمل من أجلها ويسأل الله التوفيق فيما يهدف إليه منها. وقد ذكر فى ألفية الأزهر أنه انتقل إلى رحمة الله هادئًا مطمئنًا إلى كل ما فعل سنة ١١٣٢هـ ١٧١٩م وبعد فهذا هو الإمام الشيخ عبد الباقى القلينى، وهذه نبذة خاطفة عنه وعن مفاخره ومآثره، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا[1].

❁❁❁

---

(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر صـ ١٠ فى ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٣م.

٥- فضيلة الشيخ الإمام محمد شنن

فى مناسبات عدة قام خلفاء الفاطميون بتجديد مبانى الأزهر، والعمارة فيه، وزودوه بمجموعة من التناثير الفضية، وعملوا له رواتب، مع بعض الإنشاءات الفاطمية الأخرى، كما وقفوا عليه أوقافًا ينفق من ريعها على إداراته وشئونه، وكانت أول وقفية رتبت للأزهر سنة ٤٠٠هـ.

ثم جاء المستنصر بالله وجدد فيه، وأنشأ الخليفة الحافظ لدين الله من جهة الباب الغربى مقصورة عرفت بمقصورة «فاطمة الزهراء» وفى عهد الظاهر بيبرس تطرق إلى مبان الأزهر الخراب والتلف، نتيجة العوامل الزمنية، فأنفق على عمارته وإصلاحه وتجميله أموالاً طائلة، وأعيدت خطبة الجمعة فيه بعد الانقطاع دام مائة عام، وفى سنة ٧٠٢هـ حدث زلزال عظيم بمصر وسقطت عدة مبانى ومنشآت منها الجامع الأزهر، فقام أمراء الدولة بعمارة كل ما تهدم من المنشآت، وتولى عمارة الجامع الأزهر أحد الأمراء يسمى «سلار»، وأنشئ الأمير علاء الدين طبرس مدرسته التى عرفت باسم «المدرسة الطيبرسية» بجوار الجامع الأزهر من الجهة الغربية البحرية، لتكون ملحقة بالأزهر، وأكمل بناءها سنة ٧٨٩هـ، وقرر بها درسًا للشافعية، ثم تابع الأمراء بعد ذلك بناء مدارس، وأنشأوا فيها دروسًا للشافعية والحنفية، ومكانًا للصوفية، وقد حجبت المدرستان «الطيبرسية والإقبغاوية» واجهة الجامع الأزهر الغربية ومازلتا قائمتين فى مكانهما حتى اليوم.

ثم توالت التجديدات الدائمة وإعمار الأزهر من جانب السلاطين والقضاة وأنشأوا فيه دروسًا للفقه الحنفى، ورتبوا لطلابه أطعمة توزع يوميًا، وأوقفوا على ذلك أوقافًا كثيرة.

وفى عهد الملك الأشرف «قايتباى» سنة ٨٨١هـ أمر السلطان بإزالة الخلوات - الصوامع- أماكن للمتصوفين والمنقطعين للعبادة التى كانت بسطح الأزهر، وهذا

كان نتيجة لفتوى صدرت بهذا الخصوص وصدر مرسوم بتجديد الجامع الأزهر وعمارته، وأمر بإنشاء المنارة الواقعة فى الجهة البحرية الغربية يمين المدرسة - الإقبغاوية، وتمتاز هذه المنارة برشاقتها وزخرفتها الجميلة ذات الرأسين، ومازالت قائمة حتى الآن فى الجهة الغربية بجوار منارة «قايتباى»، وقد قام الأمير عبد الرحمن كتخدا بأعظم عمارة أجريت بالجامع الأزهر فى ذلك العهد، فأنشأ الأمير فى الجهة القبلية من الجامع بهواً كبيراً يشتمل على خمسين عموداً من الرخام وفوقها مثلها، وبنى مكتباً على أعمدة من الرخام أيضاً لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن الكريم.

وقد لبث نظام الحلقات الدراسية الشهيرة قروناً، تلك الحلقات تشبه نظام المدرجات الجامعية فى عصرنا هذا، وقد كانت تتفوق بلا شك على فصول الكليات الحديثة، وقد كان فى استبقاء تلك الحلقات تخليداً لذكرى الحلقات الأزهرية التاريخية، والتى كانت أيام ازدهارها من محاسن الدهر، ومجمع الصفوة من الأساتذة والمستمعين.

واحتدم الصراع بين القديم والحديث، وانتصر الحديث وتبوأ المكان الأول، وأكد نجاحاً فائقاً بما خرجه من أساتذة وطلاب طموحين إلى حياة عصرية تواكب الزمن والحياة المتطورة والمتجددة.

على أن هذا لا يعنى أن مهمة الأزهر قد انتهت بانتهاء القديم!! بل العكس.. فمازال القديم يغذى الحديث بما فيه من تراث لغوى ودينى وتشريعى، بل يجب أن نقول إن القديم وقف سداً منيعاً لحماية الحديث، ولولا القديم لما كان الحديث.. ونتج عن ذلك رسائل وأساليب صالحة هى العمل دائماً على دعم رسالة الإسلام رسالة اللغة العربية، والحضارة الإسلامية بأساليب مستنيرة، والأزهر هو المعقل الوحيد لهذه الرسالة على مر العصور.

وبعد.. نواصل الكتابة عن أئمة الأزهر وشيوخه الأعلام والتعريف بتلك الكوكبة التى أنارت الكون فى وقت ساد فيه ظلام الجهل فى كل العالم. وتلبية لما كلفنى به فضيلة الإمام أ. د. سيد طنطاوى شيخ الأزهر، وقد ذكرت أسباب هذا

التكليف فى المقال الأول حول فضيلة الإمام الشيخ محمد الخراشى أول شيخ للأزهر رسميًا.

وذكرت أن التكليف يدل على مدى حب وحكمة فضيلة الإمام للأزهر وشيوخه الراحلين وتخليده لذكراهم.. الإمام الخامس للأزهر الشيخ محمد شنن صاحب الثراء العريض.

نشأته وبيئته وتوليته للمشيخة:

ولد الإمام الشيخ محمد شنن ١٠٥٦هـ فى قرية صغيرة تسمى «الجدية» فى آخر بلاد مديرية البحيرة من الجهة البحرية من أعمال بلاد الأرز على الشاطئ الغربى لبحر رشيد، وابنيتها بالطين وفيها جامع ونخل وكروم وأرض صالحة لكل الزراعات التى تعود على أهلها بالخير الوفير، وقد ترجم «الجبرتى» لعلماء هذه القرية مما ساعد على الإحاطة.. والأسباب التى من أجلها تقدم «الشيخ محمد شنن» فى العلوم وفاق زملاءه فى الفقه المالكى، وكعادة أهل القرية يحفظون أبناءهم القرآن الكريم ثم يرسلونهم للأزهر.. انتقل الشيخ صغيرًا للأزهر وواصل طلب العلم.

لم يعثر له على ترجمة وافية.. والواضح أنه تميز عمن سبقه بالعلم الغزير والثراء العريض.

هذا الثراء الوافر، وهذه النعمة التى أسبغها الله عليه، قال الجبرتى إنه كان أغنى أغنياء زمانه وكان لديه من الذهب والفضة على اختلاف أنواعها.. الكثير الذى لا يجود الزمان بمثله لغيره إلا بين زمن وحين إضافة إلى الأملاك والضياع والأطيان.. وكل ذلك لم يصرفه عن طلب وتحصيل العلم الذى يعتبر أسمى صفة من صفاته وتبحره فى علوم الفقه وأصوله فأصبح علمًا من أعلام المذهب المالكى فى زمانه.

ولما توفى الشيخ القلينى تولى الشيخ محمد شنن مشيخة الأزهر، وكان الشيخ النفراوى قد مات قبل ذلك، ويذكر فى «عجائب الآثار» أن الثلاثة -القلينى والنفراوى وشنن- كانوا من زعماء الأزهر المرموقين، فبعد وفاة القلينى وإعراضه عن مزاولة مهام منصبه فى مشيخة الأزهر، حل محله الإمام محمد شنن وكما ذكر أن هذه الحوادث قد وقعت فى أزمنة لا وجود لها فى ذاكرة التاريخ.

وكانت الظروف تجرى فى صالح الشيخ محمد شنن طوال فترة جلوسه على كرسى المشيخة، فقد توفى النفراوى ولم يعد هناك منافس من أعيان المذهب المالكى.

آثاره العلمية وأعماله وتقديره للأزهر:

ويمتاز الإمام محمد شنن بما لديه من الكفاءة، ولكفاية ما يجعله أهلاً لتحمل المسئولية الكبيرة التى يتطلبها منصبه البالغ الرفعة والشأن.. ويتضح ذلك من حبه للأزهر، وحرصه الذى لا حدود له فى أن يرى الأزهر صرحًا شامخًا.. يلاحظ ذلك عندما رأى ذات يوم تصدعًا فى أحد أركان مبنى الجامع الأزهر، وخشى أن يكون له تأثير على بنايته، وأنه هو أصبح المسئول عن هذه الأمانة التى ألقيت على عاتقه، فصعد إلى الوالى العثمانى فى القلعة، وقال له بعد أن أدى إليه تحية الإسلام: المرجو من حضرتكم وعالى همتكم أن تكتبوا لحضرة مولانا السلطان، نصره الله العزيز الرحمان، لينعم على الأزهر بالعمارة، فإنه محل للعلم الذى يؤذن ببقاء الدولة العثمانية، وله ولك الثواب من المالك الوهاب.. ووافق الوالى على الفور واقترح أن يضع كبار المشايخ مذكرة ترفع للسلطان ويوقعوا عليها باختامهم وأختام الباشا وكبار الأمراء والمماليك.

واستجاب السلطان إلى ما جاء فى المذكرة التى رفعت إليه.. وأمر البعثة التى تحمل موافقته على اعتماد خمسين كيسًا ديوانيًا من مال الخزانة للإنفاق فيها على إصلاح الجامع.

وقد آثر الانقطاع للعلم وحبس الوقت والجهد عليه، والقرآن الكريم صرح بهذا التوجه فى قوله سبحانه ﴿**هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩] وفى السنة يقول الرسول ﷺ: «**أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**» ومع أنه كان واسع الثراء، لم يلهه ذلك عن الإطلاع الواسع وبحثه عن العلوم.. وهذا يذكرنا بالمناظرة التى دارت بين أبى الوليد الباجى شيخ فقهاء الأندلس، وبين ابن حزم كبير علمائها، استمرت المذاكرة بينهما ثلاثة أيام، وفى نهايتها قال الوليد لابن حزم: اعذرنى فقد طلبت العلم على مصابيح الشوارع، يريد أنه بلغ مبلغه من

العلم مع فقره الشديد الذى حرمه من اتخاذ مصباح خاص به، فقال له ابن حزم: أنا أبلغ منك عذراً، فقد طلبت العلم على قناديل الذهب والفضة.. يريد أنه لم يصرفه ثراؤه العريض عن الإقبال على البحث والدرس حتى بلغ من العلم.

وكان الشيخ الإمام محمد شنن ذو مكانة سامية عند الحكام.

وفاته:

وظل الشيخ محمد شنن شيخًا للأزهر يشرف عليه، ويواصل البحث والتدريس فيه، وانتشر علم الإمام الجليل فى ديار الإسلام شرقًا وغربًا، حتى هذا العصر الذى نعيش فيه، ولا تنتهى مزايا الإمام الجليل عند هذا الحد، وإنما له مزايا أخرى منها: إنه لم يسع للمشيخة وإنما هى التى سعت إليه، فإن تلاميذه وعارفى فضله قد جاءوه أثر اختفاء القلينى وعدم مباشرته لمشيخة الأزهر فقبلها وهو غير راغب فيها، ولا حريص عليها، لأنها لن تضيف إليه جديداً.. فهو المشهور واسع الثراء والجاه، فقد أوتى من هذا كله فوق ما يريد.

وتذكر المصادر التاريخية وفهارس المكتبات العامة فى مصر والخارج أنه لا توجد للشيخ محمد شنن مصنفات ولا من الذين أرخوا له ولعله اكتفى وسار على نهج من سبقه بدراسة وتدريس المصنفات المألوفة فى عصره وتوضيح ما فيها من مشكلات.

وكما ذكر أنه ظل يواصل البحث والتدريس، حتى انتقل إلى جوار ربه فى سنة ١١٣٣هـ - ١٧٢٠م وعمره وقتها سبع وسبعون عامًا.

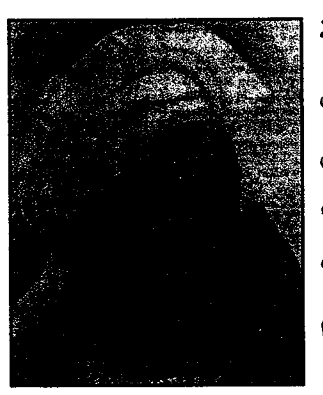
وبعد فهذا هو الإمام الجليل صاحب الثراء العظيم الإمام الشيخ محمد شنن وهذه نبذة خاطفة عنه وعن سيرته العطرة فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا[1].

✿✿✿

---

(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر صـ ١٠.

٦- فضيلة الشيخ الإمام إبراهيم بن موسى الفيومى



إن كلمة «شيخ» لقب شريف ذو مرتبة سامية وعظيمة، وأطلق هذا اللقب على ذوى الجاه والسلطان والعلماء العظام.. منذ قرون.. واشتهر أكثر فى مناطق دول الخليج.. فأصبح يطلق على رئيس الدولة والأمراء وأصحاب السمو، ولو تتبع الباحث كلمة «شيخ» لعرف أنها لقب قديم وذو دلالات متعددة، أهمها: العالم الفقيه المتبحر فى العلوم، فقيهًا فى الفتوى والقضاء.. ضليعًا بعلوم اللغة والمنطق «المدلول والمعقول منها» ولهذا أطلقت أولاً: على الصحابة والتابعين، ثم على شيوخ الأزهر.

وإن الألقاب المميزة بين طبقات الناس معروفة منذ أقدم العصور.. فالملك فى مصر كان يطلق عليه «فرعون» وملك الروم «قيصر» وملك الفرس «كسرى» والنبى ﷺ لقب بـ«الرسول» وكذا الصحابة لقبوا بألقاب كثيرة وبالنسبة للعلماء فلقبوا بألقاب متعددة نوجزها فيما يأتى:

١- **الإمام:** وهو من يؤم الناس فى الصلاة يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] ولقب به على بن أبى طالب ثم كبار المذاهب الفقهية كأبى حنيفة والإمام الشافعى وابن حنبل إلخ والإمام مالك لقب بإمام دار الهجرة إلخ.

٢- **قاضى القضاة:** ويطلق على أكبر القضاة منصبًا، وأول من أطلق عليه هذا اللقب هو أبو يوسف صاحب أبى حنيفة فى عهد هارون الرشيد.

٣- **شيخ الإسلام:** وأول من لقب بهذا هو عبد الله الأنصارى، وأطلق أيضًا على شيخ التابعين، سعيد بن المسيب.. وأصبح هذا اللقب «شيخ» منصبًا رسميًا فى الدولة العثمانية، ويقصد به «المفتى» ثم اجتمعت هذه الألقاب فى «شيخ

الأزهر» فيطلق عليه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ.. لأنه إمام المسلمين ومفتيهم ومرشدهم والناطق باسم الإسلام، فهو بهذا يعد أعظم وأهم شخص يقدره الجميع الخاصة والعامة.

٤- **شيخ الأزهر**: يعتبر من يتولى هذا المنصب شيخًا لعلماء القطر كله، ويحتل قمة أكبر جامعة إسلامية لا تدانيها جامعة أخرى فى العالم تاريخيًا وتأثيرًا.. وقد أخذ منصب شيخ الأزهر صفته الرسمية سنة ١١٠١هـ، وأول من تولاه الإمام محمد الخراشى كما ذكرنا فى المقام الأول فى «صوت الأزهر»، وأصبح الجامع الأزهر هو المنارة العلمية الوحيدة التى يأتيها العلماء من جميع الأقطار، وأصبح يحتل مركز الصدارة بين المساجد والمعاهد الإسلامية، ويزخر دائمًا بجمهرة كبيرة من العلماء المصريين وإخوانهم من سائر بلاد العالم الإسلامى، والعلماء فيه هم الصفوة والأئمة والأساتذة على مر العصور.. حتى وقتنا الحاضر. نجد ذلك واضحًا على مر التاريخ.. وبخاصة أيام المناسبات والأعياد الرسمية، وأيضًا فى أزمنة المحن والشدائد عندما تهاجم ديار الإسلام من أعدائها، فيلجأ الناس جميعًا ومنهم الحكام والأمراء والرؤساء إلى الجامع الأزهر وعلمائه، يكونون هم أول المجاهدين وحيث تنطلق الشرارة الأولى من على منبره معلنة على الجهاد ولعظم شأن الأزهر، كما نقل عن «المقريزى» فى كتاباته: أن خطيب الجامع الأزهر مقدم عن كل من سواه فى إلقاء الخطبة بين يدى الرؤساء والخلفاء، وظلت مهمة «خطيب» الأزهر تنمو وتتصدر كل ما يهم الناس فى أهمية الأمر على مر العصور تبعًا لنمو أهمية الأزهر نفسه، فكانت تسند الخطابة إلى رجال من أصحاب المناصب الدينية الرفيعة، ففى سنة ٥١٧هـ أسند إلى داعى الدعاة الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الأزهر وكبار القضاة كالعسقلانى وأبى القاسم وغيرهما.

ومنصب شيخ الأزهر لأهميته وعلو شأنه، دائمًا يصدر بمرسوم ملكى من الخليفة أو السلطان.. وأن ولاة الأمر دائمًا يعلقون على شيوخ الأزهر أهمية خاصة، والجبرتى فى تاريخه لم يلق ضوءًا واضحًا حول شيوخ الأزهر الذين تولوا مشيخته قبل الشيخ الخراشى إلا أنه توجد قرائن عديدة تدل على أن للأزهر شيوخًا كثيرين من بداية إنشائه أيام الفاطميين. وتطورت وظيفة شيخ الأزهر،

واتسعت اختصاصاتها على حسب تطورات الزمن ومقتضيات الأحوال، حتى آلت إلى ما نحن عليه الآن، ويختار شيخ الأزهر من بين جماعة كبار العلماء من الوطن الإسلامى تحت ضوابط وقوانين صعبة المنال، ويعين بقرار جمهورى وسط احتفال بهيج، وبعد فنتابع ونواصل التعريف بأئمة الأزهر وشيوخه بناء على تكليف فضيلة الإمام شيخ الأزهر د. سيد طنطاوى ونتحدث عن الإمام السادس فضيلة الشيخ الإمام إبراهيم بن موسى الفيومى.

نسبه وبيئته ونشأته وتوليه المشيخة:

هو الشيخ العلامة والبحر الفهامة شيخ الأزهر الشيخ الإمام إبراهيم بن موسى الفيومى المالكى، ولد سنة ١٠٦٢هـ ١٦٥٢م وكعادة أهل القرية وحبهم لحفظ القرآن الكريم وتنشئة أبنائهم من الصغر على الدين وتعاليم الإسلام، ثم إرسالهم إلى الأزهر الشريف، كى يتفقهوا فى أمور دينهم ويعلموه الناس إذا رجعوا إليهم.. ولا مكان لذلك غير الأزهر.. وقد درس الفيومى وتلقى علومه فى الأزهر على يد نخبة عظيمة من علمائه الأفذاذ، فتفقه على يد الشيخ الخراشى، وكان دائم الزيارة له والإقامة معه، كما أخذ عن الشبراملس والزرقانى والشهاب وأحمد البشبيشى وغيرهم، كما أخذ الحديث عن يحيى الشاوى وعبد الرحمن الأجهورى والشيخ البرماوى، ومن كان اساتذته أمثال هؤلاء، فلابد أن يكون نابغة فى كل العلوم.. وإن الذين ترجموا للشيخ «الفيومى» ومنهم الجبرتى والأستاذ على عبد العظيم قد أوجزا الحديث عنه كثيرًا، وأغفلوا الكثير مما كان يجب بسطه وشرحه من جوانب حياته، ولكن الدكتور عبد العزيز غنيم حفظه الله قد بسط له فى الحديث وأوضح بعضًا من حياته.

والشيخ الفيومى نسبة إلى بلدة «الفيوم» وهى إحدى المدن المصرية الكبيرة ذات التاريخ الطويل والحضارة المزدهرة، وتحدث عنها «المقريزى» كثيرًا وخصها بصفات كثيرة فى مخطوطاته، وكما ذكرنا أنه تلقى العلم على شيوخ كثيرين، منهم اثنان سبقوه إلى كرسى المشيخة «الخراشى والبرماوى» فالأول مالكى المذهب والثانى شافعى، وهذا يعنى أنه تفقه فى المذهبين، وقد تولى مشيخة الأزهر سنة ١١٣٣هـ- ١٧٢١م.

آثاره العلمية وتأثيره:

كان الإمام الشيخ الفيومى ذا موهبة خاصة فى التدريس، وكان المئات يتوافدون عليه يوميًا ويتلقون عنه، وكان يلخص ما يقوله فى نهاية الدرس، ولا يغادر مجلسه حتى يطمئن على فهم تلاميذه له، ومن أبرز طلابه حجة زمانه الشيخ محمد بن يوسف الشافعى حيث درس على يد الشيخ الفيومى «المعقول» أى المنطق والفلسفة و«المنقول» علوم الدين والفقه واللغة، وقد تأثر بمعلومات وعلوم شيخه فألف حاشيته على «الأخضرى» فى المنطق، وحاشيته على «السنوسية» ومن بين تلاميذه الشيخ الهمام شيخ مشايخ الإسلام علم العلماء إمام المحققين، وعمدة المدققين الشيخ على بن أحمد الصعيدى العدوى المالكى صاحب المصنفات العديدة.

والشيخ الفيومى كان من المولعين بالحديث، حتى أن كل من ترجموا له وصفوه بأنه محدث.. وأصحاب هذا الفن أو هذا العلم، أو أكثرهم على الأقل يفضلون حفظ ألسنتهم رطبة بتلاوته، مثل القرآن الكريم، وقد كان السلف الصالح من أصحاب النبى ﷺ والتابعون لهم بإحسان يحفظون ألسنتهم امتثالاً لقول الرسول ﷺ: **«نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»** وقول الرسول ﷺ: **«لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه، وأدوا عنى ولا حرج، ومن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»** وعلى هذا فالإمام الفيومى تأثر بهذين الحديثين، وأن هذا هو السبب فى أنه لم يصنف كتبًا غير كتاب «شرح العزية للجماعة الأزهرية فى الصرف أو فقه اللغة» وكان الشيخ الإمام الفيومى عالمًا ورعًا ومن كبار علماء المالكية المشهود لهم بسعة العلم وغزارة البحث مع التقوى والزهد امتثل لقوله سبحانه ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقد قضى الشيخ الفيومى هذه المدة الطويلة من حياته قبل توليه المشيخة حتى وصل إلى المدة الطويلة من حياته؟ والحقيقة التى لا مراء فيها، أن أمثال هؤلاء العلماء قضوا أعمارهم فى طلب العلم وتحصيل المعرفة، وتجميع ما يمكن جمعه من متفرقاتها وأسرارها. قضى كل ذلك فى حفظ المتون «الرحبية» فى المواريث والألفية فى النحو والصرف.. والشاطبية، ومدرسًا يسمع الحديث من أفواه المبرزين فيه،

ويأخذ من أهل السنة المتخصصين فى علومه، يتأمل فى كل ما سمع وقرأ وحفظ، ثم بعد ذلك يشرح هذا كله فى أحسن عبارة وألطف إشارة، حتى يظهر ما غمض منه، ويوضح ما خفى.

مؤلفاته وتصانيفه:

مع أن المؤرخين أغفلوا كثيراً من سيرته والحديث عن مؤلفاته إلا أنهم ذكروا له بعض الآثار.. حيث إنه كان من رجال الحديث فى عصره، وتبحر فى علوم اللغة.. فألف شرحًا قيمًا وجيدًا للكتاب المسمى «المقدمة العزية للجماعة الأزهرية فى علم الصرف» من تأليف أبى الحسن الشاذلى المالكى وهذا الشرح فى مجلدين. كما أنه درس «الرسالة» للشيخ الخراشى وشرحها، واللافت للنظر أن الإمام الفيومى تلقى على كثير من العلماء العلوم المختلفة، على الرغم من هذا، وربما كان له أكثر من ذلك لكنها فقدت.

أو أنه كان يفضل العلم المسموع على العلم المقروء والمكتوب، وكما ذكرنا تأثره بالحديثين السابقين، ثم أنه ترك التصنيف لتلاميذه وطلابه من بعده، ليقوموا بهذه المهمة بدلاً منه، والدليل على ذلك أن هناك الكثيرين من طلابه معيدين له «ملازمون»، ومهمة المعيد فى هذا العصر هى الاستماع إلى ما يخرج من فم شيخه أثناء جلوسه للدرس، وتلخيصه وشرح ما يستعصى فهمه على التلاميذ، وقد كان فهو يختار المعيد ويحدد له المهمة التى يكلفه بها، والتى لا يسعه أن يتجاوزها إلى غيرها فإذا أذن له فى قراءة كتاب فلا يجوز له أن يتجاوزه إلى غيره، ويتأكد فى مثل هذا فى «الحديث» فإذا أذن محدث لأحد تلاميذه أن يقرأ حديثًا ما نيابة عنه فلا يجوز له أن يكتبه، ولا أن يقرأ غيره، وقد كان فى حديث رسول الله ﷺ حريصًا عليه من جهة، وخوفًا من أن تمتد إليه أصابع الوضع والاختلاق والكذب من جهة أخرى.

وفاته:

وبعد فهذا هو الإمام المحدث والعالم المدقق الشيخ الصالح الإمام إبرهيم بن موسى الفيومى الذى حمل أمانة المشيخة وهو شيخ فى السبعين من عمره بعزم وساس شئونها بحزم، ولم يقصر ساعة طوال السنين الخمس التى تولى فيها

المشيخـة وعاونه تلاميذه وزملاوه فى إنجـاز المهمة، والرجل كرس حيـاته وجهوده لخدمة العلم والدين، وكان يهتم دائمًا بـالتدريس فى الأزهر، ويعتبر هذا فى المقام الأول، فأولاه اهتمامًا كبيرًا وعناية فائقة.

وفى صبيحة أحد الأيام من شهر رجب سنة ١١٣٧هـ ١٧٢٥م انتقل هذا الجسد النحيل إلى جوار ربه الكريم راضـيًا مرضيًا ومطمئنًا إلى رجوعـه لخالقه التى طالما تشوقت نفسه إلى لقائه.

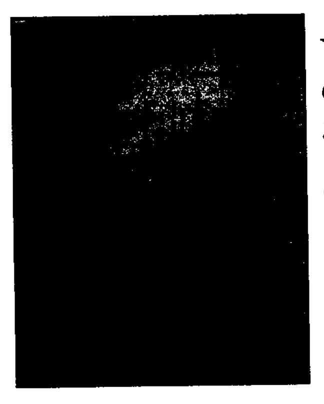
وشيع إلى مثـواه الأخير فى جنازة تلفهـا الرهبة وموقف مهيب، حـيث حضر جنازته جمع غفير من العامـة والخاصة، يبكون هذا الرجل، وبعد الصلاة عليه فى الجامع الأزهر، وبعد تقديم كل المراسيم دفن فى مستقره الأخير.. فطيب الله ثراه وجعل الجنة مـثواه ومسقـره ومأواه وسلام عليه يوم ولد ويوم يمـوت ويوم يبعث حيًا.. ودائمًا موت الأمة.. فى موت العالم[1]..

✿✿✿

---

(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر صـ ١٠ فى ٩/ ٣/ ٢٠٠٧م.

٧- فضيلة الإمام عبد الله بن محمد الشبراوى



هذا التمهيد تتمة لتمهيد المقال السادس.. إن الأزهر الشريف لهو مفخرة عظيمة يفتخر به كل مصرى وكل مسلم، وإنه كان دائمًا وسيظل مشعل الوطنية ومدرسة للحرية والولاء فى حب الوطن، والانتماء لترابه المقدس، وتراثه الحضارى العظيم، ومنه انطلقت الشرارة الأولى للثورة على الظلم والطغيان والاستعمار.. ومن الجدير أن نروى عن شيوخ الأزهر قديمًا وحديثًا.. أنهم أول القواد، والمدافعين عن حقوق الوطن ومقدساته والالتزام والإيمان بالواجب.. وإن المجاهدين الذين خرجوا من أروقة الأزهر فى كل العصور لا يخشون فى الحق لومة لائم. أمثال العز بن عبد السلام، وتلك النخبة من العلماء الذين أرغموا أمراء المماليك وغيرهم على توقيع وثيقة إعلان حقوق الإنسان المصرى، وعلى رأسهم عمر مكرم وسعد زغلول وأحمد عرابى، والنديم وكلهم أزهريون، ومن فضل الأزهر على مصر والحركة الإسلامية أنه كان فى طليعة القوى الحافظة للوحدة الوطنية، الداعية إلى التآلف والمودة بين أهل الكتاب.. ففى صحن الأزهر ارتفعت الهتافات مدوية بوحدة الأمة، وتماسك المصريين جميعًا من مسلمين وأقباط فى مواجهة الغاصب المحتل، فكانت هذه المواقف أروع تجسيد لروح الإسلام، وتلك هى السماحة الحقة وذلك هو الانتصار الأكبر على قوى التعصب والكراهية.

والأزهر من نتاج مصر برجاله، وبعدهم عن التطرف والشطط فما خرجت منه الحركات الباطنية والطائفية.. ولم يخرج عن إجماع الأمة، ولم يسع للفرقة وشق الصفوف، بل كانوا كلمة واحدة ووعاء واحد.

وعلى هذا سيظل الأزهر نبراسًا هاديًا لكل أبناء الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها، ودرعًا يعصمهم من الزلل، ويحميهم من الخطر..

وإن الأزهر وشيخ الأزهر ليهيب بأمة الإسلام التى وصفها خالقها سبحانه وتعالى أنها خير أمة أخرجت للناس حين أجمعت على كلمة الحق، وتحلت بالتراحم والتضامن فيما بينها ينادى ويدعو أمة الإسلام، أن تنبذ هذا الوهن الذى أصابها، وتنبذ تلك الفرقة والشقاق نتيجة غيبة الإدراك السليم للمصلحة الإسلامية العليا..

وإن الألم ليملأ القلوب حين نرى الإخوة فى الله يتقاتلون على غير ما أنزل الله ويهدرون طاقاتهم فيما لا يعود على أحد بالخير والنفع، وإنه أصبح من الفريضة الواجبة علينا أن ندعو أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف أقطارها ومشاربها أن تنبذ الخلافات، وحقن الدماء والالتقاء على كلمة سواء، تتفق مع روح الآخاء الإسلامى، وعمق روابطه.. وإن المستفيد بما يحدث بين الأشقاء هم الأعداء.. وما أكثرهم اليوم.

ونعود لمواصلة الحديث عن الأزهر الشريف وشيوخه الأعلام.. وكما أمر فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.. وهذا البحث عن الإمام السابع شيخ الأزهر الإمام عبد الله الشبراوى.. وهذا البحث جزءان نبدأ بالجزء الأول..

نسبه ونشأته وبيئته وأساتذته:

هو الإمام الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوى الشاعر الأديب سابع شيوخ الأزهر، والذى يعتبر فاتحة لعصر النهضة والتحرر، ولد سنة ١٠٩٢هـ وقيل ١٠٩١هـ بالقاهرة.

ونبغ من صغره بعد أن حفظ القرآن وهو فى سن صغيرة وكان شاعراً مرموقًا وكاتبًا فريدًا وعالمًا واسع الاطلاع متعمقًا فى الفقه والحديث، وعلم الكلام وأصوله..

والإمام عبد الله الشبراوى هو شخصية فذة جمعت بين مواهب كثيرة متعددة فهو شاعر ممتاز كما ذكرنا بالنسبة لعصره، وأشار إليه الجبرتى فى ترجمته: «الإمام الفقيه المحدث الأصولى المتكلم الماهر الشاعر الأديب»، تولى منصب مشيخة

الأزهر وله من العمر ٣٤ أربعة وثلاثون عامًا، وكان شافعى المذهب وبيئته علمية صالحة كلها علم ودين.. فكانت البيئة العلمية المناسبة لنمو مواهبه، وأينعت ونضجت عن أطيب الثمرات فى عصره، هذا العصر الذى يعد نهاية عصر الظلام، وبداية الفجر فى نهضة جديدة.. يقول الجبرتى: «إنه من بيت العلم والجلالة، فجده عامر بن شرف الدين، وصف بالحفظ والذكاء ومن جهة بيئته العلمية فكيفى أنه تتلمذ على يد الإمام «الخراشى» الشيخ الأول للأزهر، ونال منه الإذن لتدريس ما سمعه منه، وهو دون العاشرة ومن أساتذته المرموقين العلامة الأديب الشاعر الشيخ حسن البدرى، وكان من الشعراء الممتازين فى زمنه، ترك ديوانين من الشعر أولهما: «تنبه الأفكار للنافع والضار» وثانيهما: «إجماع الإناس من الوثوق بالناس» وله أرجوزة فى التصوف نحو ألف وخمسمائة بيت من الشعر على أسلوب ديوان «الصادح والباغم» وهو اسم ديوان لابن الهبارية يشبه «كليلة ودمنة» فى القصة، وقد روى الجبرتى: بعض قصائده ومن الواضح أن الشيخ الشبراوى تأثر بأبيه كما أنه تتلمذ عليه فى علم الحديث، وتلقى الفقه على العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد النحلى الشافعى، ومن شيوخه أيضًا الشيخ خليل اللقانى، والزرقانى والنفراوى وشيوخه وأساتذته كثيرون ينظر عجائب الآثار -جـ١، جـ٢.

وللشيخ الشبراوى ثبت -مرجع ذكر فيه مروياته عن شيوخه، سنشير إليه لاحقًا، وكما استفاد بكثيرين من خيار العلماء الأعلام أيضًا أفاد كثيرين من طلابه منهم على سبيل المثال لا الحصر العلامة الفقيه الشيخ على بن شمس الدين محمد الشافعى الخضرى، وقد أجازه برواية الكتب الصحاح الستة، وأيضًا الإمام الفصيح الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد السلام الزمزمى المكى، والمقام لا يسمح بذكر كل طلابه وما أكثرهم وأشهرهم من الوزراء وكان من شيمة العلماء فى هذا العصر وما قبله أن يذكر العالم سنده أو ثبته فيما رواه عن شيوخه من مصنفات، وأنه يجيز تلاميذه بما ذكروه عنه من مرويات، وأيضًا: أن طلبة العلم أيام مشيخة الشيخ الشبراوى يتميزون بالعلم والأدب والاحترام سمة العلماء.. وصار لأهل العلم فى عصره وفى مدة توليه لمشيخة الأزهر رفعة ومهابة.

والشيخ الشبراوى شافعى المذهب.. من الصعب جدًا أن يتنازل أصحاب مذهب عن شيء فى أيديهم لأصحاب مذهب آخر مهما كانت قيمته، وبخاصة أن المتنازل عنه هو اسمى وأشرف منصب فى الأزهر -وهو المشيخة- سبق أن اعتلى الشيخ البرماوى هذا المنصب وهو شافعى!! والإمام الشبراوى أثبت كفاءته بجدارة لمنصب المشيخة أمام المالكية، لأنه تتلمذ على الأئمة الذين سبقوه إلى أريكة المشيخة، وأنهم كانوا جميعًا يقدرونه ويعرفون مزاياه ومواهبه وذكاءه، وأن الشيخ الخراشى وهو ومن هو فى علمه، ومن خلفه قد كرم الشيخ الشبراوى، وأذن له فى النقل عنه وهو صبى فى الثامنة من عمره، إنه كان يحفظ كتب السنة ويرويها بإذن من شيوخه، وهذا يعنى أنه كان من الحفاظ الذين يشار إليهم بالبنان، وينتقل إليهم طلاب الحديث من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد طلبًا للرواية والعلم، والمتتبع للترجمة التى كتبها «الجبرتى» فى يومياته لأبيه الشيخ محمد بن عامر وجده عامر بن شرف الدين لوجد أنه يصف الأول بالعلم الواسع والمكانة المرموقة، ويصف الثانى بما سيق ويزيد عليه أنه أحد الحفاظ المعدودين فى الحديث.. وإنه كان شاعرًا يفيض شعره رقة وعذوبة وجزالة تبعًا للمقام والمناسبة التى يقولها فيه، وكان يغترف من بحر، فهو شاعر من الطبقة الأولى، ولا ينحصر شعره فى غرض واحد ولا فى فن واحد..

آثاره العلمية وتأثيره وأدبه:

كانت للشيخ الشبراوى مكانة عظيمة عند الحكام وبين العلماء، ولقد سجل أحداث عصره شعرًا ونثرًا، وقد كانت له قصائد تغنى بها أبناء عصره، ومن تلاميذه البارزين: الوالى عبد الله باشا بن مصطفى باشا الكوبرى شاعرًا وأديبًا وعالمًا جليلاً وما كاد يتولى منصب الولاية حتى اتصل بكبار العلماء والأدباء والشعراء وتلقى علومه منهم، يقول الجبرتى: إنه إنسان خير صالح ومتبع للشريعة.. كما أبطل مذكرات كثيرة وهو أحد تلاميذ الشيخ الشبراوى كما أوضحنا، والإمام الشبراوى.. اعتلى أريكة مشيخة الأزهر ٤٥ خمسًا وأربعين عامًا تقريبًا، كأن الأزهر فيها ملء السمع والبصر، وانعكس أدب الشيخ وعلمه على طلاب الأزهر جميعًا فى هدوء العلماء والأدب الجم الوافر.

وكان الناس إذا مسهم ظلم من الحكام هرعوا إلى علماء الأزهر، وعلى رأسهم الإمام الشبراوى، فلا يبخلون عنهم بالمساعدة، حتى يرفع عنهم الظلم، ويعود الحق إليهم، وهذا دليل على حسن إدارة الشيخ وقدرته الفائقة على مزاولة شئون منصبه وقد يعتقد بعض القراء أن شيخًا مثل الشبراوى يظل شيخًا للأزهر هذه المدة الطويلة يعتبر دليلاً على شدة حزمه وشدة شكيمته.. و الحق أنه كان عكس ذلك تمامًا وسيرته تدل عليه، حيث إنه كان محاوراً واسع الأفق قوى الحجة مجادلاً بالحسنى لا يدع مجالاً لمن يحاوره إلا ويقف مستجيبًا خاضعًا لرأى الشيخ وينقاد إليه.. وقد أعطى الله الإمام الشيخ الشبراوى مالاً كثيراً وأنفقه فى رفع شأن الأزهر وعلمائه وطلابه، وكانت للشيخ الشبراوى شهرة عظيمة ومكانة سامية عند الحكام والولاة ممن يحيط بهم، وقد مدح فى ديوانه كثيرين منهم، وكتب قصائد مدح مسهبة..

نورد بعض الأمثلة بإيجاز لا يخل المعنى:

محبك يا شفيق الروح يرجو	مجيئك للتأنس والسرور
ولا تترك محبك فى انتظار	فما يقوى على البعد الكثير
عريق المجد مولى كل مولى	كريم الطبع والأصل الشهير

وهذه القصيدة طويلة، أورد منها الجبرتى ستة وخمسين بيتًا، وعلى الرغم من هيبته وجلاله وعلو منصبه فإنه كان يستجيب لنوازع المشاعر الوجدانية فيعبر عن هذا فى شعر رقيق ينهج فيه نهج الشعر الجاهلى، ونكتفى بهذا القدر عن الشيخ الجليل الإمام الشبراوى ونكمله فى العدد القادم إن شاء الله[1].

ومن قصائد - الشيخ الإمام عبد الله الشبراوى- التى تفيض رقة وتسيل عذوبة، وتغنى بها الكثيرون فى ذاك العصر، ومازالت هذه القصيدة ينشدها ذوو التواشيح فى استهلال مدائحهم، فى المناسبات الدينية وغيرها، استهلها بقوله:

وحقك أنت المنى والطلب	وأنت المراد وأنت الإرب
ولى فيك يا هاجرى صبوة	تحير فى وصفها كل صب

---

(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر صـ ١٠ فى ١٦/ ٣/ ٢٠٠٧م.

إلى أن قال:

أمــــولاى بـالله رفـــقـًـــا بمـن ... بدل الـغـــرام إليك انتـــسـب

أشــــاع العــــذول بـأن سلـوت ... وحق يا ســيـدى قــد كــذب!!

ومــثلك مـــا ينبـــغى أن يصــد ... ويهــجــر صــبــا له قـــد أحب

أشــاهد فــيك الجــمـــال الـبـديع ... فـــيـــأخـــذنـى عند ذاك الـطرب

ويعــجــبنى من حــسن القــوام ... ولـيـن الـكلام وفـــــرط الأدب

أمـــا والـذى زان منك الجـــبـــين ... وأودع فى الـلحـظ بنت العـــتب

وأنبت فـى الخــد روض الجــمــال ... ولـكن ســـقـــاه بماء الـلهـب

لئـن جُـدتَّ أو جــرتَ أنـت المراد ... ومـــا لى ســـواك مليح يـحب

ليس هناك أجـمل من أن يلهج العلماء بـالشعر الـفنى الجميـل، فقـد مدح الشعراء النبى ﷺ واستـهلوا مدائحهم بالغزل الرقيق العفيف العـذب، فقد فعل هذا حسـان بن ثابت... وغيـرهم. وقد طلبـوا ينسجـون على هذا المنوال.. وأمامنا قصيدة البـردة لهى خير دليل.. وتوجد قصائد كثيرة عـارضها الشعراء. والشاعر كـثيرًا ما يتخـيل، فيحول خيـاله إلى غزل رقيق جمـيل يهب كنسمات الهواء الندية فى ليالى الصيف.

وديوان الشيخ الشـبراوى حافل بنفـحات تعد إرهاصًا بالـفجر الجديد للنهـضة الأدبية.. التى تجلت فـيما بعد على يد البـارودى، ومن بعده قد تجلت فيـما بعد على يد البارودى، ومن بعده الشعراء.

والإمام الشبراوى -كان وفيًا لأصدقائه ويتجلى هذا.. عندما وقف على قبر صديق له يرثيه أمـام المشيعين، وهذا الصديق من بلدة تسـمى «الدلنجات» قال فى قصيدته:

سـألت الشـعـر هـل لك من صـديق ... وسكـن -الدلـنجـــاوى- لحــده

فــصـاح وخــر مــغـشـيــا عليــه ... وأصــبح ســاكنا فـى القـبــر عنده

فــقلت لمن أراد الـشـعــر أقــصـر ... فـقـد أرخت «مـات الشعـر بعـده»

وكان يستغل مواهبه الشعرية، فى نظم بعض العلوم لتسهيل حفظها على الطلاب مثل نظمه «للأجرومية» فى علم النحو، ولقد كان للإمام «الشبراوى» مكانة عظيمة شهد له بها كل الناس، يقول عنه الجبرتى فى الآثار: «لم يترق فى الأحوال والأطوار ويغير ويوضح، ويبين ويدرس، حتى صار أعظم الأعاظم.. ذا جاه ومال ومنزلة عند رجال الدولة والأمراء، ونفذت كلمته وقبلت شفاعته، وصار لأهل العلم والعلماء فى زمنه وفى عهد توليته لمشيخة الأزهر رفعة مقام ومهابة عند الجميع، وأقبلت عليه الأمراء وهادوه بأنفس ما عندهم، وقد ظهر ذلك جليًا عندما سعى إليه الوالى العثمانى عبد الله باشا، وتتلمذ على يديه، وطلب إجازته -بمنزله وأن يروى عنه- وحينما حدثت تعديلات مالية فى المرتبات والأوقاف من جانب السلطان العثمانى، بها إجحاف لبعض المستحقين لأموال الأوقاف من خزانة الدولة.. قال القاضى: «أمر السلطان لا يخالف وتجب طاعته» وكان القاضى تركيًا.. فقال الشيخ المنصورى للقاضى: يا شيخ الإسلام: هذه المرتبات هى بأمر نائب السلطان، وفعل النائب كفعل السلطان، وهذا شىء جرت به العادة من صرف الرواتب -فى مدة الملوك المتقدمين.. وهذا الأمر مرتب على خيرات.. ومساجد، وأسبلة- سبيل للشرب، ولا يجوز إبطال ذلك، وإذا بطل بطلت الخيرات، وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك، وإن أمر ولى الأمر بإبطاله لا يسلم له ويخالف أمره، لأن فى ذلك مخالفة للشرع، ولا يسلم للإمام فى فعل ما يخالف الشرع، ولنائبه أيضًا، وهذا يعد موقف كريم لأحد علماء الأزهر البارزين.. وفى وقته كتب الإمام الشيخ «عبد الله الشبراوى» شيخ الأزهر، عرضًا فى شأن المرتبات من إنشائه وتأليفه تمت المصالحة عليه ووافق عليه السلطان.

- انعكست آثاره ومكانته العلمية على العلماء والطلبة أيضًا فتعلموا منه كرم النفس وسعة الأفق ورحابة الصدر.. ودليل ذلك أنه وقعت حادثة لأحد المتصوفين الزاهدين، وقد التف حوله الناس، وصار لهم فيه اعتقاد كبير، وكانت له أحوال غريبة.. وألف كتبًا عديدة فى التصوف، وشرح الجامع الصغير وشرح حكم ابن عطاء الله السكندرى، فزاد منزلة هذا الصوفى عند الجماهير، وكان يخرج كل أسبوع على بغلته لزيارة المشهد الحسينى- واتباعه حوله يصيحون، ويجهرون

بالذكر فى صحن المسجد، واستطاع العلماء أن يؤلبوا الأمراء ضد هذا الرجل، ولكن الشيخ الشبراوى كان محبًا للصوفية. فأراد إصلاح هذا الأمر، وقال للباشا «هذا الرجل من كبار العلماء والأولياء، ولا ينبغى التعرض له» وأمره أن يعقد له درسًا بالجامع الأزهر، فقرأ فى المدرسة الطبرسية -الأربعين النووية- وحضره معظم العلماء المعترضين عليه، فبهر عقولهم بعلمه الغزير».

وهنا تجلت حكمة الشيخ الشبراوى، حيث صرف الشيخ الصوفى إلى نشر العلم، ودراسة الحديث- وصرف أتباعه من عمل الضجة والضوضاء.

وهناك موقف آخر يتجلى تسامحه فيه.. وهو موقفه من النصارى.. يقول الجبرتى: «يذكر أن نصارى الأقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس، وكان كبير النصارى يسمى ذاك الوقت، نوروز،- كاتب عند رضوان كتخدا.

فتكلم الشيخ «الشبراوى» فى ذلك، وأصدر فتوى موجزها. «إن أهل الذمة لا يمنعون من ممارسة دياناتهم وزيارتهم للقدس» فهلل الأقباط لهذا، وأقاموا احتفالات ضخمة، والواقع أن فتوى الشيخ الإمام صحيحة، وأهل الذمة لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، ولهم حرية العبادة طبقًا لشعائرهم الدينية وهذا هو حلم الإسلام وسماحته.

والشيخ «الشبراوى» هو أو من أدخل العلوم الحديثة بالأزهر، وبخاصة - الرياضيات، وعلوم الاجتماع إضافة للعلوم الدينية والعربية، والعلوم النقلية والعقلية.

مؤلفاته وتصانيفه:

مؤلفات الإمام الشيخ «عبد الله الشبراوى» كثيرة ومتعددة الثقافات، وتدل على وفرة علمه، وغزارة مادته وتنوع ثقافته. فقد ألف فى الأدب والنحو والصرف والبلاغة والحديث الشريف. ذكر منها الجبرتى:

١- مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف، وسماه بعضهم منائح الألطاف ولعله تحريف، وهو ديوان شعرى للمؤلف ويقول فى مقدمته وسميته مفاتح الألطاف.. وقد طبع مرارًا.

٢ - «الإتحاف بحب الأشراف» طبع بمصر سنة ١٣١٦هـ.

٣- «الاستغاثة الشبراوية وتوجد منها نسخة خطية فى «غوطا».

٤- «عروس الآداب وفرحة الألباب فى تقويم الأخلاق ونصائح الحكام وتراجم الشعراء» توجد منها نسخة خطية فى لادن.

٥- «عنوان البيان وبستان الأذهان» فى الأدب والأخلاق والوصايا والنصائح طبع بمصر عدة مرات.

٦- «نزهة الأبصار فى رقائق الأشعار» منها نسخة خطية فى مكتبة باريس الأهلية.

٧- «شرح الصدور فى غزوة بدر» طبع بمصر سنة ١٣٠٣هـ.

٨- «نظم بحور الشعر وأجزائها» منه نسخة خطية بدار الكتب.

٩- «شرح الرسالة الوضعية العنصرية» فى علم الوضع. وهى من تأليف القاضى عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإنجى م ٧٦٥هـ. وقد شرحها كثيرون من العلماء، ومنهم الإمام الشبراوى، وتوجد منها نسخ خطية بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٠٧-هـ.

١٠ «العقد الفريد فى استنباط العقائد من كلمة التوحيد» وهو رسالة موجزة فى بضع ورقات، منه نسخة خطية بدار الكتب ٥٢٠٧هـ.

١١- «منظومة فى علم النحو» وهى منظومة لامية فى خمسين بيتًا منها نسخة خطية فى دار الكتب برقم ٣٦٠٢ج-.

١٢- «عنوان البيان وبستان الأذهان» فى البلاغة.

١٣- «إجازة من الإمام الشبراوى إلى الوزير عبد الله الوالى» فيها كل ما تلقاه عنه- منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ١٩٤ مصطلح الحديث.

١٤- «سند الشبراوى» ذكر فيه مشايخه، ورواياته وكتبه، فى أواخر رمضان سنة ١١٤٢هـ توجد منه نسخ خطية بدار الكتب المصرية وبعضها عليها

توقيعه، والمراجع لهذا البحث كثيرة منها، سلك الدرر- عجائب الآثار للجبرتى -آداب اللغة العربية- جورجى زيدان- كنز الجواهر -الأزهر فى ألف عام- الأعلام للزركلى.

وفاته :

كان الشيخ الإمام عبد الله الشبراوى قطبًا من الأقطاب، . وعلمًا شهيرا من الأعلام، ولو شئنا أن نتقصى مناقبه وفضائله وما أسداه للأزهر ولعلماء الأزهر ولطلاب الأزهر لضاقت بها المجلدات، لأنها حياة طويلة حافلة، بلغ مداها الثمانون عامًا كلها عمل وكفاح.. خمسة وأربعون عامًا قضاها وهو شيخ للأزهر فجزى الله هذا الإمام الجليل على جهوده خلال هذا العمر جزاء المجاهدين والمقاتلين فى سبيل الإسلام والمسلمين، وإعلاء كلمة الله ابتغاء وجهه الكريم: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وأخيرًا فى يوم حزين خيم على الأزهر سحابة حزن عميق.. قد لبى عالمنا الجليل نداء ربه الكريم، وفاضت روحه الطاهرة صبيحة يوم الخميس السادس من ذى الحجة سنة ١١٧١هـ. وكالمعتاد أجريت له مراسيم الجنازة الرسمية فى مشهد مهيب رهيب حضرة العامة والخاصة والأمراء والأعيان والعلما، كلهم صلوا عليه فى الأزهر، وبكاه كل الناس وورى جسد الطاهر الثرى تحت مظلة من الدموع المنهمرة والدعاء له بالرحمة والغفران فالسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا. ودائمًا.. موت الأمة فى موت العالم والله المستعان[1].

❁❁❁

---

(١) صوت الأزهر: بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر صـ ١٠ فى ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٧م.

الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد المراغى[1]

ولد (بمراغة) من أعمال جرجا سنة ١٨٨١م وكان والده عالمًا جليلاً. واسع الثقافة، وظهرت نجابته فأرسله والده إلى الأزهر، واتصل بالشيخ (محمد عبده) وتأثر بفكره، وانتفع بمحاضراته فى (البلاغة) و(التوحيد) و(التفسير).

وشجعه الشيخ محمد عبده على أن يعود للمصادر الأصيلة، وألا يكتفى بالقشور ونال العالمية سنة ١٣٣٢هـ رغم أنه كان مريضًا أثناء الامتحان.

ولما طلبت حكومة السودان من الشيخ محمد عبده اختيار قضاة السودان رشح المراغى سنة ١٩٠٤م، فتولى قضاء الخرطوم، ولم تنقطع صلته بأستاذه الذى لم ينسه حتى الممات، وأكرم أرملته وهو شيخ للأزهر وفاء للإمام محمد عبده،

و فى سنة ١٩٠٧ اختلف وقاضى القضاة فى وجهة نظر فقدم استقالته، وعاد إلى مصر، ثم عين فى نفس العام مفتشًا للدروس الدينية بديوان عموم الأوقاف (وزارة الأوقاف) وواصل التدريس بالأزهر.

ثم صدر أمر من الخديوى بتعيينه قاضيًا لقضاة السودان سنة ١٩٠٨، ولما أرادت حكومة السودان تعديل لائحة المحاكم الشرعية تمسك بأن من سلطته أن يختار للقضاة الآراء الفقهية التى يحكمون بها، أبى السكرتير القضائى فاحتكما للحاكم فنصره على السكرتير القضائى.

ثم قامت ثورة ١٩١٩ وامتدت آثارها إلى السودان، وحاول الإنجليز قمعها فى مصر بأساليب وحشية، فأصدر الإمام المراغى نشرة ثائرة عنوانها (اكتتاب لمنكوبى الثورة بمصر)، ووصف المآسى التى لحقت بمصر ،واستجاب السودانيون للنداء، ولم يستطع الحاكم السودانى إيقاف هذه الثورة.

وكان معتزًا بكرامته وحدث أن مر (جورج الخامس) بالسودان، وطلب من الموظفين أن يكونوا بانتظاره، على ألا يصعد الباخرة إلا الحاكم العام، وأصر المراغى أن يصعد إلى الباخرة قبل الحاكم العام، وإلا فلن يستقبله وتم له ما أراد.

---

(١) من هنا يعود الدكتور خفاجى إلى ذكر بقية شيوخ الأزهر بإيجاز، وسنذكرها بعد ذلك بالتفصيل حرصًا على أمانة التحقيق كما ذكرها المؤلف د. خفاجى فى الطبعتين الأولى والثانية - المحقق.

وحدث أن الخديوى عباس الثانى ذهب للصلاة فى المسجد فرأى الإمام أعمى فغضب وسأل الشيخ المراغي فقال **(إن الإسلام لا يفرق ما بين البصير والأعمى)** وكان الشيخ الأعمى هو **(الشيخ يوسف الدجوى)** فاعتبرها الخديوى إهانة.

وتولى كرئيس للتفتيش بوزارة العدل سنة ١٩١٩، ثم رئيسًا لمحكمة مصر الكلية الشرعية سنة ١٩٢٠ فرئيسًا للمحكمة الشرعية العليا سنة ١٩٢٣.

وأمر بإجراء إصلاحات هامة حيث شكل لجنة لتنظيم الأحوال الشخصية، ووجه اللجنة إلى عدم التقيد بمذهب الإمام أبى حنيفة.

وأصدر عام ١٩٢٠ قانون الأحوال الشخصية، وعدل **(قانون الطلاق)** ونادى بفتح باب الاجتهاد، ودعا إلى **(توحيد المذاهب)**.

وحدث أنه كان ينظر قضية كبيرة تتعلق بملايين الجنيهات، ولوح له أصحابها بآلاف الجنيهات إن حكم لصالحهم ورفض، فألقوا عليه ماء نار فأصاب عنقه، ووصف المجرم وقبض عليه ونال العقاب.

ومن المحن التى تعرض لها أن **(الملك فاروق)** لما طلق زوجته **(الملكة فريدة)** أراد أن يحرم عليها الزواج بعده، ورفض الإمام المراغى أن يصدر فتوى بذلك وذهب الملك إليه وكان يعالج فى مستشفى المواساة فقال كلمته المشهورة **(فأما الطلاق فلا أرضاه وأما التحريم فلا أملكه)**، ولما غلظ عليه فاروق صاح الشيخ **(إن المراغى لا يستطيع أن يحرم ما أحل الله)**، وفى سنة ١٩٢٨م تولى مشيخة الأزهر وقام بأعمال جليلة.

ونادى بالعناية بحفظ القرآن والاهتمام بدراسة علومه ودراسة السنة، وحرص على منع التعصب لمذهب، ودعا إلى دراسة الأديان الأخرى والمقارنة بينها.

- وكان من الداعين ألا تجر البلاد إلى الحرب بين الخلفاء والمحور **(فإنها حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل)**، ولما احتد عليه رئيس الوزراء خوفًا من غضب إنجلترا صاح به **(أتهددنى وأنا شيخ الأزهر)**.

(إن شيخ الأزهر أقوى بنفوذه من رئيس الوزراء) (ولو شئت لارتقيت المنبر وأثرت عليك الجماهير حتى تجد نفسك معزولاً عن الشعب).

وكتبت عنه (التايمز البريطانية) (أن هذا الرجل أخطر على بلادنا وحياتنا من ويلات الحرب).

وكان صديقًا لمحمد محمود باشا وقد سأله السفير البريطاني يومًا (من سيفوز في الانتخابات) قال: (الوفد) فعجب وقال: (إني أعلم أنك صديق لمحمد باشا محمود) فقال: (إن الصداقة لا تدفعني للكذب والنفاق) ومات عام ١٩٤٥.

ومن مؤلفاته:

١- الأولياء والمحجورون (نال بها عضوية هيئة كبار العلماء).

٢- تفسير جزأ تبارك (وتكملة لتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده).

٣- بحث في وجوب ترجمة القرآن الكريم.

٤- رسالة الزمالة الإنسانية.

٥- بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قانون الزواج.

٦- مباحث لغوية بلاغية.

٧- الدروس الدينية (مجموعة دروس وتفسير لآيات وسور قصار) -وكتب مقالات عدة في كثير من الصحف والمجلات.

●●●

الشيخ محمد الأحمدي إبراهيم الظواهري

ولد بقرية (كفر الظواهري) بمحافظة الشرقية سنة ١٨٨٧م وكان أبوه من خيرة علماء الأزهر المتصوفين، وكان ذا بركات وذاعت شهرته كما كان زميلاً (للشيخ محمد عبده).

ورغم صداقتهما فقد كان الشيخ محمد عبده يؤمن بالعقل والفكر ولا يميل لما يجري عليه أهل التصوف، وكان يوصي بدراسة (كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي) الذي ينقي الدين .

وأعجب الابن بالشيخ محمد عبده، ولكنه لم يتخل عن تقاليد الأسرة الصوفية واحترام الأولياء وقرأ كتاب **(حكم ابن عطاء الله السكندرى)**، وتأثر بهذه الحكم فزكت نفسه.

وكانت لجنة الامتحان لنيل العالمية على رأسها **(الشيخ محمد عبده)** فأعجب بعلمه وهنأه، وأوصاه بعدة وصايا ليظل على تفوقه.

ولما تم إنشاء المعهد الأحمدى حشد له خيرة العلماء، فاختير الشيخ الظواهرى فلفت الأنظار واتسعت حلقته، وكان إلى جانب التدريس يباشر معهم الصوفية على نهج **(الطريقة الشاذلية)**.

ولما ألف كتاب **(العلم والعلماء)** ودعا فيه للإصلاح وجد معارضة من **(الشيخ الشربينى)** الذى أوصى بحرقه **(كما سبق وأن أشرنا)**.

ثم عين شيخًا للمعهد الأحمدى سنة ١٩١٤م، وأنشأ عدة جمعيات للنهوض بالدعوة والخطابة واللغة والرحلات، وأصدر مجلة **(مجلة معهد طنطا)** وألف لجنة لمراقبة سلوك الطلاب خارج المعهد، ولجنة للفت أنظار الزائرين إلى البعد عن البدع والتمسح بالضريح، ونظم مكتبة الجامع الأحمدى، وحشد فيها عيون الكتب وكان صديقًا **(للسلطان حسين)**، فلما تولى الحكم عينه عضواً بالمجلس الأعلى للأزهر.

- ثم شكلت لجان للنظر فى أمر الخلافة الإسلامية ودعى إلى مؤتمر بالقاهرة وارتابت الدول الإسلامية وظنت أن مصر تريد أن تكون لها الخلافة وعقد المؤتمر سنة ١٩٢٦ ولكنه انفض دون أن يؤدى لشىء.

- وفى سنة ١٩٢٥م، تجددت الدعوة للنهوض بالأزهر وكان له دور بارز.

- وفى سنة ١٩٢٦ رأس وفد مصر لزيارة السعودية وحضور المؤتمر الإسلامى الذى دعا إليه الملك عبد العزيز، واستطاع الشيخ الظواهرى فى هذا المؤتمر أن يوفق بين أعضاء الوفود فيما يتعلق بحرية المذاهب، وفى هذا المؤتمر انتزع الشيخ الظواهرى قرارًا أعلن فيه **(وحدة مصر والسودان)**، ولما علم عبد الخالق ثروت بذلك قال **(لم أكن أعلم أن الأزهر يخرج سفراء فى السياسة)**.

وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٢٩م وسار على منهجه الذى أوضحه فى كتابه (العلم والعلماء)، وكان متأثرًا بفلسفة الشيخ محمد عبده والإمام المراغى فى السير نحو الإصلاح الدينى وخطا خطوة عظيمة فى إصدار القانون سنة ١٩٣٠م وبمقتضاه.

- إنشاء كلية الشريعة لتخريج علماء يتولون الافتاء والقضاء الشرعى.
- إنشاء كلية لأصول الدين لتخريج مدرسى الدين فى الأزهر والمعاهد الدينية وكلية اللغة العربية لتخريج مدرسين للغة العربية.
- كما اهتم بالدراسات العليا فأنشأ (**تخصص الدعوة والإرشاد**) (**تخصص المادة للتدريس**).
- وأصدر (**مجلة الأزهر**) التى كانت تعرف قديمًا (**بنور الإسلام**) لتعبر عن الأزهر وتنشر الثقافة الدينية (**وهى الآن تصدر بالعربية والإنجليزية**).
- وكان رحمه الله متواضعًا.. لما ناداه العلماء (**بالإمام الأكبر**) قال (**ما أنا إلا واحد من المشايخ**) وقرأ: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن مؤلفاته:

١- العلم والعلماء (سبقت الإشارة إليه).

٢- رسالة الأخلاق الكبرى.

٣- خواص المعقولات فى أول المنطق وسائر العقليات.

٤- الوصايا والآداب.

٥- صفوة الأساليب.

٦- حكم الحكماء.

٧- براءة الإسلام من أوهام العوام.

٨- مقادير الأخلاق.

●●●

الشيخ مصطفى بن أحمد
ابن محمد بن عبد الرزاق

ولد سنة ١٨٨٥م (أبى جرج) تابعة لبنى مزار بمحافظة المنيا من أسرة عريقة فى الجاه والعلم والثراء وكان جده صديقًا (لسعيد باشا) وصحبه إلى (استانبول).

وأبوه كان رفيقًا للشيخ محمد عبده واشترك معه فى إنشاء (الجمعية الخيرية الإسلامية) وحفظ القرآن وشغف بالعلم وأحب الصحافة من صغره فأنشأ مع أخواته وأقاربه صحيفة كان يطبعها (بالبالوظة) وأنشأ جمعية (غرس الفضائل) سنة ١٩٠٠.

ثم نشرت له الصحف العامة مقالات وبحوثًا وقصائد وتأثر بفكر الشيخ محمد عبده.

ولما مات الإمام اتفق مع تلاميذه على أن يواصلوا سياسته الإصلاحية وألفوا (الجمعية الأزهرية) ورأسها ونال العالمية سنة ١٩٠٨ وأنتدب للتدريس بمدرسة القضاء الشرعى واشترك فى (جمعية تضامن العلماء) التى تطالب بالإصلاح وغضب الخديوى، وأوعز إلى مدرسى مدرسة القضاء أن يستقيلوا منها، فاستقال الشيخ مصطفى من المدرسة، وظل بالجمعية، وسافر إلى باريس سنة ١٩٠٩، وصحبه (أحمد لطفى السيد) حيث درس بالسربون تاريخ الفلسفة، وترجم كتاب (العقيدة الإسلامية) للشيخ محمد عبده إلى الفرنسية وعاد سنة ١٩١٤.

فى عام سنة ١٩١٥ عين موظفًا فى مجلس الأزهر الأعلى، وكان (السلطان حسين) معجبًا بعلمه وأدبه وحسن لغته، وترجم لبنت السلطان العثمانى كتابًا بالفرنسية إلى العربية (طيف خيال ملكى).

فى سنة ١٩١٦ عين سكرتيرًا لمجلس الأزهر الأعلى، واستطاع أن يتعرف على كبار العلماء، وأصبح بيته ندوة يومية يؤمها الأدباء والشعراء.

وفى سنة ١٩١٧ أنشأ رجل سويدى ما سمى (بجامعة الشعب) وألقى فيها الشيخ مصطفى عدة محاضرات، ثم انضم إلى حزب (الأحرار الدستوريين)، ثم صدر قرار بتعيينه مفتشًا بالمحاكم الشرعية سنة ١٩٢٠م.

وفى سنة ١٩٢٧ نقل أستاذًا مساعدًا فى الجامعة، ولما خلا كرسى الفلسفة شغله عن جدارة وأعطى طلابه علمًا متجددًا متفتحًا ثم أختير وزيرًا للأوقاف سنة ١٩٣٨م.

كما عين عضوًا بالمجمع اللغوى سنة ١٩٤٠ ونال رتبة الباشوية سنة ١٩٤١.

وشغل منصب وزير الأوقاف (سبع مرات) وهو ما لم يحدث لأحد وكان أول أزهرى يتولى هذا المنصب.

وصدر قانون خاص له ليتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٤٥ ومات سنة ١٩٤٧.

- وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق أول من وضع مصنفًا فى العلوم الدينية على منهج علمى بتصنيفه **(أصول الفقه)**.

وكان متعدد المواهب يكتب فى الفقه الحديث والتفسير والفلسفة والاجتماع وكان شاعرًا مبدعًا وصحفيًا بارزًا.

ومن مصنفاته:

١- ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد للشيخ محمد عبده.

٢- رسائل موجزة بالفرنسية عن الأثرى الكبير بهجت بك.

٣- رسائل موجزة بالفرنسية عن معنى الإسلام ومعنى الدين.

٤- التمهيد لتاريخ الفلسفة.

٥- فيلسوف العرب والمعلم الشافى.

٦- الدين والوحى فى الإسلام.

٧- الإمام الشافعى.

٨- الإمام الشيخ محمد عبده.

٩- مذكرات مسافر ومذكرات مقيم.

١٠- بحث فى دراسة حياة البهاء زهير وشعره.

١١- من آثار مصطفى عبد الرازق (مجموعة مقالات وأحاديث).

١٢- مؤلف كبير فى المنطق.

١٣- مؤلف كبير فى التصوف.

١٤- فصول فى الأدب.

١٥- مذكراته اليومية.

●●●

الشيخ محمد مأمون الشناوى

ولد فى (الزرقا) بمحافظة الدقهلية سنة ١٨٧٨م وحفظ القرآن، ثم رحل إلى الأزهر وعاش مع أخيه (سيد الشناوى) الذى سبقه للدراسة.

وضاق فى بادىء الأمر بالمتون والحواشى، وأراد أن يعود لقريته ويعيش فلاحًا، ولكن والده خفف عنه حتى عاد وانتظم وظهر نبوغه وأصبح موضع إعجاب شيوخه.

واتصل (بالإمام الشيخ محمد عبده) وتأثر بفكره.

وقد ضايقه العلماء عند امتحان العالمية، لأنه اتهم بقرض الشعر، وهى تهمة شنيعة فى ذلك الوقت، ولكنه اجتازها بفضل توجيهات (الشيخ أبو الفضل الجيزاوى) سنة ١٩٠٦.

عين مدرسًا بمعهد الإسكندرية وفى عام ١٩١٧ تم اختياره قاضيًا شرعيًا.

واختير فى سنة ١٩٣٠م شيخًا لكلية الشريعة وفى سنة ١٩٣٤ نال عضوية كبار العلماء وفى سنة ٢٩٤٤ عين وكيلاً وتولى منصب (رئاسة لجنة الفتوى).

ثم تولى المشيخة سنة ١٩٤٨ واستقبل من رجال الأزهر بفرحة غامرة لما يعلمونه من صلاحه وتقواه وعلمه.

وبدأ نشاطًا واسعًا ليخرج الأزهر من المحلية إلى العالمية، وعمل على تقوية الصلات مع العالم الإسلامى وأوفد البعوث الإسلامية.

كما أرسل نوابغ العلماء فى بعثة إلى إنجلترا لإجادة اللغة ثم كلفوا بنشر الدعوة فى العالم الإسلامى.

وحرص ألا تخلوا عاصمة من معهد دينى. وسعى جاهدًا حتى صدر (قانون تحريم البغاء) فى مصر الذى كان سبة ومات سنة ١٩٥٠م.

كان رحمه الله ذا موهبة فذة وشاعرية أصيلة وكانت فيه نزعة صوفية سامية وأسهم فى الحركة الوطنية ١٩١٩ بقلمه ولسانه وكان ينتقل بين المساجد والكنائس ويكتب فى الصحف.

وشغلته الأحداث ومهام المناصب عن التأليف وإن كانت له مقالات متعددة جمعها تلميذه (الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى) فى كتابه (الإسلام ومبادئه الخالدة).

●●●

الشيخ عبد المجيد سليم

ولد فى قرية (ميت شهالة) من أحياء مدينة (الشهداء) منوفية سنة ١٨٨٢م.

وحفظ القرآن ثم درس فى الأزهر فنبغ فى الفلسفة حتى لقب (بابن سينا).

وحضر دروس خيرة العلماء وعلى رأسهم (الشيخ محمد عبده) الذى فقهه فى البلاغة وحضر دروس (الشيخ حسن الطويل) وعرف منه فنون أساليب الجدل والقياس ودرس الفقه على فقيه عصره (الشيخ أبو خطوة).

نال شهادة العالمية سنة ١٩٠٨، واشتغل بالتدريس بالمعاهد، ثم بمدرسة القضاء الشرعى، وعمق فكره وآراء الأئمة واهتم بالتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وعمل بالافتاء وترك تراثًا رائعًا لفتاوى غاية فى الجرأة والأصالة.

وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٠م ولما ضغطت الحكومة ميزانية الأزهر ثار ثورة عارمة وقال عبارته المشهورة (قصد هنا وإسراف هناك)، وأعفى من المشيخة عام ١٩٥١، ثم عاد إليها عام ١٩٥٢، ثم استقال وحاول (الوزير فتحى رضوان) فى وزارة الثورة أن يثنيه فرفض.

كان فقيهًا دارسًا لآراء الأئمة واسع الاطلاع، ولما تألفت لجنة الإصلاح فى قوانين الأحوال الشخصية انتفعت بفكره وآرائه، ولما أدلى **(اللواء محمد نجيب)** رئيس الجمهورية وقتئذ بحديث صحفى يرضى أنصار المرأة اتصل به وحمله على تكذيب الحديث، وعمل جاهدًا على النهوض بالأزهر ورسالته عالميًا، ووجه العلماء إلى وضع مؤلفات باللغات المختلفة لنشر الإسلام ورد مزاعم المستشرقين، ودعا إلى ترجمة القرآن إلى اللغات الحية.

وكتب عنه كبار العلماء والأدباء والمفكرين يثنون على علمه وجرأته.

ولم يترك الشيخ عبد المجيد سليم ثروة علمية إلا فتاواه ومقالاته..

وانتقل إلى ربه فى سنة ١٩٥٤م.

●●●

الشيخ إبراهيم حمروش

ولد فى قرية **(الخوالد)** التابعة لمركز **(إيتاى البارود)** بحيرة سنة ١٨٨٠م.

وكان أبوه رجلاً ورعًا فحفظه القرآن وأرسله إلى الأزهر، وأوصاه بالمحافظة على الصلاة، درس على أيدى كبار العلماء **(الفقه على الشيخ أبو خطوة)** **(والنحو على الشيخ الصالحى المالكى)**، وأخذ **(أسرار البلاغة عن الشيخ محمد عبده)**.

وأقبل على دراسة الرياضة وتفوق فيها ونال العالمية سنة ١٩٠٦م.

وكان **(الشيخ إبراهيم الشربينى)** حريصًا على إنشاء جيل قوى متعمق، فكان يباغت اللجان، وأعجب بهذا الشاب وظل يحاوره حتى شهد له بالكفاية.

وعمل بمدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٨م، ثم عين قاضيًا فشيخًا لمعهد أسيوط ثم مفتشًا بالمعاهد الدينية سنة ١٩٢٩، ونال عضوية كبار العلماء سنة ١٩٣٤ بعد أن عين شيخًا لكلية اللغة فى سنة ١٩٣١، ثم عين شيخًا لكلية الشريعة سنة ١٩٤٩.

وفى سنة ١٩٥١ عين شيخًا للأزهر فدعا إلى الجهاد ومقاومة المحتل.

ولما حاصر الإنجليز الشرطة بالإسماعـيلية حرض الطلاب، واستشار الرأى العام العالمى لتحمل تـبعاته هذه فى مواجهة هذه المآسى، ولكن الملك أعـفاه من منصبه سنة ١٩٥٢ قبل قيام الثورة بقليل.

وقد عارض فضيلتـه كتابة المصحف بالطريقة الإملائية مخـافة تحريفه ومات سنة ١٩٦٠م.

ومن مؤلفاته:

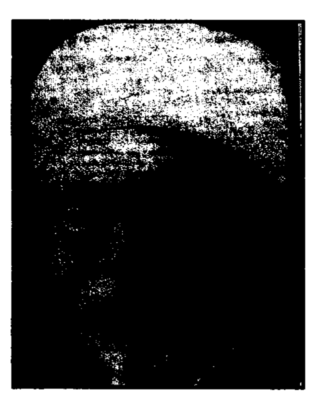
١- عوامل نمو اللغة (**ونال به عضوية كبار العلماء**).

٢- فصول عديدة ودراسات قيمة.

٣- وله مقالات وأبحاث عديدة نشرتها الصحف.

●●●

الشيخ محمد الخضر حسين


الشيخ محمد الخضر حسين

ولد بمدينة (نفطة) سنة ١٢٩٣هـ وأسرته كريمة أصلها من الجزائر وتنتمى إلى أسرة (الأدارسة) التى كونت دولة بالمغرب.

حفظ القرآن والتحق بجامع الزيتونة سنة ١٨٨٩م وهو يشبه (الجامع الأزهر)، ونال شهادة العالمية سنة ١٣١٧هـ وفى سنة ١٣٢٤هـ ولى قضاء بنزرت ومنطقتها والتدريس والخطابة بجامعها، وعاد إلى جامع الزيتونة حيث نظم كتبه واشترك فى تأسيس (الجمعية الزيتونية).

وكان شاعراً مجيداً نظم روائع القصائد وندد بالاستعمار الفرنسى.

ولما قامت الحرب بين الطليان والعثمانيين رحل إلى الجزائر وألقى بها دروسه العظيمة.

ثم أكرهه الاستعمار على أن يرحل إلى (مصر ودمشق ومكة)، وفى مصر تعرف (بالشيخ رشيد رضا)، ووصل إلى دمشق فعين مدرساً للغة العربية فى المدرسة السلطانية سنة ١٩١٢، ثم سافر إلى الآستانة وأمضى فيها وقتاً ولكنه هجرها ورحل.

ورحل إلى (برلين) سنة ١٣٣٢هـ، وأجاد الألمانية، ثم عاد إلى الآستانة وضاق بها فرحل إلى دمشق فأعتقله حاكمها سنة ١٣٣٤، ونال ألوان العذاب ورحل إلى ألمانيا فالتقى بزعماء الحركة الإسلامية من أمثال (الدكتور عبد الحميد سعيد، وعبد العزيز جاويش) وهكذا لا يستقر به الحال فى بلد حتى يرحل إلى آخر، إلى أن استقر فى مصر سنة ١٣٣٩، وألف رسالته القيمة (الخيال فى الشعر العربى)، ثم تجنس بالجنسية المصرية ونال شهادة العالمية.

ثم أسس جمعية (تعاون جاليات أفريقيا الشمالية)، وكان دائب الحركة يحاضر ويسطر المقالات ويكتب البحوث.

وفى سنة ١٣٤٤هـ ظهر كتاب (أصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق، وأحدث ثورة وتصدى له (الشيخ الخضر) ونقده نقداً شديداً وفند آراءه، ثم تصدى لكتاب طه حسين (فى الشعر الجاهلى) سنة ١٣٤٥، وقسا عليه وأرجع آراءه إلى أساتذته المستشرقين، ثم تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر سنة ١٣٤٩هـ وعين استاذاً بكلية أصول الدين فأفاد طلابه وجمع مجموعة رسائل فى كتاب أسماه (رسائل الإصلاح).

واشترك فى كثير من لجان المجمع اللغوى وفى سنة ١٩٧٠هـ نال عضوية جماعة كبار العلماء برسالته (القياس فى اللغة العربية).

وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣٧١هـ ولكنه استقال لعدة أسباب سنة ١٣٧٣هـ ولقى ربه سنة ١٣٧٧هـ سنة ١٩٥٨م.

ومن مؤلفاته:

١- رسائل الإصلاح (فى ثلاثة مجلدات) أبرز فيها مناهج الدعوة الإسلامية.

٢- الخيال فى الشعر الغربى.

٣- القياس فى اللغة العربية.

٤- ديوان شعر (خواطر الحياة).

٥- نقض كتاب (الإسلام وأصول الحكم).

٦- نقض كتاب (فى الشعر الجاهلى).

٧- آداب الحرب فى الإسلام،

٨- أبحاث ومقالات عديدة نشرتها مجلة الأزهر ولواء الإسلام والهداية الإسلامية.

٩- تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبى.

●●●

الشيخ عبد الرحمن تاج

ولد بأسيوط سنة ١٨٩٦م فحفظ القرآن، وانتقلت أسرته إلى الإسكندرية فدخل المعهد الدينى ونال شهادة العالمية سنة ١٩٢٣.

التحق بقسم التخصص للقضاء الشرعى ،ونال شهادة التخصص سنة.

١٩٢٦ وعين مدرسًا فى معهد أسيوط الدينى، ثم نقل إلى معهد القاهرة، وفى سنة ١٩٣٣ عين مدرسًا بقسم تخصص القضاء.

وفى سنة ١٩٣٥ عين عضواً بلجنة الفتوى للمذهب الحنفى.

وفى سنة ١٩٣٦ وقع الاختيار عليه، ليكون عضواً فى بعثة الأزهر، فرحل إلى السربون ورغم قيام الحرب فقد واصل الدراسة فى ظروف قاسية،ونال الدكتوراه عن بحثه القيم (**البابية والإسلام**) والبابية أساس البهائية.

وعاد من باريس سنة ١٩٤٣ وعين مدرسًا بكلية الشريعة ثم مفتشًا للعلوم الدينية ثم عين شيخًا للقسم العام والبحوث الإسلامية بالأزهر.

ونال عضوية كبار العلماء سنة ١٩٥١ ببحثه القيم (**السياسة الشرعية**).

ثم اختير أستاذًا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق وعضواً فى لجنة الدستور، ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٩٥٤.

ومن أهم أعماله أنه قرر تدريس اللغاب بالأزهر وعنى بالإصلاحات الإدارية وفى عهده سعى لبناء مدينة البعوث الإسلامية لسكنى طلاب العالم الإسلامى بدل الأروقة، وكان أول من أدخل التربية العسكرية فى الأزهر.

وعين عام ١٩٥٨ وزيراً فى اتحاد الدول العربية.

وواصل الكتابة فى الصحف وأصدر عدة بحوث هامة فى تفسير القران الكريم وطاف بكثير من بلاد العالم الإسلامى.

وتوفى سنة ١٩٧٥م.

ومن مصنفاته:

١- البابية وعلاقتها بالإسلام بالفرنسية.

٢- السياسة الشرعية (فى الفقه الإسلامى).

٣- الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية.

٤- مذكرة فى الفقه المقارن.

٥- تاريخ التشريع الإسلامى.

٦- مناسك الحج وحكمها.

٧- الإسراء والمعراج.

٨- حكم الربا فى الشريعة الإسلامية.

٩- شركات التأمين من وجهة النظر الإسلامية.

١٠- بحوث فى اللغة العربية متعددة.

١١- من الدراسات اللغوية فى بعض الآيات القرآنية.

١٢- بحوث فى بعض الآيات القرآنية من الناحية العلمية.

●●●

الشيخ محمود شلتوت

ولد فى (مدينة منصور) من أعمال مركز أيتاى البارود بحيرة سنة ١٨٩٣، وحفظ القران ودخل معهد الإسكندرية، والتحق بالكليات الأزهرية، ونال العالمية سنة ١٩١٨م، ثم عين مدرسًا بمعهد الإسكندرية سنة ١٩١٩م، وشارك فى أعمال الثورة بقلمه ولسانه وجرأته، ثم نقله الإمام المراغى مدرسًا بالقسم العالى لعلمه الغزير وناصر حركة الإصلاح فى الأزهر، وفصل من منصبه فاشتغل بالمحاماة، ثم عاد للأزهر سنة ١٩٣٥م.

ثم اختير عضواً فى الوفد الذى حضر (مؤتمر لاهاى) للقانون الدولى المقارن سنة ١٩٣٧، وألقى بحثًا قيما تحت عنوان (المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة

الإسلامية) ونال البحث استحسان أعضاء المؤتمر، فأقروا صلاحية الشريعة الإسلامية للتطور واعتبروها مصدراً من مصادر التشريع الحديث، وأنها أصيلة وليست مقتبسة من غيرها من الشرائع الوضعية ولا متأثرة بها، وقرر المؤتمر أيضًا اعتبار (اللغة العربية) لغة رسمية من لغات المؤتمر وأن يدعى فى المؤتمر القادم أكبر عدد من علماء الشريعة الإسلامية.

وبهذا البحث نال (عضوية جماعة كبار العلماء).

ونادى بتكوين مكتب علمى للرد على مفتريات أعداء الإسلام وتنقية كتب الدين من البدع والضلالات، وكانت مقدمة لإنشاء مجمع البحوث الإسلامية.

وفى سنة ١٩٤٦ عين عضواً فى مجمع اللغة العربية وانتدبته الجامعة لتدريس فقه القرآن والسنة لطلبة دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق.

وفى سنة ١٩٥٠ عين مراقبًا عامًا لمراقبة البحوث الإسلامية فوثق الصلات بالعالم الإسلامى؛ وفى سنة ١٩٥٧ اختير سكرتيراً عامًا للمؤتمر الإسلامى ثم عين وكيلاً للأزهر.

وفى سنة ١٩٥٨ صدر قرار بتعيينه شيخًا للأزهر.

وقد سعى جاهداً إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ورحل إلى كثير من بلاد العالم الإسلامى ولاقى كل إجلال.

وسعى جاهداً للإصلاح بالأزهر وصدر القانون فى سنة ١٩٦١.

ودخلت العلوم الحديثة للأزهر وأنشئت كليات متعددة وارتفعت مكانة شيخ الأزهر ووجد كل إجلال وتقدير من القادة.

وترك الشيخ مؤلفات عدة منها:

١- فقه القرآن والسنة.

٢- مقارنة المذاهب.

٣- يسألونك (وهى إجابات عن أسئلة فى شتى الموضوعات).

٤- منهج القرآن فى بناء المجتمع.

٥- المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية.

٦- القرآن والقتال.

٧- القرآن والمرأة.

٨- تنظيم العلاقات الدولية فى الإسلام.

٩- الإسلام والوجود الدولى للمسلمين.

١٠- تنظيم النسل.

١١- رسالة الأزهر.

١٢- إلى القرآن الكريم.

١٣- الإسلام عقيدة وشريعة.

١٤- من توجيهات الإسلام.

١٥- الفتاوى.

١٦- تفسير القرآن الكريم (**العشرة أجزاء الأولى**).

وتوفى رحمه الله سنة ١٣٨٣هـ.

●●●

الشيخ حسن مصطفى

ولد بالقاهرة فى سنة ١٨٩٤ وكان والده شيخًا لمسجد الفلاح بقصر عابدين الذى يصلى فيه الملك وحفظ القرآن الكريم واتجه إلى المعهد الدينى ثم مدرسة القضاء الشرعى وتخرج سنة ١٩١٨ وأتقن اللغة الفرنسية.

وفى سنة ١٩١٩ عين موظفًا قضائيًا بمحكمة الزقازيق الشرعية، ثم انتقل لمحكمة القاهرة الشرعية سنة ١٩٢٠، ورقى بعد ذلك إلى قاض، وتنقل بين عدة محاكم إلى أن ارتقى إلى منصب قاض عام سنة ١٩٣٩، ثم صدر مرسوم ملكى بتعيينه قاضيًا لقضاة السودان سنة ١٩٤١.

وكـانت له مواقف وطنيـة أغـضبت الإنجليـز، ثم تمت ترقـيتـه إلى عضـو بالمحكمة الشرعية العليا سنة ١٩٤٧، ثم عين مـفتيًا سنة ١٩٥٥، ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٩٦٤.

وظل حريصًا على إلقاء دروسه على طلاب قسم التخصص بكلية الشريعة.

وكان عالمًا فقيهًا وقاضيًا نزيهًا.

وأشرف على إصدار الموسوعة الفقهية الكبرى وكتب بعض موادها.

ومات سنة ١٩٧٣م.

وقد وقف من الاسـتعمار مواقف كـريمة فناهضه فى السودان، وقـاوم قيام دولة إسرائيل وشـارك فى مقاومة الاحـتلال وناشد (الملك السنوسى) ألا يسمح بإقامة قـواعد استعماريـة عسكرية على أرضه لأنها خنجر مـصوب لمصر، ولما دبرت إسرائيل حرق المسجد الأقصى وجـه الإمام نداء لكل المسلمين يدعو فيه للجهاد.

وأصدر مجموعة من الفتاوى القيمة نقى بها الإسلام من البدع والخرافات.

ومن مصنفاته:

١- الفتاوى.

٢- دراسات وأبحاث فقهية متنوعة نشرها أو راجعها.

٣- السيرة العطرة.

٤- الجهاد فى الإسلام.

٥- تفسير لقصار السور.

●●●

الشيخ محمد محمد الفحام

ولد (برمل الإسكندرية) فى سنة ١٨٩٤ وحفظ القرآن والتحق بمعهد الإسكندرية الدينى، وولـع إلى جـانب العلوم الـدينيـة بالعـلوم الأخـرى (علم المنطق وعلم

الجغرافيا) ثم نال العالمية فى سنة ١٩٢٢، ومن العجيب أنه تفوق فى الرياضيات لدرجة أنه اشتغل مدرسًا للرياضيات إلى جانب العلوم الدينية.

وفى سنة ١٩٣٥ نقل إلى كلية الشريعة لتدريس المنطق.

وفى سنة ١٩٣٦ رحل إلى فرنسا ومعه زوجته وأبناؤه في بعثة تعليمية، ولكن الحرب شبت ولم يستطع العودة وعانى ويلات الحرب ومطالب الدراسة ونال دبلوم مدرسة اللغات الشرقية الحية فى الأدب العربى سنة ١٩٤١.

ونال شهادة الدكتوراة من السربون وكان موضوع الرسالة **(إعداد معجم عربى فرنسي للمصطلحات العربية فى علمى النحو والصرف)** ونال تقدير الأستاذة المستشرقين وعاد من فرنسا وعمل مدرسًا بكلية الشريعة، ثم نقل إلى كلية اللغة العربية مدرسًا للأدب المقارن وللنحو والصرف.

واشترك سنة ١٩٤٧ فى لجنة المؤتمر الثقافى العربى الأول المنعقد فى بيت مرعى فى لبنان أجاد جميع اللهجات السورية واللبنانية، ثم زار نيجيريا سنة ١٩٥١ وهى أكبر دولة إسلامية وأمضى فيها خمسة أشهر وقابل علماءها، ثم سنة ١٩٥٢ زار الباكستان، ثم صدر تعيينه عميدًا لكلية اللغة العربية سنة ١٩٥٩ واشترك فى وضع منهج تدريس اللغة العربية فى باكستان.

ثم سافر إلى موريتانيا سنة ١٩٦٣ لدراسة أحوال المسلمين هناك.

وشارك فى المؤتمر الإسلامى التمهيدى فى باندونج سنة ١٩٦٤.

وفى سنة ١٩٦٧ زار الجزائر وليبيا وإسبانيا وفى سنة ١٩٧١ زار إيران.

وقد نصب شيخًا للأزهر فى سنة ١٩٦٩م.

وفى سنة ١٩٧٢ عين عضوًا فى مجمع اللغة العربية، ثم أعفى من منصب المشيخة لاعتلال صحته سنة ١٩٧٣.

ومن مؤلفاته:

١- رسالة الموجهات فى المنطق **(ألفها وهو طالب)**.

٢- سيبويه وآراؤه.

٣- مقالات عديدة فى مجلة المعرفة.

٤- المسلمون واسترداد بيت المقدس.

٥- محاضرات ألقاها فى معهد الدراسات العليا للشرطة.

●●●

الشيخ عبد الحليم محمود

ولد فى أسرة متـدينة مشهورة بالكرم وحفظ القـران الكريم والتحق بالأزهر ولما فتح معهد الزقـازيق التحق به كما التحق بمعهد المعلمين ونجح فى المعـهدين معًا ثم رحل إلى القاهرة حيث نال العالمية سنة ١٩٣٢ وكان رحمـه الله عالمًا إسلاميًا كبيرًا فسيح الآفاق بعيد الأغوار متصوفًا زاهدًا وجـمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية حين رحل إلى السربون وظل فى فرنسا ملتزمًا بالآداب الإسلامـية والتقاليد العربية وآثر أن يدرس تاريخ الأديان واسـتعد للدكـتوراه فى التـصوف الإسلامى واخـتار شخـصيـة (الحارث بـن أسد المحاسبى) وكان بـينهمـا تشابه فى المسلك الصـوفى وكلاهما يرى أن الكتاب والسنة هما أساس المسلك الصوفى.

وفى أثناء الدراسة قامت الحرب وآثر البـقاء حتى نال الدكتوراه سنة ١٩٤٠ فى ظروف صعبة بعد انقطاعه عن الوطن، وقررت الجـامعة الفرنسية طبع الرسالة على نفقتها وهو شرف لم ينله إلا القليل.

وحاول العودة إلى مصر ولكن الطرق كـانت مغلقة، وما زال ينتقل من بلد إلى بلد حتى اضطر أن يلف حول رأس الرجاء الصالح إلى أن وصل بعد عام.

بدأ مدرسًا بكـلية اللغة ثم نقل أستـاذًا بكلية أصول الدين سنة ١٩٥١ فعـميدًا للكلية سنة ١٩٦٤ وقد ألزم الطلبة بحفظ القرآن الكريم.

ووضع القواعـد لمجمع البحوث الإسلامـية، وظل حريصًا علـى نشر الإسلام عالميًـا وإعداد الكفاءات القـادرة على توصيل الدعوة الإسـلامية وشكل عـدة لجان هامة للنهوض بهذه الرسالة ومنها:

لجنة بحوث القرآن الكريم: لوضع تفسير وسيط مبسط لمعانى القران.

لجنة السنة النبوية: لوضع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية.

لجنة المسجد الأقصى: لجمع كل ما يفيد القضية الفلسطينية.

لجنة التعريف بالإسلام: للرد على خطط التبشير المعاصر.

لجنة إحياء التراث الإسلامي: لكشف النقاب عن أمهات الكتب.

لجنة البحوث الفقهية: لمواجهة كل ما استجد فى هذا العصر.

لجنة الحضارة والمجتمعات الإسلامية: لحصر العالم الإسلامى وبيان الاستفادة من مواقعه.

لجنة العقيدة والفلسفة: لدراسة التحديات والانحرافات فى العقيدة والفلسفة.

لجنة دائرة المعارف الإسلامية: لوضع دائرة على نسق دائرة المعارف البريطانية وفى سنة ١٩٧٠ صدر قرار بتعيينه وكيلاً للأزهر وقام برحلات متعددة فى الداخل والخارج وكان يلقى كل الحفاوة والتكريم أينما حل والتقى بشخصيات عالمية كبيرة مثل **(الرئيس كارتر) (وفالدهايم سكرتير الأمم المتحدة)**.

وساعده فى لقاءاته هذه إجادته للفرنسية والإنجليزية.

ثم تولى وزارة الأوقاف وأخيراً مشيخة الأزهر سنة ١٩٧٣ وكأنما أعدته العناية الآلهية ليكون عالمًا دارسًا باحثًا ومؤلفًا ومصنفًا ومصلحًا اجتماعيًا كبيراً وحاول تحقيق أهدافه وتحرك فى كل اتجاه ينشئ المدارس والمعاهد الدينية ويقيم المساجد وينادى بالبذل وإقامة المؤسسات الإسلامية بالجهود الذاتية تخفيفًا عن الدولة.

ونادى بأن ترد الأوقاف للأزهر حتى يستطيع أن ينهض برسالته.

ودعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وأن فيها النجاة من براثن الاستعمار والدواء من أمراض العصر ونادى أيضًا بالدفاع عن اللغة العربية والنهوض بها حتى لا يستعجم اللسان العربى وتنفصل الأمة عن كتاب ربها الذى لا يفهم إلا بالعربية.

وسعى للصلح بين الدول العربية المتنازعة، ودعا إلى وحدة الصف وناشد حكام العالم العربى خاصة والإسلامى عامة أن يرأبوا الصدع وأن ينبذوا الخلاف فيما بينهم لتعود للأمة الإسلامية قوتها وتستطيع أن تواجه الأخطار المحدقة بها.

وهاجم الشيوعية وحذر من شرورها وخطورة الإلحاد الذي يهدم الأمم.

ولم تغب عنه أحداث العصر فكان يصدر بيانًا فى كل مناسبة ويستخدم المنطق فى ذلك وواجه الفتنة الطائفية بحزم وأوضح أن الإسلام يحمى أهل الأديان الأخرى وأن الأقليات تتمتع بحقوقها كاملة على سيادة الوطن.

وحرص أن تكون لشيخ الأزهر هيبته فهو الإمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام وله الرسالة والتوجيه فى كل ما يتضمن الدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته ويرأس المجلس الأعلى للأزهر.

وكان جريئًا يكتب دون خوف على منصبه أو حرص على مكاسب أو محاباة فى الحق وعرف بصراحته وصدقه مما جعله موضع احترام الجميع وهاجم كل من يريد المساس بالشريعة أو أن يبدل الحلال حرامًا أو يعبث بالمقدسات الدينية.

وقد حرص أيضًا على أن يكون أسوة حسنة، ويعلن أن النبى ما نجح فى دعوته إلا بالقدوة ولهذا كان زاهدًا عابدًا متفانيًا فى خدمة الإسلام وعرض فى مؤلفاته لمجموعة من الرجال الذين اعتز بهم الإسلام وخلدهم التاريخ وخلف ثروة طائلة من التراث الدينى.

ولحق بالرفيق الأعلى فى سنة ١٩٧٨.

ومن مؤلفاته:

١- الحارث بن أسد المحاسبى بالفرنسية.

٢- وزان الأرواح - مترجم عن الفرنسية.

٣- الفلسفة اليونانية - مترجم عن الفرنسية.

٤- المشكلة الأخلاقية والفلسفية - مترجم عن الفرنسية.

٥- الأخلاق فى الفلسفة الحديثة - مترجم عن الفرنسية.

٦- محمد رسول الله - مترجم عن الفرنسية.

٧- الفيلسوف المسلم - دينية.

٨- التصوف عند ابن سينا.

٩- أوروبا والإسلام.

١٠- فلسفة ابن طفيل ورسالته.

١١- الرسول ﷺ.

١٢- التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل.

١٣- السنة فى تاريخها وفى مكانها.

١٤- الإيمان.

١٥- أسرار العبادات فى الإسلام.

١٦- التصوف الإسلامى.

١٧- التفكير الفلسفى فى الإسلام.

١٨- جهادنا المقدس.

١٩- القرآن والنبى.

٢٠- الإسلام والإيمان.

٢١- العبادة.

٢٢- المدرسة الشاذلية الحديثة.

٢٣- الإسراء والمعراج.

٢٤- شهر رمضان كيف يستقبله المسلمون.

٢٥- وتناول فى كتب عدة مشاهير رجال الصوفية.

٢٦- وحقق نحو خمسين كتابًا فى التراث.

٢٧- فى رحاب الكون.

٢٨- القرآن فى شهر القرآن.

٢٩- الإسلام والشيوعية.

٣٠- دلائل النبوة ومعجزات الرسول.

●●●

الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار

ولد بمدينة (السالمية) من أعمال مركز فوه التابع لكفر الشيخ سنة ١٩١٠م.

حفظ القرآن والتحق بمعهد دسوق الدينى ثم التحق بمعهد طنطا والتحق بكلية أصول الدين ونال العالمية سنة ١٩٣٩ ثم نال درجة الأستاذية فى (العقيدة والفلسفة) سنة ١٩٤٥ وتم تعيينه مدرسًا فى سنة ١٩٤٩ رحل فى بعثة إلى إنجلترا ودرس فى جامعة كمبردج ثم استقر فى جامعة أدنبرة.

ونال الدكتوراه بتفوق فى الفلسفة مع التركيز على (حجة الإسلام الغزالى) والفيلسوف الفرنسى (ديكارت) وكلاهما اتخذ الشك وسيلة لليقين.

وعاد أستاذًا فى سنة ١٩٥٥ بكلية أصول الدين ثم رشحته مواهبه ليكون مديراً للمركز الإسلامى بواشنطن واستطاع أن يحظى بالاحترام من كل الطوائف وعاد سنة ١٩٥٩ إلى كلية أصول الدين ثم رأس البعثة التعليمية بليبيا سنة ١٩٦٣.

ثم عين أمينًا عامًا للمجلس الأعلى للأزهر مما أتاح له المشاركة والتوجيه وتحقيق الأهداف ثم عين سنة ١٩٧٠ أمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية فحرص على أن يجدد الثقافة الإسلامية وأن يجردها من الشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى.

ثم عين وكيلاً للأزهر سنة ١٩٧٤ وساعد الدكتور عبد الحليم محمود في كل ما يعن له.

ثم عين وزيراً للأوقاف سنة ١٩٧٨ وشيخًا للأزهر سنة ١٩٧٩م.

ولما كان يجيد الفرنسية والإنجليزية فقد أطل على الثقافة الأوروبية وغذى علوم الإسلام وهو الذى نظم الدراسات العليا بجامعة أم درمان الإسلامية.

كان حييا شديد التواضع مبتسمًا وهو إدارى من الطراز الأول منظم الفكر.

وعرض على المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٠ والذي يضم خيرة علماء المسلمين بحثًا فياضًا حول (إثبات العقائد الإسلامية بين السنيين والعقليين).

وكما عنى بالدراسة الفلسفية فقد عنى بالسلوك وألقى محاضرات قيمة فى هذا.

ومن مؤلفاته:

١- الوجود والخلود فى فلسفة ابن رشد.

٢- العقيدة والأخلاق فى الفلسفة اليونانية.

٣- الحقيقة والمعرفة على نهج العقائد النسفية.

٤- تأملات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة.

٥- العالم بين القدم والحدوث.

٦- الإسلام بين العقائد والإيمان.

٧- الإسلام والمسيحية.

٨- رسالة (بالإنجليزية) عن الحرب والسلام فى الإسلام.

٩- رجلان فى التفكير الإسلامى.

هذا عدا ما نشر من مقالات وبحوث فى مجلات علمية.

●●●

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

ولد ببلدة (بطرة) مركز طلخا بمحافظة الدقهلية سنة ١٩١٧.

حفظ القرآن الكريم والتحق بالمعهد الأحمدى بطنطا ودرس المذهب الحنفى.

والتحق بكلية الشريعة ونال العالمية سنة ١٩٤٣.

ودخل تخصص القضاء الشرعى ونال إجازته سنة ١٩٤٥.

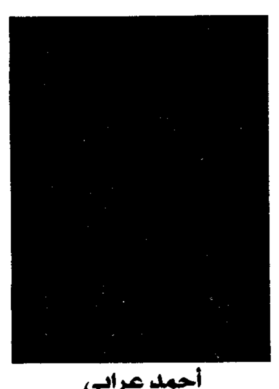
وقد عين موظفًا بالمحاكم الشرعية فأمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية بدرجة (موظف قضائى) ثم مستشارًا بمحاكم الاستئناف فمفتشًا أولاً بوزارة العدل ثم عين مفتيًا للديار المصرية سنة ١٩٧٨ وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠.

وظل مفتيًا حتى اختير وزير دولة للأوقاف سنة ١٩٨٢ ثم شيخًا للأزهر فى نفس العام.

مكانته العلمية:

- أصدر أحكامًا قضائية استندت إلى البحوث فى الشريعة.
- كما أصدر مجموعة من الفتاوى الهامة فى كل مجالات الشريعة.

بعض الزعماء من الأزهر


أحمد عرابى

١- الزعيم أحمد عرابى تلقى تعليمه الأزهرى ثم التحق بالجيش وقاد ثورة كبرى ما زال صداها يرن فى أذن التاريخ وكانت مقدمة للثورات الكبرى فى المنطقة.

٢- الزعيم الوطنى سعد زغلول الذى درس فى الأزهر وتأثر بفكر الأمامين الجليلين (**جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده**) وكان قائد ثورة ١٩١٩ وخطيبها المفوه ووصل إلى رئاسة الوزراء وأسس (**حزب الوفد**).

٣- السيد/ محمد صديق خان بن حسن البخارى القنوجى أمير بهوبال درس بالأزهر وكان منتسبًا لرواق البخارية، ثم عاد إلى أمارته فأصلح شئونها وأقام فيها المعاهد العلمية والمجالس الثقافية، وتزوج ملكة بهوبال، وحكم المملكة واشتغل بالتأليف والدراسة وترك أكثر من سبعين كتابًا وتوفى عام ١٣٠٧هـ.

٤- الأمير محمد بن على الأدريسى مؤسس دولة الادارسة فى (**صبيا وعسير**) باليمن، تعلم بالأزهر ثم عاد إلى اليمن، واستولى على أقليم صبيا واستولى على الحديدة وتوفى عام ١٣١١هـ.

٥- الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن الشهير بالملا الصومالى. . ولما عاد للصومال عمل على توحيد القبائل الصومالية، وفى سنة ١٨٩٧ نزلت البعثات التبشيرية إلى الصومال، فقاد الكفاح ضد الاستعمارين الإنجليزى والإيطالى، ونال انتصارات عظيمة وظل يناضل حتى مات ١٩٢١م، ولم يشغله الكفاح عن التأليف وأصدر عدة رسائل كان أشهرها (**مباحث المنافقين**). وسجل فيها كيف (تعاون الإنجليزيون والفرنسيون والإيطاليون والقبائل المرتدة) ضده.

٦- المجاهد الكبير السيد عبد القيوم الرئيس الحالى لجمهورية جزر ملديف الواقعة جنوب غربى جزيرة سيلان (**سيرى لانكا**) بالمحيط الهندى.

٧- الزعيم الجزائرى هوارى بومدين الذى درس فى الأزهر وقاد الكفاح ضد الاستعمار الفرنسى حتى تحررت بلاده وتولى رئاسة الجمهورية.

الفهرس

فهرس الجزء الأول

الموضوع الصفحة

تقديم الطبعة الثالثة للدكتور على صبح ٥

آراء المفكرين فى الأزهر ٩

تصدير للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى الطبعة الأولى ١١

المقدمة للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى الطبعة الأولى ١٣

الباب الأول

الأزهر خلال التاريخ

الفصل الأول: مصر الإسلامية قبل إنشاء الأزهر ١٧

الفصل الثانى: مصر فى ظلال الدولة الفاطمية ٢٣

الفصل الثالث: تأسيس الأزهر وبدء حياته الجامعية ٢٩

الفصل الرابع: الأزهر فى ظلال الفاطميين ٤١

مشاركة الأزهر فى الحياة العقلية فى عصر الفاطميين ٤٧

الأزهر جامع الدولة الرسمى ٦٢

الأزهر وتجديد مبانيه ٦٩

الفصل الخامس: الأزهر فى عهد الدولة الأيوبية ٨١

اشهر العلماء فى عصر الدولة الأيوبية ٨٦

الفصل السادس: الأزهر فى ظلال دولتى المماليك ٦٥٧-٩٢٣هـ ٨٩

الأزهر فى عهد السلطان بيبرس ومن بعده ٩٣

جلال الدين السيوطى ١٠٦

الفصل السابع: الأزهر فى عهد الدولة العثمانية ١١١

نصيب الأزهر من التعمير فى هذا العصر ١١٥

الأزهر والحركة العلمية فى هذا العهد ١٢١
الشهاب الخفاجى المصرى ٩٧٥-١٠٦٩هـ ١٢٩
الفصل الثامن: الأزهر بعد الحكم العثمانى ١٤٣
عمر مكرم الأزهرى الزعيم المصرى الخالد ١٥١
فحول العلماء فى قرنين ١٥٨

الباب الثانى

تاريخ الأزهر الحديث

الفصل الأول: القوة الشعبية بعد الحملة الفرنسية ممثلة فى الأزهر ١٦٧
الأزهر يسير فى حياته العلمية ١٧٢
حادثة الشوام ١٧٣
جهاد الأزهر فى الثورة العرابية ١٧٤
الأزهر يغذى ثورة عرابى ١٧٦
الفصل الثانى: الأزهر بعد الثورة العرابية ١٨٧
الفصل الثالث: الأزهر والحركة الوطنية عام ١٩١٩ .... ١٩١
الأزهر بعد الثورة المصرية ١٩٣
الفصل الرابع: الثورة المصرية الثالثة والأزهر ١٩٩
النوابغ الذين تخرجوا فى الأزهر ٢٠٤
نظرة إلى المستقبل ٢٠٨
ثورة التطوير فى الأزهر ٢١١
هذا هو الأزهر الجديد ٢١٣

الباب الثالث

شيوخ الأزهر

الفصل الأول: مشيخة الأزهر وشيوخه ووظيفة خطيب الأزهر ٢١٧
منصب مشيخة الأزهر ٢١٩
شيوخ الأزهر فى إيجاز ٢٢٥

الفصل الثانى: تراجم الأئمة شيوخ الأزهر بالتفصيل ٢٤٧
١- فضيلة الإمام الشيخ محمد الخراشى ٢٤٧
٢- فضيلة الإمام الشيخ إبراهيم البرماوى ٢٥٤
٣- فضيلة الشيخ الإمام محمد النشرتى ٢٥٩
٤- فضيلة الشيخ عبد الباقى القلينى ٢٦٥
٥- فضيلة الشيخ الإمام محمد شنن ٢٧٠
٦- فضيلة الشيخ الإمام إبراهيم بن موسى الفيومى ٢٧٥
٧- فضيلة الشيخ الإمام عبد الله بن محمد الشبراوى ٢٨١
الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد المراغى عود إلى الترجمة بإيجاز ٢٩١
الشيخ محمد الأحمدى إبراهيم الظواهرى ٢٩٣
الشيخ مصطفى بن أحمد بن محمد بن عبد الرزاق ٢٩٦
الشيخ محمد مأمون الشناوى ٢٩٨
الشيخ عبد المجيد سليم ٢٩٩
الشيخ إبراهيم حمروش ٣٠٠
الشيخ محمد الخضر حسين ٣٠٢
الشيخ عبد الرحمن تاج ٣٠٤
الشيخ محمود شلتوت ٣٠٥
الشيخ حسن مصطفى ٣٠٧
الشيخ محمد محمد الفحام ٣٠٨
الشيخ عبد الحليم محمود ٣١٠
الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار ٣١٤
الشيخ جاد الحق على جاد الحق ٣١٥
بعض الزعماء من الأزهر ٣١٦
فهرس الموضوعات ٣١٧